كيف نحيا بطهارة؟

دليلٌ عمَلِيٌّ لإدراك
خطورة الخطيَّة الجِنسيَّة،
وحلولٌ كتابيَّةٌ للتحرّر منها

جون كوبْلَنتز

Originally Published in English under the title:
LIVING A PURE LIFE
Christian Light Publications, Inc.
Harrisonburg, Virginia 22802
© 2007 by Christian Light Publications, Inc.
All rights reserved.

الطبعة الأولى ٢٠١٩

الكتاب: كيف نحيا بطهارة
دليلٌ عمَليٌّ لإدراك خطورة الخطيَّة الجِنسيَّة، وحلولٌ كتابيَّةٌ للتحرّر منها

المُؤلِّف: جون كوبْلَنتز

ترجمة: شيري عوض

تصميم الغلاف والتصميم الداخلي: دار منهل الحياة

ص. ب. ١٦٥ منصورية، المتن- لبنان

هاتف: +٩٦١٤٤٠١٩٢٢

فاكس: +٩٦١٤٥٣٢٤٨١

بريد إلكتروني: info@Dar-Manhal-Alhayat.com

موقع إلكتروني: www.Dar-Manhal-Alhayat.com

الناشر: دار منهل الحياة بإذن من Christian Light Publications

التّرقيم الدّولي: 978-614-460-033-7

جميع الحقوق باللُّغة العربيَّة محفوظة للنّاشر وحده،
ولا يجوز استخدام أو اقتباس أيّ جزء منه من دون إذن النّاشر.
وللنّاشر وحده حقّ إعادة الطّبع والنّشر من خلال النّسخ المطبوعة
أو أيّة وسيلة سمعيّة أو بصريّة، أو عبر الانترنت في أيّ مكان.

المحتوى

تمهيد ٧

١. فَهم التجرِبة ٩

٢. فَهم التجرِبة الجنسيَّة ٢٧

٣. تحديد المشكلات الضمنيَّة ٤٧

٤. التوبة عن الإخفاق الأخلاقيّ ٦٥

٥. إعادة بناء الهويّة الأخلاقيَّة ٨٣

٦. مواجهة العواقب ١١٣

٧. كيف نحيا طاهرين؟ ١٣٧

الملحق أ: مشكلة العادة السريَّة ١٥٩

الملحق ب: المِثليَّة ١٨١

الملحق ج: استعادة النساء طهارتهنَّ ٢٠١

تَمهيد

في السنوات الاثنتي عشرة التي قضيتُها في تقديم المشورة الزوجيَّة، واجهتُ في أحايين كثيرة خطايا من قبيل الخيانة الزوجيَّة، والزنا، وزنا المحارم، والعادة السريَّة، والإدمان على المواد الإباحيَّة، واستغلال الأطفال الجنسيّ. وفي أحيان أقل، إنّما كثيرة أيضًا، ساعدتُ أشخاصًا يصارعون مع انحرافات جنسيَّة من قبيل المثليَّة الجنسيَّة، والبهيميَّة، وممارسة الجنس مع الجماد. يصعُب عليَّ جدًا التعبير عن النتائج الشخصيَّة والعلاقاتيَّة لهذه الخطايا في كلمات، فإنَّ الخطيَّة باهظةُ الثمن.

وعلى الرغم من المآسي والأحزان التي تتسبَّب فيها الخطايا الجنسيَّة، إلا أنَّها ما زالت تجذب الرجال والنساء على حدٍّ سواء. قد يَعلَم الرجل جيِّدًا أنَّه يُدمِّر عائلته، ويقضي على هويّته الأخلاقيَّة، ويجلب العار على اسم المسيح، لكنَّه مع ذلك يعاود الانغماس مرارًا وتكرارًا في الخطايا نفسها التي تُسبِّب هذا الضرر.

شكرًا لله على وجود النعمة!

هذا الكتاب عبارة عن مجموعة من المبادئ والإرشادات من كلمة الله بشأن الطهارة الأخلاقيَّة. فهو يتحدَّث بصدق وصراحة عمَّا يحدُث حين نفعل الخطيّة، ويبسِط أمامنا مستلزمات مواجهة الخطيّة الجنسيَّة والتعامُل معها، كما يوجِّهنا نحو طريق الطهارة، ثم تتناول الملاحق العديدة قضايا خاصة غير شائعة لدى الجميع.

هذا الكتاب ليس كتابَ قصص قصيرة، فإنَّ قصص الخطايا الجنسيَّة، وإن ذُكِرت العواقب، تميل إلى جذب انتباه اهتماماتنا الجسديَّة، وأحيانًا تسبِّب ضررًا أكبر من المنفعة. وفي الحالات القليلة التي أدرجتُ فيها قصصًا بالفعل، قمتُ بتغيير الأسماء، ولم أضع سوى التفاصيل اللازمة لأوضِّح فكرتي. من ناحية أخرى، أنا ممتنٌّ لله لأنَّه أدرج لنا في كلمته قصصًا لا تبيِّن لنا كيف سقط أناسٌ في الخطيَّة فحسب، بل أيضًا كيف انتشلهم الله منها. تمدُّنا هذه القصص بالرجاء. فمهما كان عمق سقوطنا، حيث التوبة الحقيقيّة، توجد نعمة كافية. ما زال الله يخلِّص من الخطيَّة، وما زال يغيِّر الحياة.

وفي خضمّ الفوضى الأخلاقيَّة المنتشرة في زماننا هذا، نحتاج إلى الدعوة الصريحة والواضحة إلى الطهارة الأخلاقيَّة. فمع وجود براهين كثيرة تبيّن أنَّ الخطيَّة الجنسيَّة تدمّر العلاقات، نحتاج إلى شهادات حيَّة بأنَّ الطهارة الأخلاقيَّة تحافظ على العلاقات، والنعمة الإلهيَّة تغيِّر الحياة.

صلاتي أن يَهدي هذا الكتاب كثيرين إلى سبل البرّ، وأن يدعو كثيرين للخروج من حطام الإثم، وأن يمجِّد الله، الذي له وحده الملك والقوّة والمجد إلى الأبد!

جون كوبلنتز

الفصل الأول

فَهم التجرِبة

"لاَ يَقُلْ أَحَدٌ إِذَا جُرِّبَ: "إِنِّي أُجَرَّبُ مِنْ قِبَلِ اللهِ"،
لأَنَّ اللهَ غَيْرُ مُجَرَّبٍ بِالشُّرُورِ، وَهُوَ لاَ يُجَرِّبُ أَحَدًا.
وَلكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يُجَرَّبُ إِذَا انْجَذَبَ وَانْخَدَعَ مِنْ شَهْوَتِهِ.
ثُمَّ الشَّهْوَةُ إِذَا حَبِلَتْ تَلِدُ خَطِيَّةً،
وَالْخَطِيَّةُ إِذَا كَمَلَتْ تُنْتِجُ مَوْتًا."

يعقوب ١: ١٣ -١٥

تُبيِّن لنا الآيات أعلاه أنَّ التجربة هي **دعوة جذَّابة إلى عمليَّة مميتة**. يمكن اختزال هذه العمليَّة في معادلةٍ كالتالي: رغبة زائد عرض جذَّاب (إنّما مسمِّم) يساويان المعاناة أو حتّى الموت. بمعنى آخر، تتولَّد لدى الإنسان رغبة، ثم يرى شيئًا يبدو وكأنّه قد يُشبع تلك الرغبة، فيمدَّ يدَه ليمسك به، ويختبر راحة وقتيَّة، لكن فجأة يقاسي عواقب وخيمة تؤدّي به، ما لم يحدث تدخُّلٌ ما، إلى الموت.

يمكن توضيح هذه العمليَّة من خلال أمثلة لا حصرَ لها. على سبيل المثال، إذا قُدِّم طبقٌ من الطعام الشهيِّ، لكن المسمَّم، إلى رجل جائع، وهو لا يعلم بذلك، سيأكله بتلذُّذ. ولكن بعد بضع ساعات، سيشعر هذا الرجل باضطراب في أمعائه. ومن دون تدخُّل طبيّ، سرعان ما سيتلوَّى من الألم، وبعد قليلٍ يموت.

كان ليون شابًّا لديه رغبات طبيعيَّة في أن يكون مقبولًا وأن يُكوِّن صداقات، لكنَّه اتَّجه إلى أصدقاء اقترنت سلوكياتهم بممارسة الخطيَّة. وفي النهاية، بدأ ليون يتعاطى المخدِّرات ويطارد النساء. وقد أسفر نمط حياتُه المشين هذا عن مضاعفات، منها مشاجرات مع مدمنين آخرين، وبالطبع، استياء والديه. ثم ذات صباح، حدث الأمر الذي ألقى الرعب في قلوب أصدقاء ليون وعائلته: لقد وُجد ليون مقتولاً داخل منزله. لم يُحسَم مطلقًا إن كانت وفاته هذه جريمة قتل أم انتحارًا. وهكذا، أضلَّت الرغباتُ ليون في طريق الخطيَّة، وكان هلاكه هو الناتج النهائيّ. حقًا، إنَّ التجربة دعوة جذابة إلى عمليَّة مميتة.

على الرغم من التعليم الواضح الذي قدَّمه يعقوب عن التجربة، ما زال هناك سوء فهم كبير بشأنها. هل سبق لك أن سمعتَ بأيٍّ من هذه التعليقات؟

- لم أستطع أن أتمالك نفسي.
- لم أكن لأفعل ذلك لو لم تكن هي التي ...
- لماذا سمح الله من الأساس أن أتواجد في مكان التجربة؟
- لا أدري ماذا اعتراني!

في هذه الأمثلة جميعها، نرى جيّدًا كم نجبُن عن تحمُّل مسؤوليَّة شخصيَّة عن خطايانا. فإنّنا نميل إلى اعتبار التجربة أمرًا يأتينا من الخارج بالكلية، ويبدو أنَّنا نشعر بحالٍ أفضل إن استطعنا إلقاء المسؤوليّة على الآخرين، أو على الظروف، أو على إبليس، أو حتى على الله. لكن يبيِّن لنا يعقوب أنَّ التجربة تبدأ من داخل قلوبنا. فإذا أردنا التغلُّب عليها، لا بدّ أن نبدأ بالنظر إليها من وجهة نظر الله.

التجربة وثيقة الصلة بالرغبة

"وَلكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يُجَرَّبُ إِذَا انْجَذَبَ ... مِنْ **شَهْوَتِهِ**" (يعقوب ١: ١٤). تَحمل الكلمة "شهوة" دلالات سلبيّة. لكنَّ أصل الكلمة اليونانيّ يُشير إلى كلٍّ من الرغبات الصالحة والشريرة. ليست المشكلة الحقيقيَّة أنَّ لدينا رغبات، أو حتى أنَّ لدينا رغبات خاطئة، بل تكمُن المشكلة في سعي رغباتنا هذه وراء أمورٍ أو وسائل خاطئة لإشباعها.

أن ترغب، يعني أنَّك على قيد الحياة. فإنَّ الميت لا يرغب في شيء، ومن ثَمَّ لا يمكن أن يُجرَّب. ولكن لأنَّنا أحياء، يستطيع عدونا استغلال رغباتنا هذه كي يضلِّنا. فقد دفع حواء إلى إشباع رغبتها في أن تصير أحكم، وأثار رغبة داود في المتعة والعلاقة الجنسيَّة، واستغلّ رغبة الشاب الغنيّ في الحصول على التقدير والاهتمام، أو ربما الأمان، في ثروته.

بغض النظر عن الهدف، ومهما كان ما يُعرَض أمام أعيننا، تمتطي التجربةُ رغبةً ثائرة ومتَّقدة.

وضع الله إرشادات تخص كيفيَّة إشباع الرغبات

لم يكتفِ الله، بصفته خالقنا، بوضع غرائز ورغبات بداخلنا فحَسْب، إنّما وضع لنا أيضًا إرشادات تخص كيفيَّة إشباع تلك الرغبات. فهنالك سببٌ وجيه لتناوُل الطعام، وعلاقةٌ صحيحة وسليمة يُمارَس الجنس في إطارها، وطرقٌ سليمة لتكوين صداقات. وإذ توجد طرقٌ سليمة لسداد رغباتنا، توجد أيضًا طرقٌ خاطئة لا تُحصَى يمكن أن نسعى بها لتحقيق تلك الرغبات.

يحذِّرنا الكتاب المقدَّس من خرق إرشادات الله من جهة حتى الرغبات الطبيعيَّة العامّة مثل الطعام والشراب. فقد كتب سليمان: "طُوبَى لَكَ أَيَّتُهَا الأَرْضُ إِذَا كَانَ مَلِكُكِ ابْنَ شُرَفَاءَ، وَرُؤَسَاؤُكِ يَأْكُلُونَ فِي الْوَقْتِ لِلْقُوَّةِ لاَ لِلسُّكْرِ" (الجامعة ١٠: ١٧).

أيضًا توجد إرشادات للحفاظ على الرغبة في المتعة الجنسيَّة في نصابها الصحيح. فلدينا تحذيرات من الزنا، والخيانة الزوجيَّة، والمثليَّة الجنسيَّة، والبهيميَّة، والإساءة الجنسيَّة، بل وأيضًا من المزاح بشأن هذه الأمور. "وَأَمَّا الزِّنَا وَكُلُّ نَجَاسَةٍ أَوْ طَمَعٍ فَلاَ يُسَمَّ بَيْنَكُمْ كَمَا يَلِيقُ بِقدِّيسِينَ، وَلاَ الْقَبَاحَةُ، وَلاَ كَلاَمُ السَّفَاهَةِ، وَالْهَزْلُ الَّتِي لاَ تَلِيقُ، بَلْ بِالْحَرِيِّ الشُّكْرُ. فَإِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ هذَا أَنَّ كُلَّ زَانٍ أَوْ نَجِسٍ أَوْ طَمَّاعٍ، الَّذِي هُوَ عَابِدٌ لِلأَوْثَانِ لَيْسَ لَهُ مِيرَاثٌ فِي مَلَكُوتِ الْمَسِيحِ وَاللهِ" (أفسس ٥: ٣-٥).

لم توضَع هذه الإرشادات الإلهيَّة لأجل تعذيبنا أو حرماننا من المتَع والخيرات (كما يوحي لنا إبليس)، لكن يضع الله قيودًا وإرشادات لرغباتنا حتى يتسنَّى لنا أن نسدَّها بأحسن وسيلة صحيَّة ومبارَكة. فهو يعلَم أنّنا إن اخترنا، على سبيل المثال، الخيانة الزوجيَّة، فسنهدم حياتنا الزوجيَّة؛ وإن بحثنا عن الأمان في الأشياء، فلن نختبر فرح الاتّكال على الآب؛ وإن اتّبعنا الشره أو السُّكر، فلن يتوقّف الأمر عند زيادة مشاكلنا الصحيّة، بل ستصير حياتُنا أقلّ متعة، وأجسادُنا أقلّ قدرة على القيام بالمسؤوليات. فإذا تعلَّمنا التحكُّم في دوافعنا الجنسيَّة في شبابنا، ستزيد قدرتنا على الحفاظ على إخلاصنا في الزواج. إذًا، يضع الله لنا هذه الإرشادات لحمايتنا.

لدينا رغبات على أصعدة مختلفة من كياننا

حين نفكِّر في مدى الرغبات البشريّة الواسع، نُدرك بسهولة أنَّ رغباتنا تعمل على أصعدة مختلفة. فعلى الصعيد الجسديّ، هناك الجوع والعطش، وأيضًا هناك الباعث الجنسيّ الذي، مع كونه يتجلَّى في صورة جسديّة، إلّا أنَّ جذوره ممتدَّة بعمق إلى داخل هويّتنا كأشخاص. أمّا على الصعيد العاطفيّ، فإنّنا نتعطّش إلى القبول، والانتماء، والجذور، والأمان، والصداقات. ومع أنَّ هذه التعطُّشات غير ملموسة على عكس الجوع للطعام أو للشراب، إلا أنَّها في بعض

الأحيان تكون أشدّ تأثيرًا. ثم على صعيدٍ أعمق أيضًا، نحن نتوق إلى الإيمان بأمرٍ ما أو بشخص، وإلى شيء نسلِّمه حياتنا، ونتوق إلى موضوع تكريس وعبادة.

هذه الرغبات جميعها ليست خطأً في حدّ ذاتها.

لكنَّ التجربة هي أن نُغوى بتسديد تلك الرغبات بطرق خاطئة، أو في التوقيت غير المناسب، أو لأسباب خاطئة.

على سبيل المثال، جُرِّب يسوع بتحويل الحجارة إلى خبز. لم يكن الجوع إلى الطعام شرًّا في حدِّ ذاته، لكنَّه جُرِّب بأن يشبِع شهيَّته لسببٍ خاطئٍ، وهو أن يُبرهن على أنَّه ابن الله (انظر متّى ٤: ٣).

لاحظ أيضاً أنَّ رغباتنا عادة ما تتداخل معًا في التجربة: فقد نأكل (رغبة جسديّة) كي نسدّ جوعًا إلى التقدير (رغبة عاطفيّة)، نظير الفتى المراهق الذي يأكل عشر شطائر من الهامبرغر أمام أصدقائه الذين يحدِّقون إليه في ذهول وإعجاب. وقد نرغب في ممارسة الجنس، أو نستسلم لها تحت الضغط، كي نحظى بالقبول. بل وقد نطلب الله كي ننال إعجاب الآخرين. إذًا، أية رغبة - مهما كانت مشروعة أو صالحة في حدّ ذاتها - يمكن أن تقود إلى الخطيَّة. فإنّنا نجرَّب دائمًا بإشباع رغباتنا بوسائل غير مشروعة، أو لأسباب أنانيّة.

تُرتَّب رغباتنا بحسب الأولويَّة

على الرغم من كثرة رغباتنا، إلا أنَّها ليست جميعها متساوية. أو بتعبير آخر، تُرتَّب رغباتنا بحسب الأولويّة. فإنَّ الجوع إلى الطعام ليس مهمًّا بقدر الجوع إلى تكوين صداقات؛ والجوع إلى تكوين صداقات ليس مهمًّا بقدر الجوع إلى موضوعِ عبادة وتكريس.

تأتي الكثير من التجارب في هيئة إغواء بسداد رغبتنا في الأشياء الأقل أهميَّة على حساب الأشياء الأكثر أهميَّة. على سبيل المثال، قد نُجرَّب بإشباع رغباتنا الجسديَّة على حساب أرواحنا. فحين باع عيسو بكوريّته مقابل وعاء من الحساء، كانت أولوياته آنذاك منقلبة رأسًا على عقب؛ فقد سدَّ جوعًا سطحيًّا على حساب شرف عائلته وكرامتها. وعندما باع يهوذا ربَّه بالفضة، أجرى بهذا مقايضة بشعة؛ فقد تنازل عن روحه مقابل بعض العملات الرنَّانة. وإذ استبدل بموضوع تكريس قلبه المال، كان بهذا يُغذِّي أعمق أشواق القلب بالنفاية.

لكن لئلاّ نبالغ في قسوتنا على عيسو ويهوذا، يلزَم أن ندرك أنَّنا نواجه هذه التجارب عينها. فإنَّنا نغوى باستمرار إلى التضحية بصداقاتنا، أو بعلاقاتنا العائليَّة - بل وبأرواحنا نفسها - من أجل بعض الحُليِّ البراقة أو من أجل متعة لحظيّة. فإنَّ رغبتنا في ما هو ملموسٌ تقف في تأهُّب مستمرٍّ ملتمسة أن تضلَّنا في مسائل تتعلّق بالقلب.

للمزيد من الدراسة:

١. ما هي "معادلة" التجربة؟
٢. لا تؤدّي الخطيَّة فقط إلى موتٍ جسديٍّ (كما في قصّة ليون)، بل قد تؤدّي إلى موت علاقةٍ ما أو موتٍ هدفٍ من أهداف الحياة. هل يمكنك أن تذكُر أنواعًا أخرى من "الموت" تَنتُج عن استسلامنا للخطيَّة؟
٣. هل تستطيع تقديم أمثلة مِن حياتك الشخصيَّة، أو من حياة أشخاص تعرفهم، أدت فيها الخطيَّة إلى الموت؟
٤. فكِّر جيدًا في التجارب الجنسيَّة التي واجهتَها. اذكر واحدة (أو أكثر) من أشدِّها.
٥. لنفترض أنك ستستسلم لهذه التجربة، بمَ سوف تضحِّي في المقابل؟ كن محدَّدًا قدر المستطاع.

٦. ما هي الإرشادات الإلهيَّة التي تخص تجربتك (أو تجاربك)؟ اكتب عدّة نصوص كتابيَّة.

تحت ظروف معيَّنة، نكون أكثر عُرضة للتجربة

إنَّ رغباتنا لا تقبع ساكنةً. فإنَّنا نُجرَّب بتجاهُل تعليمات الله من جهة الرغبات في الجوع أكثر من الشبع. هذه فكرة بديهيّة للغاية عادة ما تفوتنا. لكن الحقيقة هي أنَّ الحرمان يزيد من ضعفنا. فإنَّ شخصًا يتضوَّر جوعًا لن يكترث كثيرًا إن كان الطعام الذي يُقدَّم له صحيًّا أو مُعدًّا جيّدًا أو حتى صالحًا للأكل.

لا يُشكِّل هذا المبدأ خطورة من جهة الطعام بقدر خطورته عند تطبيقه على مستويات أعمق من التعطُّشات. فحين يُعرَض اهتمامٌ وقبولٌ على شخص عانى طيلة حياته الرفض، ربما لن يتوخَّى الحذر تمامًا مثل الشخص الذي يتضوَّر جوعًا. ولهذا، تُحدِق تجارب شديدة بالشاب المراهق المتعطِّش إلى أصدقاء – فإنَّه يتضوَّر جوعًا، ولهذا لن يكترث كثيرًا بكيفيَّة إشباع جوعه. فإنَّ الجوع العميق يجعله أكثر ضعفًا وأكثر عُرضة لخرق مقاييس الله بشأن الصداقة.

لكنَّ الجوع ليس الشيء الوحيد الذي يزيد من الرغبة؛ بل من المفارقة العجيبة أنَّ الاستسلام للتجربة له التأثير ذاته. يواجه كلُّ إنسان طبيعيّ التجربة الجنسيَّة في أثناء تقدُّمه في العمر – أي تهاجمه الحاجة الملحة إلى إشباع الرغبة الجنسيَّة بوسائل خاطئة. لكن **إن** استسلم للتجربة، **وكلّما** استسلم لها، صارت أشدَّ.

هذا صحيح تحديدًا لأنَّ التجربة هي أن نُغوَى بتسديد رغباتنا بطرق خاطئة. يعني هذا أنَّ إشباعنا لرغباتنا بالطريقة التي يريدها الله يُكسِبنا شعورًا بالاكتفاء والرضا (سواء بسبب إشباع الرغبة أو بسبب راحة ضميرنا) لا يسعنا أن نختبره البتّة إن اتَّبعنا التجربة. فحين نلبِّي رغبةً ما بطريقة خاطئة، يترُك فينا هذا دائمًا شعورًا بالخواء ووجعًا يُنبِئنا بأنَّ شيئًا ما ليس على ما يرام. قطعًا، قد تمنح تلبيةُ

رغبةٍ ما بطريقة خاطئة شبعًا وقتيًّا، بل وإثارة، لكنَّ هذا لا يُشبع القلب، بل يتركه في خواءٍ أعمق. ومع مرور الوقت، يؤدّي هذا الخواء المتزايد إلى تجربةٍ أشدّ. فإنَّ الرجل الذي يحاول تلبية رغبته في الحصول على التقدير من خلال جني المال، على الأرجح سيجني المال بالفعل - وربما يجلب له هذا شعورًا وقتيًّا بالسعادة - وهذا هو وَهم الشبع. إلا أنَّ تلك السعادة لن تساوي شيئًا أمام ذلك الشبع القلبي الذي كان ليشعر به لو حصل على تقدير الآخرين بسبب، مثلًا، شخصيّته. لكنَّه إذ ينغمس في جَني المال، يزيد من خواء قلبه؛ وإذ تزداد شهوته إلى المال، يلجأ إلى الاحتيال، والصفقات غير النزيهة، وقد يضحِّي بعلاقاته، بل وبمبادئه أيضًا. وبهذا، يزداد خواؤه، وتشتد التجارب، لأنَّ مشيئة الله لم تكن قط أن يجدَ القلبُ البشري شبعَه في المال. على الأرجح، ربما جاء وقتٌ رفض فيه يهوذا تجربة تسليم سيّده مقابل المال رفضًا قاطعًا؛ لكنَّه إذ استسلم للتجربة شيئًا فشيئًا، عجز في النهاية عن رفض الفرصة، ولو دفع مقابلها الثمن الباهظ والرهيب الذي دفعه.

هكذا إذًا، في البقعة نفسها التي نُخالف فيها طرق الله، ننصِبُ لأنفسنا شركًا للوقوع في تجارب مستقبليَّة. تُغفَر الخطيَّة في لحظة، لكننا حين نخطئ، نُضعِف من قدرتنا على مقاومة السقوط بالطريقة نفسها (أو بطريقة مشابهة) في وقت لاحق. هذه هي طبيعة الخطيَّة وطبيعة التجربة. يمكن لأيِّ إنسانٍ أن يخلُص في أيّة مرحلة، مهما كان العمق الذي وصل إليه في الخطيَّة، لكن كلّما ازداد انحداره في هذا الطريق، قلَّت فرص العودة منه. فكلّما اشتدَّت التجارب، ازدادت بالتناسُب سهولة ارتكاب الخطيَّة. لا يعني هذا استحالة كسر سطوة الخطيَّة؛ فمجدًا لله على النعمة! لكن يدعونا هذا إلى أن ننتبه إلى الخطيَّة وعواقبها.

تَعمَل التجربة على أُسُسٍ من الخداع

كلّما بدا تجاهُل أو خرق إرشادات الله من جهة إشباع رغباتنا أمرًا جذابًا، لنتيقَّن إذًا من وجود انحراف. فإنَّ الخير يُظهَر وكأنّه شرٌّ، والشرّ يُظهَر وكأنّه خيرٌ. ويُظهَر الزائل والعابر وكأنّه أهم ممّا هو دائم، والعكس صحيح. فنظن أنّنا **سنربَح** بينما نحن في الحقيقة **نخسر**. هذه هي طبيعة الخطيَّة وطبيعة التجربة.

إنَّ إبليس، بالتأكيد، هو العقل المدبِّر للتجربة؛ وهو يعرف كيف يقدِّم العالم على طبقٍ من فضة، ومن ثَمَّ ينهب كلّ ما لنا من دون أدنى مقاومة.

في الشمال الأقصى، ابتكر البعض وسيلة استثنائيَّة تقشعر لها الأبدان لقتل الذئاب. فقد قاموا بإخفاء شفرات حادة داخل قطعٍ من اللحم، وثبَّتوا القطع في أوتادٍ في الجليد. ثم كانت الذئاب الجائعة تبدأ في لعق اللحم وقرضه، كاشفة في النهاية الشفرات الحادة، فتتقطع ألسنتُها وشفاهُها. عندئذٍ، كانت رائحة الدم تزيد من ولعها باللحم، ممّا يُسفِر عن مزيد من الجراح والدماء. وإذ تنساق الذئاب وراء رائحة دمائها، تستمر في تناول اللحم وفي نزف الدماء حتى الموت.

هذه هي أيضًا خُطَط الشيطان؛ فإن نجح في إثارة رغباتنا، سيتمكَّن من أن يجعلنا نرغب – بل ونلاحق في سعيٍ محموم – الشيء نفسه الذي يدمِّرنا.

أخبرني صديقٌ يسافر كثيرًا إلى دول العالم الثالث بأنه كان يتبع مبدأ ألا يبدِّل أو يصرف عملاتٍ من الشارع؛ فإنَّ نسبة المجازفة بأن يُحتال عليه ويُعطى مبلغًا أقل مرتفعةٌ جدًا. لكن ذات يوم، احتاج صديقي إلى المال بعد انتهاء مواعيد العمل في البنوك، فقرَّر مخالفة مبدئه السليم "هذه المرة فقط". فطلب من أحد تجار صرف العملات في مكانٍ مجاور له أن يبدِّل له ورقة من فئة المئة دولار. أجابه الرجل، الذي كان مثالاً للدماثة: "بالتأكيد! لا توجد أدنى مشكلة!" وراقبه صديقي جيّدًا فيما كان يحصي النقود.

ثم قال له التاجر: "عفوًا، هل يمكنك أن تعطيني ورقتين من فئة الخمسين دولارًا بدلًا من هذه الورقة الواحدة من فئة المئة دولار؟ فإنَّني أواجه صعوبة في استخدام ورقة المئة دولار."

تفحَّص صديقي حافظة نقوده، ووجد ورقتَين من فئة الخمسين دولارًا. لم يُشكِّل الأمرُ فارقًا، وهكذا، تبادلا الأوراق الماليَّة، ووضع صديقي ورقة المئة دولار في جيبه سريعًا للحفاظ عليها.

عندئذٍ، أعطى التاجر النقود لصديقي قائلًا له: "احصِ نقودك جيدًا، وتأكَّد من صحة المبلغ." فعل صديقي هكذا، وكان المبلغ صحيحًا. ثم أخذ التاجر النقود وعدَّها مرة أخرى ليتأكَّد تمامًا من صحة المبلغ. ثم أعطى النقود لصديقي مجدَّدًا.

وبينما كان التاجر يبتعد، وقع أمران: تدافع العديد من الأشخاص تجاه صديقي فيما كان يسترد النقود، ملهين إياه. وحين فتح مجددًا رزمة النقود كي يتفحَّصها قبل أن يضعها في جيبه، اكتشف، لهول صدمته، أنَّ الورقة الخارجيَّة فقط كانت ورقة ماليّة حقيقيَّة، بينما البقيّة مجرَّد قطع من الورق المطويّ. نظر حوله باحثًا عن تاجر صرف العملات، لكنَّه كان بالتأكيد قد اختفى. وقد زاد المتدافعون من حوله من استحالة تحرُّكه بسرعة للحاق به.

وإذ أدرك صديقي أنه تعرَّض للخداع، مدَّ يده إلى جيبه ليتأكد من وجود الورقة المالية من فئة المئة دولار التي كان قد أعادها إلى جيبه في أثناء تبادُل النقود. وحين أخرجها من جيبه، أصيب بالذهول، إذ اكتشف أنَّها من فئة دولار واحد.

خسر صديقي ما يقرُب من مئتي دولار في أقل من خمس دقائق، على الرغم من توخِّيه الحذر الشديد لئلا يقع ضحيّة للاحتيال.

هذا هو أسلوب إبليس؛ فحين نقرِّر التعامُل معه، يحتال علينا في عمليَّة التبادل، كلَّ مرة! فهو يبرَع في أن يجعلنا نظن أننا سنقوم بشيء ما "هذه المرة فقط"، ثم يجعلنا نتخلَّى عن حيطتنا، ونظن أنّنا سنربح، ثم ينهَب كلَّ ما لدينا.

تعمَل التجربة دائمًا على أُسُسٍ من الخداع.

للمزيد من الدراسة:

١. اذكر الحالتين اللتين تزيدان من الرغبة.
٢. من خلال خبرتك الشخصيَّة، أيّ منهما قد تعتبره أكثر خطورة من جهة زيادة قوة جاذبيّة التجربة؟
٣. اقرأ إشعياء ٥: ٢٠، ثم اذكر بعض الأساليب التي يستخدمها إبليس في مجتمعنا لتحريف الحق الخاص بالخطيَّة الجنسيَّة.
٤. من بين هذه الأساليب التي ذكرتَها، أيٌّ منها كان له التأثير الأكبر على حياتك الشخصيَّة؟

يستخدم إبليس أساليب متنوِّعة لمحاولة إسقاط المؤمنين

سبق أن ذكرنا أنَّ إبليس متمرِّس في الخداع؛ كما قال يسوع: "مَتَى تَكَلَّمَ بِالْكَذِبِ فَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ مِمَّا لَهُ لأَنَّهُ كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذَّابِ" (يوحنا ٨: ٤٤). ومع هذا، ليس الخداع هو التكتيك الوحيد لإبليس. فهو كثيرًا ما يظهر في هيئة "مَلاَكِ نُورٍ" (٢كورنثوس ١١: ١٤)، لكن حين يفشل هذا المخطط، تجده قد يأتي "كَأَسَدٍ زَائِرٍ" (١بطرس ٥: ٨). يعني هذا أنّه قد يشنُّ هجمات خاصة على أولئك الأمناء في مقاومة التجربة.

تكلَّم الرسول بولس عن "شَوْكَة فِي ٱلْجَسَد"، كان يتضرَّع إلى الله كي تفارقه، وقد أسماها "مَلاَكَ الشَّيْطَانِ لِيَلْطِمَنِي" (٢كورنثوس ١٢: ٧). يبدو أنَّ هذه الشوكة كانت تتعلَّق بألم جسديّ (فقد كانت الشوكة في "جسده" أو "لحمه")، وكانت وسيلة خاصة يستخدمها إبليس لمضايقته وتحويل حياته إلى جحيم.

إنَّ إبليس لصٌّ – فهو يأتي كي "يسْرِقَ وَيَذْبَحَ وَيُهْلِكَ" (يوحنا ١٠: ١٠). وهدفه هو أن يُدمِّر المؤمنين بأية وسيلة ممكنة، ويأخذ منهم كلَّ ما هو ثمين، ويُنهِك مقاومتهم، ويجعلهم يظنّون أنَّ الحالة ميؤوسٌ منها.

في أوقات المضايقات والكروب، قد نُجرَّب بالإحباط. فربما نبدأ بالتشكُّك في محبّة الله لنا، أو في حكمته من هذا الضيق الذي سمح به في حياتنا، بل وربما نبدأ في الاستسلام. بعض المؤمنين الذين نجحوا في مقاومة تجارب إبليس بإشباع رغبات الجسد سقطوا في الإحباط حين واجهوا بلايا ومشقات.

ولهذا، يوجد في العهد الجديد ارتباط وثيق بين "التجربة" [temptation] و"الامتحان" [trial]. "احْسِبُوهُ كُلَّ فَرَح يَا إِخْوَتِي حِينَمَا تَقَعُونَ فِي تَجَارِبَ مُتَنَوِّعَة، عَالِمِينَ أَنَّ امْتِحَانَ إِيمَانِكُمْ يُنْشِئُ صَبْرًا" (يعقوب ١: ٢ و٣). أو كما كتب بطرس: "الَّذِي بِهِ تَبْتَهِجُونَ، مَعَ أَنَّكُمُ الآنَ إِنْ كَانَ يَجِبُ تُحْزَنُونَ يَسِيرًا بِتَجَارِبَ مُتَنَوِّعَة، كَيْ تَكُونَ تَزْكِيَةُ إِيمَانِكُمْ، وَهِيَ أَثْمَنُ مِنَ الذَّهَبِ الْفَانِي، مَعَ أَنَّهُ يُمْتَحَنُ بِالنَّارِ، تُوجَدُ لِلْمَدْحِ وَالْكَرَامَةِ وَالْمَجْدِ عِنْدَ اسْتِعْلاَنِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (١بطرس ١: ٦ و٧). يجلب إبليس على المؤمنين أنواعًا مختلفة من "التجارب"- ليس الغواية بارتكاب الخطيَّة فحسب، بل أيضًا الامتحانات والضيقات التي تُنهِكنا، جاعلة إيّانا نرغب في الاستسلام.

حين يسمح الله بأوقات الامتحان، لا يكون الهدف هو تدميرنا، بل على النقيض تمامًا. ففي كلِّ نص من النصوص السابقة، نلاحظ جيِّدًا كيف أنَّ الأمر نفسه الذي يقصد به إبليس تدميرنا، يحوِّله الله إلى وسيلة كي يُشدِّدنا روحيًّا، حتى نسطع بمجده.

أيّة تجربة أو هجوم من إبليس لا بدَّ أن يحصلا أوَّلاً على تأشيرة من اللّه

يؤكد لنا الرسول بولس أنّه: "لَمْ تُصِبْكُمْ تَجْرِبَةٌ إِلاَّ بَشَرِيَّةٌ وَلكِنَّ اللهَ أَمِينٌ، الَّذِي لاَ يَدَعُكُمْ تُجَرَّبُونَ فَوْقَ مَا تَسْتَطِيعُونَ، بَلْ سَيَجْعَلُ مَعَ التَّجْرِبَةِ أَيْضًا الْمَنْفَذَ، لِتَسْتَطِيعُوا أَنْ تَحْتَمِلُوا" (١كورنثوس ١٠: ١٣). لم يكتب بولس هذا ليكون مبدأ لاهوتيًّا ساميًا، بل واقعًا عمليًّا حيًّا. فقد اجتاز هو نفسه في امتحانات وضيقات قاسية للغاية حتى إنّه يَئِسَ في بعض الأحيان من الحياة. فقد كان له دراية شخصيَّة ومباشرة بالتجارب.

وفي تجارب بولس الشخصيَّة مع الضيقات، تعلَّم أيضًا بعض الحقائق الهامّة: أنَّ الله أمين! فهو يَفي دائمًا بوعده، ويعتني دائمًا بخاصّته. وهو لا يُطلق لإبليس العنان البتة كي يتصرَّف مع المؤمنين. فكما في قصّة أيوب، قال الله للشيطان: "إِلَى هُنَا تَأْتِي وَلاَ تَتَعَدَّى" و"إِنَّمَا إِلَيهِ لَا تَمُدَّ يَدَكَ." ثم لاحقًا قال له: "بوسعك أن تمسَّ جسده، وَلَكِنِ ٱحْفَظْ نَفْسَهُ."

في حياة بولس نفسه، لم يكُن بوسع "مَلاَكُ الشَّيْطَانِ لِيَلْطِمَنِي" أن يفعل أكثر من هذا. وردًّا على تضرُّع بولس، أجاب الله: "تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تُكْمَلُ" (٢كورنثوس ١٢: ٩). وصل بولس إلى حالة من اليقين الشديد في أمانة الله ونعمته، حتى إنَّه قال شيئًا بمعنى: "هات ما عندك." فقد تيقَّن أنَّ الله لن يسمح لإبليس البتة أن يصيبه بما يفوق قدرته، بنعمة الله التي تُشدِّده، على الاحتمال.

يُصيب إبليس المؤمنين من الخارج كمهاجمٍ، وليس من الداخل كمقيمٍ

إنَّ عالم الأرواح الشريرة وكيفيَّة تأثيرها على المؤمنين دائمًا ما يشوبه سوء فهم وخلط. يحاول بعض المؤمنين التعامُل مع الخطايا التي تُشكِّل صعوبة خاصة – مثل الشهوة، أو الإدمان، أو الغضب، أو الكبرياء – باعتبارها "أرواح"

شهوة، أو غضب، أو غير ذلك. فهم يظنّون أنَّ روح شهوة شرّيرة قد "تملَّكت" حياة المؤمن، ولا بدَّ من انتهارها للخروج منها باسم يسوع.

في عالمٍ نعجز عن رؤيته، لا بدَّ أن نحذر من التخمين. فحين نسمع تعليمًا عن هذا الموضوع، ينبغي أن نتحلَّى بالحكمة، ونطرح بعض الأسئلة الدقيقة: ماذا يقول الكتاب المقدَّس؟ وكيف تناول يسوع والرسل هذا الموضوع؟ وهل هناك سابقة كتابيَّة لما نسمعه من تعليم؟ علينا أن نحذر أيضًا من مخاطر التركيز الزائد عن الحدّ على القوى الشيطانيّة.

حين أعطى يسوع تلاميذه السلطان للمرّة الأولى على العدو، رجعوا إليه بفرح قائلين: "يَا رَبُّ، حَتَّى ٱلشَّيَاطِينُ تَخْضَعُ لَنَا بِٱسْمِكَ!" (لوقا ١٠: ١٧)؛ فأجابهم يسوع: "رَأَيْتُ الشَّيْطَانَ سَاقِطًا مِثْلَ الْبَرْقِ مِنَ السَّمَاءِ. هَا أَنَا أُعْطِيكُمْ سُلْطَانًا لِتَدُوسُوا الْحَيَّاتِ وَالْعَقَارِبَ وَكُلَّ قُوَّةِ الْعَدُوِّ، وَلاَ يَضُرُّكُمْ شَيْءٌ. وَلكِنْ لاَ تَفْرَحُوا بِهذَا: أَنَّ الأَرْوَاحَ تَخْضَعُ لَكُمْ، بَلِ افْرَحُوا بِالْحَرِيِّ أَنَّ أَسْمَاءَكُمْ كُتِبَتْ فِي السَّمَاوَاتِ" (لوقا ١٠: ١٨ - ٢٠). فإنَّ التركيز على طرد الشياطين قد يجعلنا طائشين، فيلهينا عن الأهمّ بما هو أقل أهميَّة؛ كما قد يُضفي على العدو شعبيّة واهتمامًا فوق حدود ما هو صحيٌّ، وإن كان هذا الاهتمام سلبيًّا.

لا يُقدِّم لنا العهد الجديد وصفات سحريّة سواء لتمييز الأرواح الشريرة أو لطردها. لكن حين ندرس نموذج كلٍّ من يسوع والرسل، وتعاليمهم، تتَّضح لنا بضعة أشياء:

١. **يمكن للأرواح الشريرة أن تسكُن الإنسان.** أي، من الممكن أن يُعرِّض البشر أنفسهم لإبليس لدرجة أن يُسيطر عليهم تمامًا. في هذه الحالة، قد يفعلون أو يقولون أشياء غير نابعة منهم، بل يعملها على نحو فوطبيعي الروحُ الشرير الذي يتكلَّم ويتصرَّف مستخدمًا أجسادهم.

٢. **يعجز الشخص الذي يسكنه روح شرّير عن التحرُّر بمفرده.** فهو عاجزٌ عن الإفلات من قبضة الروح الشرير، ومن سيطرته عليه.

٣. **تفتح الخطيَّة ثغرة لإبليس. يبدو أنَّ هناك أنواعًا معيَّنة من الخطايا تفتح ثغرة لإبليس كي يدخل منها.** على سبيل المثال، استخدام القوى الشيطانيّة أو التورُّط في أعمال السحر يفتح الباب أمام اجتياح الشياطين لحياتنا.

٤. **يملك يسوع سلطانًا على العدو.** وقد برهن على ذلك مرارًا وتكرارًا في أثناء خدمته، ومن خلال قيامته أيضًا، إذ رُفع "فَوْقَ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ وَسِيَادَةٍ، وَكُلِّ اسْمٍ يُسَمَّى لَيْسَ فِي هذَا الدَّهْرِ فَقَطْ بَلْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَيْضًا" (أفسس ١: ٢١). لا توجد قوّة شريرة قادرة على أن تُقاومه، وأولئك الذين يَدعون باسمه في إيمان قادرون أن يتحرَّروا من أيّ روحٍ شرير.

٥. **مَن يؤمنون بيسوع يختبرون وجود المسيح الحيّ داخل قلوبهم، ولا يستطيع الشرير أن يضرَّ بهم.** "نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَنْ وُلِدَ مِنَ اللهِ لاَ يُخْطِئُ، بَلِ الْمَوْلُودُ مِنَ اللهِ يَحْفَظُ نَفْسَهُ، وَالشِّرِّيرُ لاَ يَمَسُّهُ" (١يوحنا ٥: ١٨). فإنَّ تعليم العهد الجديد متَّسق وواضح: مَن هم "في المسيح"، يحيا المسيح فيهم. هؤلاء قد يجرِّبهم إبليس وشياطينه، وقد يهاجمونهم، ويعرقلونهم، ويضايقونهم؛ لكن هذا كلّه فقط من الخارج، وليس من الداخل كمقيمين.

ولهذا، كي ننجح في مواجهة خطيَّة متعمِّقة الجذور، ينبغي أن نتحلَّى بالحكمة والتوازن. فمن ناحية، علينا ألاّ ننكر حقيقة إبليس، أو قدرته على اقتناص البشر في فخ الخطيَّة؛ ومن ناحية أخرى، علينا ألاّ نعتبر إخراج الشياطين حلاًّ سريعًا لخطيَّة اعتياديّة. أشار ستيف غالاغر، في كتابه بعنوان *"At the Altar of Sexual Idolatry"* (عند مذبح الوثنيّة الجنسيَّة) إلى هذه الحاجة إلى التوازن، قائلًا:

"كثيرون ممَّن يعملون في مجال إخراج الشياطين يُبالغون في التركيز على الدور الذي تلعبه الأرواح الشريرة في الخطايا الاعتيادية. ويبدو أنَّ هؤلاء

يبحثون عن حلٍّ سهلٍ، أو ربما هم فقط مفتونون بفكرة إصدار الأوامر للأرواح الشريرة.

على النقيض الآخر، هناك من يدَّعون أنَّ جميع مشكلات الإنسان سببها الوحيد هو الإنسان نفسه. هذا أيضًا خطأ مساوٍ في القدر. يفضِّل هؤلاء عدم التفكير في وجود قوى شيطانيَّة تَعمَل في هذا العالم."[1]

إنَّ العدو حقيقيٌّ. وهو يستخدم أساليب متنوِّعة لإسقاط المؤمنين؛ فقد يجرِّبهم ويغويهم بارتكاب الخطيَّة؛ وقد يُضايقهم بالمشقات والضيقات. يَعلَم المؤمنون جيّدًا أنَّ الله أمين، وأنَّه لن يسمح بتجارب أو امتحانات تفوق قدرة احتمالهم. لدى الله دائمًا مقاصد من وراء ما يسمح به في حياتنا، وحين نلجأ إليه طلبًا للمعونة، ننال اليقين بأنَّ نعمتَه كافيةٌ لكلِّ ما نواجهه.

للمزيد من الدراسة:

١. ما هي الامتحانات أو الضيقات التي شكَّلت صعوبة خاصة في حياتك؟
٢. كيف جُرِّبتَ في أثناء تلك الضيقات أو الامتحانات؟
٣. ما هي الحقائق التي يلزَم أن تُبقيها نصب عينَيك كي تتمكّن من مقاومة هذه التجارب؟
٤. صف بكلماتك الخاصة دور إبليس في تجربة المؤمنين.
٥. اقرأ النصوص التالية، ثم اذكر ما تعلَّمته منها عن التجربة، وعن إبليس، وعن إخراج الشياطين.
   أ. متّى ١٢: ٤٢-٤٥
   ب. متّى ١٧: ١٤-٢١

1 Steve Gallagher, *At the Altar of Sexual Idolatry* (Pure Life Ministries, Dry Ridge, Kentucky, 2000), p. 190.

ج. لوقا ٢٢: ٣١ و٣٢

د. ١تسالونيكي ٢: ١٨

هـ. ٢تيموثاوس ٢: ٢٦

و. عبرانيين ٢: ١٤

ز. ١يوحنا ٤: ٤

الفصل الثاني

فَهم التجرِبة الجنسيَّة

لاَ يَسْتَخفُّونَ بالسَّارِقِ وَلَوْ سَرِقَ لِيُشْبِعَ نَفْسَهُ وَهُوَ جَوْعَانٌ. أَمَّا الزَّانِي بِامْرَأَةٍ فَعَدِيمُ الْعَقْلِ. الْمُهْلِكُ نَفْسَهُ هُوَ يَفْعَلُهُ. ضَرْبًا وَخِزْيًا يَجِدُ، وَعَارُهُ لاَ يُمْحَى."

أمثال ٦: ٣٠، ٣٢ و٣٣

جميع الخطايا خاطئة. لكن كما توحي الأعداد أعلاه، بعض الخطايا لها عواقب أشدّ من الأخرى. نودّ في هذا الفصل أن نستكشف على نحو أكثر تحديدًا طبيعة الخطيَّة الجنسيَّة والتجارب المحيطة بها. وإنَّ سفر الأمثال حافلٌ بالإرشادات، والتحذيرات، والمبادئ المتعلِّقة بالتجربة الجنسيَّة؛ وهذا يبيِّن ليس فقط كثرة المخاطر المحيطة بهذا الجانب من حياتنا، بل أيضًا أنَّه لطالما كان يشكِّل أزمة عبر القرون.

الشغف الجنسيّ دافعٌ بشريٌّ شديد القوّة

على الرغم من أنَّ سيغموند فرويد كان مخطئًا في اعتقاده بأنَّ الدافع الجنسيّ هو المحرِّك الأساسيّ للسلوك والفكر البشريّ، لكن حَوَت نظريّته ما يكفي من الحق الذي أضفى عليها معقوليّة ومصداقيّة وشعبيّة لبعض الوقت. فإنَّ المحرِّكات والمحفِّزات الجنسيَّة قويَّة؛ وقد شُبِّهت بالخيول البرية (التي يلزم ترويضها)، وبالنيران (التي يمكن أن تخرج سريعًا عن السيطرة)، وبتيار كهربائيّ عالي الجهد، وبالعديد من القوى العاتية الأخرى.

ونظير جميع الأشياء التي تتَّسم بالقوة، تكمُن داخل الشغف الجنسيّ طاقة خير؛ لكن حين يُستخدَم بشكلٍ خاطئ، أو يَخرُج عن السيطرة، حتمًا سيكون مدمِّرًا.

يُشكِّل تَعَلُّمنا التحكُّم في دوافعنا الجنسيَّة جزءًا هامًّا من نضوجنا. هذا التحكُّم ليس هو قمع الرغبة أو إنكار وجودها من الأساس، بل بالأحرى إلزامها بالعمل وفقًا للإرشادات التي وضعها الله، لأجل وقايتها وادِّخارها للاستخدام المعيَّن لها. يشمل هذا الآتي:

١. الإقرار بأنَّ الدوافع والرغبات الجنسيَّة جزءٌ من خطة الله لنا.
٢. تقديم الشُّكر لله لأنَّه خلقنا كائنات جنسيَّة.
٣. تعلُّم التطلُّع إلى الجنس الآخر باعتبارهم مخلوقات كاملة، وليس التطلُّع إليهم أو تقييمهم فقط بناءً على جاذبيّتهم الجنسيَّة.
٤. الالتزام والتعهُّد بممارسة الجنس فقط بحسب المقاصد الإلهيَّة - أي أن يكون تعبيرًا عن المحبة والالتزام داخل إطار الزواج.
٥. رفض جميع الإلحاحات والمحفِّزات التي تدفعنا لإشباع هذا المحرِّك القويّ بطرق خاطئة.
٦. وضع إجراءات وقائيّة واضحة ضدّ الخطيَّة وضدّ سبل محدَّدة للتجربة.

يُشكِّل تعلُّمنا التحكم في هذه الرغبة القويّة قبل الزواج خطوة هامَّة في سبيل إدارتها بحكمة داخل إطار الزواج. فإنَّ الزواج ليس دعوة إلى إطلاق العنان لكلِّ شغف جنسي؛ بل كي تصير ممارسة الجنس تعبيرًا عن المحبة، يلزم توجيهها جيدًا – أي ضبطها، وإدارتها، والحفاظ على تركيزها السليم.

عادةً ما يكون التحكُّم في الرغبة الجنسيَّة عمليّة مستمرَّة. فإنَّنا لا بدَّ أن نتعامل باستمرار ليس فقط مع الرغبة القويّة بالداخل، بل أيضًا مع الإلحاح المستمر من مجتمع فاسد من الخارج. فإنَّ عدم الاحتشام، والتودُّد، والدعابات البذيئة، والخيانة الزوجيَّة، والأغاني والأفلام والكتابات المليئة بالإثارة جميعها جزءٌ من مجتمعنا، وجميعها تمارس ضغوطًا مستمرّة على الشباب والفتيات، دافعة إياهم إلى تلبية رغباتهم الجنسيَّة على نحوٍ يُخالف إرشادات الله. وتَشمَل عمليَّةُ اكتساب قوّة واستقامة أخلاقيَّة تعلُّمَ كيفيَّة تجنُّب الأماكن المثيرة للتجربة، والحزم بشأن الالتزام بالطهارة الأخلاقيَّة، وتنظيم العلاقات بطرق صحيَّة.

حين يخرج الشغف الجنسيّ عن السيطرة، ينحرف

رأينا في الفصل الأوَّل أنَّ الرغبات، بحسب معناها في اللغة الأصليّة، صالحة؛ هكذا أيضًا الرغبة الجنسيَّة. لسنا نقصد بهذا أنَّ كلّ ما يرغب فيه المرء جنسيًّا هو صوابٌ، ولا سيّما حين تُثار الرغبات والمشاعر الجنسيَّة بفعل الاستخدام الخاطئ.

حين يحاول الإنسان إشباع أعمق أشواق النفس إلى الله بشيء ملموس- كالمال، أو المقتنيات، أو الطعام والشراب، وما إلى ذلك –يزداد تعطُّش روحه؛ وكذا الحال مع الشغف الجنسي: فكلّما غذَّاه المرء بمتعة غير مشروعة، اشتدَّت قوته، وازداد سعيه وراء المحظور. فإنَّ الرجل المتزوّج الذي يتَّجه إلى مشاهدة المواد الإباحيَّة يصل بشغفه وشهوته إلى مستويات أعلى، بينما يتناقص في الآن ذاته شبعه الجنسيّ. حينئذٍ، تدفعه رغبته المتّقدة وقلبه الخاوي إلى البحث عن المزيد من الإثارة - فينتقل من نساء وهميات إلى نساء حقيقيات؛

الأمر الذي هو أيضًا غير مشروع. وطوال الوقت تدفعه إحباطاته إلى تجربة وسائل جديدة.

"فَأَمِيتُوا أَعْضَاءَكُمُ الَّتِي عَلَى الأَرْضِ: الزِّنَا، النَّجَاسَةَ، الْهَوَى، الشَّهْوَةَ الرَّدِيَّةَ، الطَّمَعَ الَّذِي هُوَ عِبَادَةُ الأَوْثَانِ" (كولوسي ٣: ٥). تَنجَح الكلمة اليونانيَّة *pathos*، التي تُرجمت "الْهَوَى" في هذه الآية، في التعبير عن مفهوم الرغبة المتَّقدة – أي الرغبة الطبيعيَّة التي تصير غير طبيعيَّة بفعل تحفيز أو إثارة غير لائقة لها. فحين نتجاهَل إرشادات الله بشأن الشغف الجنسيّ، لن تظلَّ الرغبة نقيَّة، بل تنحرف – أي تسعى وراء المحظور مفضِّلة إياه على المشروع. هذه الرغبة المنحرفة لا تظهر في صورة أفعال خاطئة فحسب، بل تصير خاطئة في جوهرها.

يصف الرسول بولس هذا بأكثر قوة في الأصحاح الأوَّل من رسالة رومية: "لِذلِكَ أَسْلَمَهُمُ اللهُ أَيْضًا فِي شَهَوَاتِ قُلُوبِهِمْ إِلَى النَّجَاسَةِ، لإِهَانَةِ أَجْسَادِهِمْ بَيْنَ ذَوَاتِهِم. لِذلِكَ أَسْلَمَهُمُ اللهُ إِلَى أَهْوَاءِ الْهَوَانِ، لأَنَّ إِنَاثَهُمُ اسْتَبْدَلْنَ الاسْتِعْمَالَ الطَّبِيعِيَّ بِالَّذِي عَلَى خِلاَفِ الطَّبِيعَةِ، وَكَذلِكَ الذُّكُورُ أَيْضًا تَارِكِينَ اسْتِعْمَالَ الأُنْثَى الطَّبِيعِيَّ، اشْتَعَلُوا بِشَهْوَتِهِمْ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، فَاعِلِينَ الْفَحْشَاءَ ذُكُورًا بِذُكُورٍ، وَنَائِلِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ جَزَاءَ ضَلاَلِهِمِ الْمُحِقَّ"؛ أو كما تقول الترجمة الإنجليزية NIV: "آخذين في أنفسهم العقوبة المستحَقَّة عن انحرافهم" (رومية ١: ٢٤، ٢٦ و٢٧).

صمَّم الله العلاقة الجنسيَّة كي تكون اختبار ترابط قوي داخل إطار الزواج – أي تعبيرًا عميقًا عن محبةٍ والتزام مدى الحياة بين زوج وزوجة. وتُمثِّل طبيعتها الحسِّية الشديدة تعبيرًا ملموسًا عن غير الملموس. لكن حين تُشبَع هذه الرغبة القوية بطرق خاطئة، تفسَد. عندئذٍ، يتحوَّل الطبيعيّ إلى غير طبيعيّ؛ ويتحوَّل الشيء الذي قُصد به أن يكون نافعًا وصائبًا إلى شيء ضارٍ وشرير.

حين يُطلَق العنان للشغف الجنسيّ، يهدم هذا العلاقات

حين يصير الجنس غاية في حدّ ذاته، وليس تعبيرًا عن المحبة، يصبح أنانيًّا في طبيعته، ويقاوم الضوابط. لا تترعرع هذه الرغبة الجنسيَّة غير المنضبطة داخل علاقة، ولا تسعى إلى التعبير عن التزام داخل علاقة. فإذ أُطلق لها العنان كي تبحث فقط عن المتعة الحسيَّة، تتجنَّب الدخول في علاقات.

بتعبير آخر، ذلك الرجل الذي يبحث فقط عن المتعة الجنسيَّة لا يفكِّر سوى في ذاته، وفي كيفيَّة تلبية رغباته. فهو يعتبر أنَّ "نحن" في الأساس وسيلةٌ لإشباع "أنا". ولذا، فهو يريد امرأة وليس زوجة. وإذ نادرًا ما تَقنَع امرأة حقيقيَّة بأن تُستغَل في أنانية، أو أن تعيش فقط (أو حتى بشكلٍ رئيسي) لأجل متعة الرجل الجنسيَّة، يتَّجه هذا الرجل سريعًا إلى امرأة افتراضيَّة عوضًا عن امرأة حقيقيَّة. فداخل عقله، هذه المرأة الخياليَّة وُجدت من أجله فقط - فهي على استعداد أن تفعل كلَّ ما يريد، وقتما وكيفما أراد. لا يمكن لأية امرأة حقيقية أن تكون هكذا؛ لكنّها في المقابل تستطيع أن تُمثِّل له أكثر من هذا بكثيرٍ، لأنَّ الحياة والعلاقات والزواج هي أكثر بكثير من ممارسة الجنس. لكن إذ صارت ممارسة الجنس محور حياته، يفوته هذا "الأكثر بكثير"، بل ويُفسِد المعنى الحقيقيّ (والجوهر الغنيّ) للإشباع الجنسيّ.

والنتيجة هي أنه كلّما ازدادت أنانيَّة وعدم انضباط الرغبات والشهوات الجنسيَّة، قلَّت قدرة المرء على تكوين علاقات حقيقيَّة، والحفاظ عليها. فهو يخلق في ذهنه صورة لا يمكن أن يُضاهيها أي إنسان طبيعيّ؛ وسواء عن وعي أو عن غير وعي، يمارس الضغط على الأشخاص الحقيقيّين الموجودين في حياته كي يتغيَّروا إلى تلك الصورة غير الواقعيّة. يهدم هذا الضغط العلاقات. ويرى الرجل أنَّ هذه العلاقة موجودة فقط كي تخدم شغفه الجنسيّ، الشيء الذي يخالف التصميم الإلهيّ بأن يكون الشغف الجنسيّ وسيلة تعبير عن محبة والتزام.

ينطبق الأمر ذاته أيضًا، بالتأكيد، على امرأة تقضي وقتها في الانغماس في تخيُّلات عن الرجال. وإذ تعيش في عالم من نسج خيالها، أو من تصوُّرات أمدَّتها بها المسلسلات أو الروايات الرومانسيّة المفضَّلة لديها، تخلق صورة ذهنيّة لا يمكن أن يضاهيها أي رجل حقيقيّ.

للمزيد من الدراسة:

١. "الرغبة الجنسيَّة صالحة". كيف يمكن فهم هذا التصريح فهمًا صحيحًا، وكيف يمكن فهمه فهمًا خاطئًا؟

٢. بناءً على رومية ١: ١٨ وما بعده، اذكر بعض نتائج التساهُل مع الرغبات الجنسيَّة من دون أية ضوابط.

٣. وفقًا لنص كولوسي ٣: ٥، ما هي الإجراءات التي ينبغي اتّباعها للتعامل مع رغبات جنسيَّة متَّقدة؟ وماذا نفهَم من هذه الإجراءات الصارمة عن تلك الرغبات؟

٤. قدِّم أمثلة تُبيّن كيف يمكن لشخص يسعى وراء ممارسة الجنس كغاية في حدِّ ذاته أن يتجنَّب الدخول في علاقات. ما هي التأثيرات بعيدة المدى التي قد يؤدّي إليها هذا؟

٥. كيف تعجز امرأة حقيقيّة عن استيفاء صفات امرأة خياليَّة؟ وكيف تعجز امرأة خياليَّة عن الارتقاء إلى مستوى امرأة حقيقيَّة؟

٦. كيف يعجز رجل حقيقيّ عن استيفاء صفات رجل خياليّ؟ وكيف يعجز رجل خياليّ عن الارتقاء إلى مستوى رجل حقيقيّ؟

٧. كيف يمكن أن تؤثر ممارسة التخيُّل الجنسيّ على شخصيَّة الرجل أو المرأة؟

التجربة الجنسيَّة هي أيُّ إلحاحٍ لإشباع الرغبة الجنسيَّة على نحوٍ يُخالف إرشادات اللّه

كما رأينا في ما سبق، صمَّم الله ممارسة الجنس كي تكون وسيلة تعبير عن المحبّة الزوجيَّة. وإنَّ التجربة هي أن نُغوى بإشباع الرغبة الجنسيَّة بطريقة مختلفة. وهذا قد يشمل:

- أيَّ نوع من العلاقات الجنسيَّة خارج إطار الزواج.
- أيّة تخيّلات عن علاقات جنسيَّة خارج إطار الزواج.
- استغلال شخص آخر للإثارة الجنسيَّة، حتى إن لم يؤدِّ ذلك إلى علاقة جنسيَّة.
- محاولة إثارة الرغبة الجنسيَّة لدى شخص آخر (ليست استثارة الرجل من ملابس النساء "خطأ الرجل" وحده، بل إنَّ المرأة التي ترتدي الملابس الكاشفة لمنطقة الصدر والثديين، والتنانير القصيرة، والملابس المشقوقة، وغير ذلك، تدعو الرجال إلى أن يخطئوا بعيونهم وأذهانهم، وإن حرمتهم من المتعة الجنسيَّة المباشرة معها).
- اختراق خصوصيّة الآخر سواء بالنظر أو باللمس.
- قراءة (أو مشاهدة) المغامرات الجنسيَّة لآخرين.
- اللعب على وتر الرغبة الجنسيَّة لترويج أو بيع سلعة ما؛ وفي هذا الشأن يُعَدّ عالمُ الدعاية خادعًا على نحوٍ وقح.

هذه التجارب، بالإضافة إلى تجارب أخرى بإثارة أو إشباع الرغبات الجنسيَّة، متفشِّية في مجتمعنا؛ لكنَّها ليست بالأمر الجديد. كتب بولس إلى المؤمنين الجدد في تسالونيكي يقول: "لأَنَّ هذه هِيَ إِرَادَةُ اللهِ: قَدَاسَتُكُمْ. أَنْ تَمْتَنِعُوا عَنِ الزِّنَا، أَنْ يَعْرِفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ أَنْ يَقْتَنِيَ إِنَاءَهُ بِقَدَاسَةٍ وَكَرَامَةٍ، لاَ فِي هَوَى شَهْوَةٍ كَالأُمَمِ الَّذِينَ لاَ يَعْرِفُونَ اللهَ" (١تسالونيكي ٤: ٣- ٥). فإنَّ الخطايا الجنسيَّة تمثِّل

أزمة في كلّ مجتمع، ويضع كلّ مجتمع بعض القوانين محاولاً التحكُّم في هذا الدافع والمحرّك القويّ. لكن، أينما وُجِدت تلك القوانين، يبحث الرجال والنساء عن سبلٍ للتحايُل على الضوابط.

كما رأينا بالفعل، وضع الله إرشادات محدَّدة تخص ممارسة الرغبة الجنسيَّة وإشباعها. فهو ليس ضد التعبير الجنسي، لكنَّه صمَّم العلاقة الجنسيَّة لتكون قوّة تلاحُم شديدة داخل إطار الزواج. لكن بعيدًا عن هذا الطريق المستقيم للطهارة الجنسيَّة، توجد الآلاف من الطرق الفرعيّة للمتعة غير المشروعة.

يريد لنا إبليس أن نصدِّق أنَّنا نحرِم أنفسنا إذا ما تقيَّدنا بمقاييس الله. فهو يُصوِّر لنا الطريق الصالح وكأنّه مضجر وغير جذاب، ويضيء السبيل إلى الخطايا الجنسيَّة بشاشات عرض مبهرة وساطعة، مليئة بِمُتَعٍ سامّة. كما قال كاتب سفر الأمثال، مَن يصغون إلى هذه الأكاذيب لا يعلَمون أنَّ خطواتهم تقودهم إلى الخراب والموت. "ذَهَبَ وَرَاءَهَا لِوَقْتِه، كَثَوْرٍ يَذْهَبُ إِلَى الذَّبْحِ، أَوْ كَالْغَبِيِّ إِلَى قَيْدِ الْقِصَاصِ، حَتَّى يَشُقَّ سَهْمٌ كَبِدَهُ. كَطَيْرٍ يُسْرِعُ إِلَى الْفَخِّ وَلاَ يَدْرِي أَنَّهُ لِنَفْسِهِ. طُرُقُ الْهَاوِيَةِ بَيْتُهَا، هَابِطَةٌ إِلَى خُدُورِ الْمَوْتِ" (أمثال ٧: ٢٢ و٢٣، ٢٧).

للمزيد من الدراسة:

١. ما هي أوجُه التطابق بين إرشادات الله بشأن ممارسة الجنس لكلٍّ من الرجال والنساء؟

٢. اذكر أمثلة عن بعض الإرشادات التي تبدو خاصة بنوع جنسٍ معيَّن. بمَ توحي هذه الاختلافات عند الرجال والنساء؟

٣. هل يمكن أن تُستخدَم (أو هل استُخدِمت) الإرشادات الخاصة بنوع جنس معيَّن لخلق ازدواجيَّة؟

٤. كيف أبدى يهوذا ازدواجيَّة في تكوين ٣٨: ١٢-٢٦؟ هل تظنّ أنّ هناك مشكلات مثل هذه في مجتمعنا؟

٥. تأمَّل معي في هذا التناقض الموجود في مجتمعنا: ترتدي النساء ملابس تلفت أنظار الرجال إلى أجسادهنّ، بينما يُنكرنَ أنَّ مظهرهنَّ مثير، أو يؤكّدنَ أنَّ هذه مشكلة الرجل. ما تفسيرك لهذا التناقض؟

تُطالب الخطايا الجنسيَّة بغطاءٍ

جميع الخطايا تلتمس أن تستتر. تلك هي طبيعة الخطيَّة – فهي لا تحتمل النور، وتمقُت الفضح، وتبحث عن أيّ عذرٍ لتبرِّر نفسها. قال يسوع: "لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ السَّيِّئاتِ يُبْغِضُ النُّورَ، وَلاَ يَأْتِي إِلَى النُّورِ لِئَلاَّ تُوَبَّخَ أَعْمَالُهُ" (يوحنا ٣: ٢٠). لكن إذ تُسبِّب الخطيَّة الجنسيَّة، على وجه التحديد، خزيًا شديدًا، تسعى إلى إخفاء نفسها وراء أغطية لا حصر لها حتى تبدو مشروعة.

يفعل أولئك الذين يستسلمون للخطيَّة الجنسيَّة ذلك من خلال اعتناق أكاذيب؛ فيصدِّقون أفكارًا هي ببساطة غير صحيحة، ثم يتمادون في تشويه الحقيقة - داخل أذهانهم وأذهان الآخرين - حتى يتمكَّنوا من التعايش مع الشعور بالذنب من جراء خطيّتهم الجنسيَّة. في ما يلي قائمة مختصَرة من الأساليب التي بها يحاول مرتكبو الخطايا الجنسيَّة إخفاء خطاياهم:

١. **يستخدمون مصطلحات تجعلها تبدو غير ضارة.** على سبيل المثال؛ يطلقون عليها "مجرد لعب" أو "عبث"، أو يقولون إنَّهم فقط "يتفقَّدون بعض الأشياء" أو "يلعبون لعبة الطبيب".

٢. **يلقون اللوم من جهة تصرفاتهم على آخرين.** فيقولون "هي التي سعت وراء حدوث ذلك"، أو "لقد أعجبها الأمر"؛ أو إنَّها كانت تسعى وراء حدوث ذلك بأفعالها أو سلوكها. يُلقي بعض الرجال اللوم من جهة خطاياهم الجنسيَّة على

زوجاتهم - فلأنَّ زوجاتهم باردات جنسيًّا، أو لا يُبدين تعاونًا مع رغباتهم الجنسيَّة، يحق لهم أن يحصلوا على رغبتهم من مكانٍ آخر.

٣. **يُقدِّمون تبريرات.** بمعنى أنَّهم يبحثون عن "أسباب" يبدو أنَّها تُبرِّر خطيَّتهم. فعلى سبيل المثال، قد يقول زوج عن العادة السريَّة: "هذا أفضل من الخيانة الزوجيَّة". أو قد يبرر رجلٌ مشاهدته المواد الإباحيَّة قائلًا إنه يُجري دراسة ما، أو يريد أن يكون ملمًّا بالتيارات الحاليّة. وقد يُبرِّر مدمن للإباحيّة موقفه بقوله إنَّ التطلّع إلى نساء أخريات يجعله أكثر قدرة على إرضاء زوجته. وقد تستخدم امرأة عذرًا مماثلًا لتبرير قراءتها الأدب الرومانسي. ربما يقول رجل إن نشاطه الجنسيّ "يفوق المعتاد"، مما يعني في ذهنه أنّه يتحمَّل مسؤوليّةً أقلّ من سائر الرجال الآخرين عن خطاياه الجنسيَّة.

٤. **يعوِّضون عن شعورهم بالذنب باللطف، أو السخاء، أو "الورع".** فتُظهِر الواجهة الخارجيّة التي يراها الآخرون لطفًا ومراعاة لمشاعر الآخرين؛ أو ابتسامة حاضرة وسريعة، واستعدادًا لفعل "أي شيء لأجل الآخرين". أو قد ترتدي هذه الواجهة قناع التقوى، أو "التحفُّظ" المفرط، أو الصرامة في تطبيق القوانين المنزليّة أو الكنسيّة. تمنع هذه الواجهة الصالحة الآخرين من رؤية القذارة القابعة بالداخل (أو حتى الشك في وجودها).

٥. **يُخفون الخطيَّة أو عواقبها تحت عباءة من الغفران.** بمعنى أنَّهم يقولون بكلِّ سهولة "أعتذر"، ثم يطالبون الآخرين بأن يغفروا لهم، ويعني هذا الغفران لهم إلقاء الأمر وراء ظهورهم تمامًا، وعدم التطرُّق إليه مرة أخرى. قد يصل الأمر بهؤلاء إلى اتّهام الآخرين بعدم الغفران، حين يحتاج من تعرّضوا للاستغلال منهم إلى مواجهة العواقب.

٦. **يلقون اللوم على الله.** فيطرحون أسئلة من قبيل، "لماذا سمح الله أن أُشاهد ذلك الإعلان؟" أو "لماذا خلقنا الله بهذه الدوافع والمحركات القوية؟" أو "لماذا جعلني أُجري هذه المكالمة الهاتفيّة؟"

خلاصة القول هي أنَّه كي يتعايش الرجال والنساء مع الشعور بالذنب من جراء الخطايا الجنسيَّة، يتعلَّمون تشويه الحقائق؛ فينشئون عادات من قبيل التحريف، أو سوء الوصف أو التصنيف، أو التقليل من شأن الأمر، أو المبالغة، أو إلقاء اللوم، أو قول جزء من الحقيقة، أو ارتداء أقنعة وواجهات، أو الكذب الصريح بشأن أفعالهم، وهذا حتى يتمكّنوا من التعايُش مع خطاياهم.

تتوغَّل هذه العادات غير الأمينة بعمق داخل مَن يعيش في الخطيَّة الجنسيَّة، وتنتشر إلى جوانب أخرى أيضًا من حياته.

لدينا مثال عن هذا في الكتاب المقدَّس، وهو قصة شمشون، ذلك الرجل الذي كان لديه انجذاب كارثيّ ومميت نحو النساء الفلسطينيات. كان شمشون أيضًا مخادعًا، ومناورًا، وكاذبًا. فقد أخفى خططه عن والديه، واستعمل الخداع في تعاملاته مع الفلسطينيين، وكذب كذبًا صريحًا على نسائه. والأمر المثير للسخرية أنه سقط في أيدي الفلسطينيين بفعل مكيدة دبرتها له امرأة مخادعة، في الوقت ذاته الذي كان يلعب فيه بنيران الخطيَّة الجنسيَّة.

تُصاحب عادات الخداع دائمًا أنماط الفجور. وهذا أمر مؤسف، ولا سيما في الكنيسة. فإنَّ شعب الله مدعوّون إلى الابتعاد عن الخطيَّة، ويُنتظَر منهم السلوك بالقداسة، وإظهار أنّهم جديرون بالثقة. لكن، يتعمَّد بعض مَن يعيشون في الخطيَّة الجنسيَّة استخدام قناع من التقوى لإخفاء خطاياهم.

في رواية *"The Scarlet Letter"*، يحكي ناثانيال هاوثورن قصة راعي كنيسة خان زوجته مع سيِّدة من أعضاء كنيسته. وإذ كان يعاني تحت وِزر شعوره بالذنب، امتلأت عظاته بتعبيرات احتقار للذات، حتى إنّ سامعيه فسروا هذا بأنّه اتضاع شديد. وكلّما ازداد إعجابهم بقداسته، اشتدّ شعورُه بالخزي من جراء خطيّته.

جميع الأغطية التي تُستخدَم لإخفاء الخطيَّة خاطئة، لكن يبدو أنَّ استخدام غطاء "البر" أمرٌ مشينٌ بصفة خاصة في نظر الله والناس. فإنَّ الرجل الذي يُخفي إدمانًا للإباحيّة وراء ستار خدمة رائعة في مدارس الأحد؛ والكاهن الذي يستغلّ منصبه للحصول على خدمات جنسيَّة من الفتيان الذين يخدمون المذبح؛ والأب الذي يصف ملاطفته لابنته بأنّه واجبٌ من نحوها ليعلِّمها بشأن حياتها الجنسيَّة، أو أنه يلبِّي احتياجاتها؛ والرجل الذي يُخفي عادة تصفُّح المواقع الإباحيَّة على الإنترنت وراء قناعٍ من طيبة القلب، والاستعداد "لفعل أي شيء لأي إنسان" - جميع هذه أغطيةٌ مروِّعة وباهظة التكاليف. أوَّلًا، هناك تكلفة تطال اسم الله وسمعة شعبه. ثم، تكلفة تطال عائلة الشخص وعلاقاته. وأخيرًا، هناك تكلفة تطال روح الشخص ذاته. **فإنَّ الخطيَّة المخفاة تفتك بهويّة المرء.** بالنسبة إلى أي مشاهدٍ من الخارج، يزيد استخدام البرّ كغطاء خادع للخطيَّة الجنسيَّة من قبح تلك الخطيَّة. ومن المفارقة العجيبة أنَّ الوعي بنظرة الآخرين لهذا الرياء هو نفسه الذي يُغذِّي خداع الخطاة جنسيًّا "الأبرار". بل وقد يصير الإخفاء نمط حياة حتى إنَّ المخطئ نفسه في النهاية لن يعرف متى يكون حقيقيًا ومتى يكون مدَّعيًا.

التجربةُ الجنسيَّة والرغبةُ الجنسيَّة عادة ما تختبئان وراء أفعالٍ مشروعة

سبق أن تحدَّثنا عن هذا إلى حدٍّ ما حين استعرضنا كيفيَّة استخدام الشخص قناعًا من "التقوى" كي يُخفي وراءه خطيَّته الجنسيَّة. لكن هناك المزيد أيضًا من أساليب إخفاء الرغبات الجنسيَّة غير المشروعة وراء أفعال مشروعة.

قد يكتشف رجل وامرأة أنَّهما منجذبان بعضهما إلى بعض؛ فيبدأان بالتحدُّث معًا عن حياتهما الخاصة، بل وربما يشعران بإلحاح رغبتهما لبعض، لكن يدَّعيان أنَّ العلاقة بينهما هي "مجرد صداقة". هذا الغطاء جذابٌ جدًا، ولا سيما

حين يكونان عالمَين بخطأ نشأة علاقة خاصة بينهما (على سبيل المثال، إن كان أحدهما أو كلاهما متزوجًا من شخص آخر، أو إن كانت تربطهما علاقة عائليَّة وثيقة). فهما لا يستطيعان تحمل تكلفة التحلِّي بالصدق من جهة وجود انجذاب أعمق، ولهذا يجدان مبرِّرًا "مشروعًا" للوقت الذي يقضيانه سويًا.

قد يقضي مديرٌ وقتًا مع مديرة مكتبه "كي يطَّلع على سير العمل"، بينما هو مدفوع برغبة دفينة في قضاء المزيد من الوقت معها. أو قد يقترب منها بجسده "كي يتفحَّص شيئًا ما على مكتبها"، بينما هو في الحقيقة مسوق برغبته في التقارب الجسدي.

وقد يقضي المتزوجون بعض الوقت سويًا مدَّعين أنَّهم "أصدقاء مقرّبون"، بينما في الخفاء، كلٌّ منهم منجذب إلى شريك حياة الآخر.

وقد يمر راعي كنيسة على منزل "للزيارة"، أو يقضي الوقت في التحدث مع السيّدات "لأنَّه مهتمٌّ بهنّ"، بينما هو في الواقع يُسَرُّ حين يفتحن قلوبهنَّ ودواخلهنَّ أمامه، وبقدرته على استمالة قلوبهنَّ، وبالتقارب العاطفي الذي يختبره معهنَّ. ولكلا الطرفَين، قد يكون هذا التقارب العاطفي في النهاية سبيلاً إلى تقارب جسديّ – من قبيل لمسة، وعناق، وأخيرًا قد يتجاوز الأمر هذا.

وقد يعانق الرجال والنساء بعضهم البعض داخل العلاقات العائليَّة الأكبر، أو داخل "الشركة الوثيقة" لجماعة واحدة، ويقولون إنَّ هذه "عائلتي" أو "مثل عائلتي"، بينما الدافع الخفي وراء هذا حِسِّي.

وقد يبدأ رجل في معاملة امرأة (أو التحدّث عنها) تصغره في العمر باعتبارها "أختي الصغيرة"، وربما تبدأ هي أيضًا بالإشارة إليه كـ"أخي الأكبر"؛ في حين أنهما، في حقيقة الأمر، يغذِّيان رغبتهما في الحميميّة العاطفيّة، بل وفي النهاية رغبتهما في المزيد.

الحقيقة هي أنَّ هذه الأفعال والعلاقات لها مكانتها المشروعة في حياتنا، فقد يحتاج المدير بالفعل إلى العمل على حلٍّ مشكلة ما في العمل بمساعدة مديرة مكتبه، وقد تجمع بين الأزواج علاقات صداقة جيدة، فيقضون الوقت سويًّا، كما يلزم أن يتداخل رعاة الكنائس بالفعل في حياة أعضاء كنائسهم. ومن الصائب التعبير عن المشاعر داخل العائلة أو إظهار التعاطف داخل الكنيسة. وفي بعض الأحيان أيضًا، قد يشغل شخصٌ من خارج العائلة بالفعل مكانةً وكأنّه فرد منها.

لكن تكمُن فاعليّة هذا الغطاء بالتحديد في مشروعيّته. يمكن استخدام هذه الأفعال والعلاقات كستارٍ للرغبة الجنسيَّة. نخطئ بالفعل إن رفضنا كلّ صداقة، أو تقارب، أو اهتمام لأنَّ استخدامها كأغطية لإشباع الرغبات الحسيّة يُشكِّل خطرًا. لكن علينا أن ننتبه إلى كلٍّ من قوّة شغفنا الجنسيّ، وقدرتنا على إخفائه.

فحين يقول أحدهم، "نحن مجرد أصدقاء،" أو "هو بمثابة أخي الأكبر"، يجب أن يطلق هذا صفّارة الإنذار. ففي المعتاد، حين تكون العلاقة صحيّة وسليمة، لن يحاول أحدٌ إضفاء شرعيّة عليها. فإنَّ هذه التوضيحات والتبريرات تُثير القلق، ولا سيما حين تُقدَّم لتبرير ممارسة حريات تتعدَّى الحدود اللائقة، مثل اللمس (ولا سيما لمسات المزاح)، أو قضاء أوقات كثيرة وطويلة معًا، أو مكالمات هاتفيَّة طويلة.

إذا كانت الرغبة الجنسيَّة هي الدافع الخفيّ وراء أفعال تبدو ظاهريًّا بريئة، حتمًا سينكشف هذا في النهاية. ففجأة، لن تتمكَّن اللمسات أو الأحاديث الحميميَّة من إخفاء الدافع الكامن وراءها. وحين يتواجد الشخصان بمفردهما، وينظر أحدهما في عينَي الآخر، يسقُط القناع في الحال كاشفًا الدوافع الحقيقيَّة. كثيرون سقطوا عند هذه النقطة. فقد أُضرِمت الشهوة، أحيانًا بشكلٍ خفيّ وسريّ للغاية حتى إنَّ الشخص نفسه لم يكن يعي هذا، لكنَّها مع هذا ظلَّت تُضرَم.

ولهذا، حين يحدث إقرار متبادل بالرغبة المتَّقدة، يكون الوضع قد صار أقوى من أن يقاوَم.

ثمَّة فكرة فرعيَّة أخرى تتعلق بمشكلة إخفاء الرغبات غير المشروعة وراء أفعال مشروعة: فقد يحدث هذا من طرفٍ واحد فحسب، وليس من الطرفين. فقد تكون نوايا مديرة المكتب بريئة تمامًا عند مساعدة رئيسها في حلّ مشكلة تتعلَّق بالعمل، بينما يستغلّ رئيسها المشكلة كقناع لتغذية رغباته. أو ربما العكس صحيح – فقد تكمُن الدوافع الخاطئة لدى مديرة المكتب، بينما دوافع الرئيس نقيَّة. أيضًا قد تكون نوايا راعي الكنيسة صادقة حين يساعد سيِّدة في كنيسته تمرّ بمحنة، بينما تستغلّ المرأة هذه المحنة، بل وربما تكون قد اختلقتها، للفت انتباهه. مرّة أخرى، يجب أن نكون على وعي بقوّة هذا الدافع أو المحرِّك وميله إلى الاختباء.

للمزيد من الدراسة:

١. اذكر الأساليب الستة التي يُخفي بها الناس خطاياهم الجنسيَّة. من خلال ملاحظتك، أيٌّ من هذه الأساليب هي الأكثر استخدامًا؟

٢. هل يمكنك إيجاد أمثلة كتابيَّة لأشخاص استخدموا هذه الأساليب لإخفاء خطاياهم (ليس الخطايا الجنسيَّة فحسب)؟

٣. ضع قائمة بالأفعال المشروعة التي يخفي الناس وراءها رغباتهم الجنسيَّة.

٤. في رأيك، أيّهما يميل إلى أن يكون أسرع في إبداء عدم الأمانة من جهة رغباته الحقيقيَّة، الرجال أم النساء؟ اشرح إجابتك.

٥. اختر نصًا من النصوص الكتابيَّة التالية، وضع قائمة بالخدع والحيل التي لاحظتها في طريقة تفكير الشخص المذنب بارتكاب خطيَّةٍ جنسيَّة: أ. داود، ٢ صموئيل ١١. ب. أمنون، ٢ صموئيل ١٣: ١ - ٢٠.

٦. خذ هذه القائمة، واكتب الشيء الحقيقيّ.
٧. ما هي مخاوفك بشأن استخدام أغطية (للرغبات الجنسيّة) مع الأشخاص الذين تتعامل معهم؟
٨. ما هي الإجراءات الوقائيّة التي قد تُساعدك على تجنُّب هذه المخاطر؟
٩. هل من الممكن أن نبالغ في التركيز على الإجراءات الوقائيّة ضد السلوك الجنسيّ غير اللائق؟ وإن كانت الإجابة نعم، ما هي نتائج هذا التركيز المفرط؟
١٠. عندما يستغلّ شخصٌ (مثل راعي الكنيسة أو المعلِّم) منصبه كستارٍ من البرِّ للخطيَّة الجنسيَّة، ما هي الآثار السلبيَّة لهذا على اسم الله وعمله؟

تتسبَّب الخطيَّة الجنسيَّة في خزي شديد

في الآيات الواردة في بداية هذا الفصل، قارَنَ المثَلُ بين الخطيَّة الجنسيَّة والسرقة. كلاهما خطيَّة. ويجب اعتبار كليهما خطأ. لكن في حين يمكننا في بعض الأحيان أن نجد "تبريرًا" للسرقة (كأن يكون الشخص جائعًا، على سبيل المثال)، لكننا نادرًا ما نُبرِّر الخطيَّة الجنسيَّة. فإنَّنا نرى المذنب جنسيًا مخطئًا. لاحظ أنَّ هذا النص لا يقول إنَّ السرقة أحيانًا ما تكون مبرَّرة – بل فقط إنَّنا في أذهاننا قد نرى أحيانًا "سببًا" دعا إلى ارتكابها. لكن عبثًا يبحث رجلٌ عن سبب كهذا حين يُعتدَى على زوجته من قِبَل رجل آخر. لا يوجد أي تبرير منطقيّ لهذا.

وعلى الرغم من إمكانيَّة غفران الخطايا الجنسيَّة، بفضل نعمة الله، يُبيِّن هذا النص أنَّها لا تُنسى. "ضَرْبًا وَخِزْيًا يَجِدُ، وَعَارُهُ لاَ يُمْحَى" (أمثال ٦: ٣٣).

على الأرجح، لا توجد علاقة إنسانيَّة تمسُّنا وتؤثر فينا بشدَّة مثلما تفعل العلاقة الجنسيَّة. ولهذا، يترك التجاوز الجنسيّ في عقولنا أقوى الانطباعات التي لا تُمحَى. تُستعلَن هذه الحقيقة في مظاهر مختلفة: في الصعوبة التي يواجهها الأشخاص لغفران الخطايا الجنسيَّة، وفي الاهتمام الذي توليه وسائل الإعلام

للتعدِّيات الجنسيَّة التي يرتكبها القادة، وفي الانتشار السريع للشائعات عن هذا النوع من الخطايا، وفي الاهتمام الدائم في مجتمعنا بموضوع الجنس ككلٍّ. بل ونرى هذا أيضًا في عالم الجريمة، إذ يكون المعتدون على الأطفال والمغتصبون هم الأحط والأكثر وضاعة بين طبقات المجرمين. فإنَّ هذا الموضوع يسترعي انتباهنا، وهذه الخطيَّة تُسبِّب خزيًا خاصًّا.

التجربة الجنسيَّة متَّصلة برغبات أعمق

ذكرنا في ما سبق أنَّ هذا المبدأ ينطبق على الرغبات الجَسَديَّة الأخرى أيضًا. على سبيل المثال، جَرَّب الشيطان يسوع بهذا: "إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَقُلْ أَنْ تَصِيرَ هذِهِ الْحِجَارَةُ خُبْزًا" (متّى ٤: ٣). أي جُرِّب يسوع بأن يأكل ليس فقط ليسدّ جوعه إلى الطعام، بل كي يُثبت أنّه ابن الله.

لكن، في حالة التجربة الجنسيَّة، تكون الرغبات الضمنيَّة والخفيَّة أخطر وأهم. فبالنسبة إلى الرجل، تُثبِت العلاقة الجنسيَّة رجولته- إذ فيها يُظهِر قوته الذكورية، ويفرِغ طاقته الذكورية، ويعبِّر عن نفسه كصائد وغازٍ وقائد في آنٍ واحد. أمّا بالنسبة إلى المرأة، فإنَّ العلاقة الجنسيَّة تُثبِت أنوثتها - إذ تختبر نجاح قوّة جاذبيَّتها في أسمى أشكالها، حين تجتذب رجلها إليها، مأخوذًا بمحبة شديدة وقويَّة تطوِّقه.

الخبرة الجنسيَّة، إذًا، تفوق كونها مجرَّد متعة؛ إنّها تعبير عن الرجولة والأنوثة. وهي وسيلةٌ كي تَستحوِذَ ويُستحوَذ عليك. وهي بحث عميق واختبار داخليّ عميق بأن توجَد.

لهذا السبب أراد الله أن تكون العلاقة الجنسيَّة وسيلة تعبير عن المحبة داخل التزام يدوم مدى الحياة. فالزوج لا يُثبِت أنوثة "امرأة" فقط ككائن جنسيٍّ، بل كامرأة اكتشفها على نحوٍ حميميّ ووثيق، ويستطيع أن يُجزِم بأنَّها امرأته؛ كما

أنَّه يُثبِت رجولته لأنَّه هو مَن اكتشفها، وهو من يتعهَّد بأن يكون حاميًا وعائلًا لها، أي ذلك الشخص الذي تستطيع أن تُجزِم بأنَّه رجُلها.

تُختبَر هذه الرغبة في أن تَعرِف وتُعرَف من آخَر بأكثر صورة ملموسة، في الاتحاد الجنسيّ. "عَرَفَ آدَمُ حَوَّاءَ امْرَأَتَهُ فَحَبِلَتْ" (تكوين ٤: ١). فإنَّ ممارسة الجنس كشفٌ لمكنونات القلب، وانفتاحٌ، ودعوة إلى أن تُعرَف وتُقبَل على أعمق مستويات التفاعل الإنسانيّ.

ولهذا، لا يمكن البتة فصل ممارسة الجنس عن هويّتنا. ولهذا نتائج عدّة سواء في الخبرة الجنسيَّة السليمة أو الخاطئة. في الفصل القادم، سنستكشف هذه النتائج بطريقة أكثر تفصيلًا، لكنَّنا فقط سنُرسي الأساس هنا. فحين تتعرَّض هويّة شخص، سواء كان رجلاً أو امرأة، للتشوُّه بفعل سوء معاملة، أو إهمال، أو تشوّهات خطيرة في النموذج أو القدوة، ولا سيّما في مراحل التكوُّن المبكرة، عادةً ما يجد صعوبة في إقامة علاقات جنسيَّة سليمة وصحيَّة.

فإنَّ الرجل الذي تشوَّهت رجولته قد يسعى إلى الامتلاك فقط لتحقيق ذاته؛ وقد يتجنَّب السماح بأن يُعرَف بحقٍّ؛ وقد يخشى العلاقات الحميميَّة، ويرفض تمامًا أية علاقة وثيقة مع الإناث، وقد يسعى إلى ممارسة الجنس على نحوٍ يتحاشى عن عمد أيَّ التزام.

وعلى الجانب الآخر، قد تسعى المرأة التي تشوَّهت أنوثتها إلى جذب انتباه الرجال فقط كي تُثبِت ذاتها، وكي يمنحها هذا شعورًا بالسيطرة كامرأة. قد تخشى هي أيضًا العلاقات الوثيقة، بينما هي في الآن ذاته متعطشة إليها؛ وقد تسعى إلى الحميميَّة الجسديّة، بينما تتحاشى التقارب العاطفيّ؛ أو قد تسعى إلى التقارب العاطفيّ من خلال الحميميَّة الجسديّة.

وحين يبدو أنَّ الواقع يُشكِّل خطرًا، وحين يبدو سماح المرء بأن يُعرَف من آخر في إطار التزام شيئًا مرعبًا - إمّا لأنّه قد يُرفض، وإمّا لأنه قد يعجز عن الارتقاء

إلى مستوى توقعات شريك الحياة – يبدو اللجوء إلى بدائل أمرًا سهلًا. قد يلجأ الرجال إلى مشاهدة المواد الإباحيَّة، وقد تتّجه النساء إلى القصص الرومانسيّة (في الكتب، أو المجلات، أو مقاطع الڤيديو، أو المسلسلات التلفزيونيّة). في كلتا الحالتين، ربما يبدو حينئذٍ أنّ مشكلة هويّتهم (أو بأكثر دقّة، مشكلة ما تفتقر إليه هويّتهم) قد انتهت، ظاهريًا. فإنَّ الرجل سيتخيَّل نفسه مقبولاً تمامًا من تلك المرأة الشهوانيّة التي يراها على الصفحة، وستُستبدَل هويته الحقيقيّة بوهم خلقته "هي" في خياله. وهكذا أيضًا، تجد المرأة في القصة الرومانسيّة أنَّها هي التي تُطارَد حتى تقع في الحب حتى الثمالة، وتُحَب، بل وينكسر قلبها أيضًا، كلّ هذا على نحو يدعمها كامرأة، بغض النظر عن هويّتها الحقيقيّة في الواقع.

كما ذكرنا سابقًا، لا يؤدّي هذا إلى أي إشباع. بل في حقيقة الأمر، كلّما عاش أحدهم في الخيال والوهم، قلَّت أهليّته لمواجهة الواقع. فإنَّ الرجال والنساء الحقيقيّين عاجزون عن تحقيق الرغبات والتوقعات المشوَّهة لعالم الخيال؛ ولهذا، فإنَّ الرجال والنساء الذين يعيشون في الخيال لا يزيدون من خيبة أملهم في من حولهم فحسب، لكنَّهم أيضًا يزيدون من خيبة أملهم في أنفسهم.

يمثِّل مَن نكون ومَن لا نكون أزمة كبرى في التجربة الجنسيَّة. في الفصل القادم، سنستعرض بمزيد من التوسُّع نتائج هذه المشكلات الضمنيّة.

للمزيد من الدراسة:

١. قدِّم براهين من مجتمعنا تُثبِت الخزي الشديد الذي تُسبِّبه الخطيَّة الجنسيَّة.
٢. كيف تُعزِّز العلاقة الجنسيَّة الرجولة؟ وكيف تؤيِّد الأنوثة؟
٣. كيف يستخدم الرجال ممارسة الجنس بشكل خاطئ لتحقيق ذواتهم؟ وكيف تستخدم النساء ممارسة الجنس بشكلٍ خاطئ لتحقيق ذواتهنَّ؟

٤. ما هي تأثيرات التخيُّلات الجنسيَّة على العلاقات الفعليَّة؟

٥. اذكر أيّة وسائل استخدمتَها لتعيش في عالم جنسيّ وهميّ، وصِف مدى تورُّطك فيه.

٦. إن كان تورّطك في التخيُّلات شديدًا أو مستمرًّا، اقضِ بعض الوقت في الصلاة، طالبًا من الله أن يُساعدك حتى تكون صادقًا ودقيقًا في الإجابة عما يلي:

أ. صف الشعور الذي كان يمنحك إيّاه هذا التخيُّل عن نفسك.

ب. صف أكبر المخاوف أو الصراعات التي تعانيها في العلاقات الحقيقيَّة.

ج. حدِّد التوقعات الخاطئة التي أنشأها فيك هذا التخيُّل.

د. بالاستعانة بشخص يُعدّ موضع ثقة، سواء أحد والديك أو راعي كنيستك، ضع هذه الأمور أمام الرَّب وصلِّ طالبًا التطهير وتغييرًا للحياة.

ملحوظة: في الملحق (أ)، هناك دليلٌ أكثر تفصيلًا وشمولًا بشأن تطهير القلب. إن كنتَ قد صارعتَ مع عبودية الخطايا الجنسيَّة، فكِّر جيِّدًا في الاقتراحات المقدَّمة في هذا الملحق.

الفصل الثالث

تحديد المشكلات الضمنيَّة

"قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ:
"يَا سَيِّدُ أَعْطِنِي هذَا الْمَاءَ، لِكَيْ لاَ أَعْطَشَ...
قَالَ لَهَا يَسُوعُ:
"اذْهَبِي وَادْعِي زَوْجَكِ وَتَعَالَيْ إِلَى ههُنَا"
أَجَابَتِ الْمَرْأَةُ وَقَالَتْ: "لَيْسَ لِي زَوْجٌ".
قَالَ لَهَا يَسُوعُ: "حَسَنًا قُلْتِ: لَيْسَ لِي زَوْجٌ،
لأَنَّهُ كَانَ لَكِ خَمْسَةُ أَزْوَاجٍ، وَالَّذِي لَكِ الآنَ
لَيْسَ هُوَ زَوْجَكِ."

(يوحنا ٤: ١٥-١٨)

تُمثِّل الخطيَّة الجنسيَّة مشكلةً في حدِّ ذاتها وتستدعي التوبة، وتطهير القلب، وتغيير السلوك. لكنَّ الخطيَّة الجنسيَّة ليست دائمًا مشكلة منفردة؛ فهي

توجد أحيانًا فوق سطح أرضيَّة الروح، بينما تكمُن بعض المشكلات الأخرى على مستوىً أعمق، بل وتساهم بشكلٍ رئيسيّ في الخطايا الجنسيَّة. وإلى أن نُدرك تلك المشكلات الضمنيَّة الأعمق، ونواجهها، ستذهب كافة جهودنا في القضاء على الخطايا الجنسيَّة أدراج الرياح.

في هذا الفصل، نود استعراض بعض المشكلات الضمنيَّة التي تجعل البشر أكثر عُرضة لارتكاب الخطيَّة الجنسيَّة.

الفوضى الجنسيَّة قد تعكس خواءً داخليًّا

في الأصحاح الرابع من إنجيل يوحنا، نقرأ قصَّة لقاء يسوع مع المرأة السامريّة وحديثه معها. فمن خلال بضعة أسئلة وتصريحات بسيطة، وجَّه يسوع نَظَر هذه المرأة إلى مشكلة ضمنيَّة تكمُن وراء الفوضى الجنسيَّة التي كانت تعيش فيها. فقد كان لها خمسة أزواج، والذي تعيش معه لم يكن زوجها. كم عدد العلاقات الأخرى التي تورَّطت فيها؟ لا نعرِف. لكنّها كانت امرأة تعاني عطشًا داخليًّا، لم يُشبعه الرجال الكثيرون في حياتها. ولذا، تابعت حياتها خاوية.

كانت المشكلات الظاهرة في حياة هذه المرأة مشكلات علاقاتيّة؛ فقد انتقلت من رجلٍ إلى آخر. لكن المشكلة الضمنيَّة كانت جوعًا لم يُشبَع قطّ. علاوة على ذلك، لم تُسفِر الطريقة التي اتَّبعتها هي لإشباع جوعها سوى عن المزيد من الخواء. لم تكن هذه المرأة مكتفيةً أو مشبَعة، ولم يكن قلبُها راضيًا.

في حين أنَّ الخواء دائمًا ما يكون نتيجة للفوضى الجنسيَّة، إلا أنّه أيضًا قد يكون سببًا لها. بمعنى أنّه حين يفتقر أحدهم إلى علاقات صحيَّة، أو حين يعيش من دون علاقات وثيقة، ولا سيما حين تكون العلاقات الأساسيَّة كالعلاقات العائليَّة خاوية وبلا معنى، يزداد الجوع العلاقاتيّ. ونظير الجوع والعطش، تُشكِّل

الرغبة في تكوين علاقات وثيقة وآمنة جزءًا من تكويننا. فإنَّ الطفل الذي ينشأ في قفرٍ عاطفيّ يصير عُرضة لتجربة السعي وراء العلاقات بشكلٍ عشوائيّ. ونظير المرأة عند البئر، قد يتعلَّم هذا الطفل أن يُكوِّن علاقات سطحيّة، وأن يتجنَّب العلاقات الجادّة.

مكان الأب

أظهرت الدراسات، مرارًا وتكرارًا، أنَّ الأبناء الذين لا يتمتّعون بعلاقة وثيقة مع والديهم يُظهِرون مشكلات سلوكيّة.[١] فهم يبحثون عن الاهتمام بطرق خاطئة، ويعجزون عن التكيُّف مع الظروف الجديدة، ويقعون بسهولة في المتاعب.

يلعب الأب بصفةٍ خاصّة دورًا هامًّا في نمو أبنائه الروحيّ والأخلاقيّ.

في الكتاب المقدَّس، نقرأ قصّة أبشالوم المأساوية؛ ولكنّنا دائمًا ما نُسلِّط الضوء على تمرُّد أبشالوم، وهو بالفعل جدير باهتمامنا. لكن كانت انتفاضة أبشالوم مسبوقة بعامَين من التجاهُل والجفاء من جانب داود أبيه (٢ صموئيل ١٤: ٢٨)، وقد اكتملت إطاحة أبشالوم بالمملكة بممارسة علنيَّة للجنس مع عشرة من سراري داود (٢ صموئيل ١٦: ٢٢).

لا يُبرِّر هذا خطيَّة أبشالوم؛ فقد كان مسؤولاً عن أفعاله، ومات بسبب خطاياه. لكنَّ الفجوة العاطفيَّة التي صنعها داود كانت بكلِّ تأكيد عاملاً ساهم

١ في بيان نُشر في شهر نيسان/ أبريل من عام ١٩٩٨، وأصدره المركز القوميّ للإحصائيّات في مجال التعليم، قُدِّمت الإحصائيّات التالية، على سبيل المثال: "ما يقرُب من ثلث الطلاب يحصلون على درجة الامتياز حين يكون آباؤهم متداخلين بشكلٍ كبير في دراستهم، في مقابل نسبة ١٧٪ فقط حين ينخفض مستوى تداخل الآباء في دراستهم. بل والأمر الصادم هو أنَّ ١١٪ فقط من الطلاب من المرحلة الابتدائيّة وحتى المرحلة الثانويّة يتعرَّضون للتوقيف أو الطرد حين يكون مستوى تداخل آبائهم في دراستهم عاليًا، في مقابل نسبة ٣٤٪ حين ينخفض مستوى تداخل آبائهم في دراستهم".

في خطايا أبشالوم الجنسيَّة. فببساطة يحتاج الشباب إلى علاقة وثيقة مع آبائهم، وتجعلهم المسافات أكثر عُرضة للسَّقطات الأخلاقيَّة.

أيضًا تحتاج الفتيات إلى علاقة وثيقة بآبائهنَّ. في غالبيّة الأحيان، كنتُ أكتشف أنَّ السيِّدات اللواتي يُصارعنَ مع العادة السريّة، كانت علاقتهنّ ضعيفة بآبائهنّ، أو أنَّ لديهنَّ توقًا إلى علاقة أعمق. في هذا الصدد، من المهمّ أن نلاحظ أنَّه لا يلزم بالضرورة أن تكون علاقة الأب بالابنة مسيئة كي تُنشئ لديها صعوبات. يفترض بعض الآباء أنَّهم طالما لم يسيئوا معاملة بناتهم بشكلٍ صريح، فإنَّ علاقتهم بهنَّ جيِّدة. هذا، ببساطة، غير حقيقيّ. ترغب الابنة في أن يكون أبوها متداخلًا بشكلٍ إيجابيٍّ وفعّالٍ في حياتها.

أتذكَّر جيِّدًا الصدمة والألم الذي شاهدتهما على وجهَي زوجَين مؤمنَين حين علما أنَّ ابنتهما المراهقة تورَّطت في علاقات جنسيَّة مع رجال عدّة. فقد قالا في حيرة وذهول: "ما لا نفهمه هو أنَّنا قضينا أوقاتًا جميلة مع ابنتنا وكنّا نمرح معًا."

غير أنّني حين تحدَّثتُ مع الابنة قالت: "بالطبع، نستطيع أن نقضي أوقاتًا من المرح معًا. لكنَّني لن ألجأ البتّة إلى والدَيَّ إن كنتُ أُصارع في أمرٍ ما". فإنَّ غياب النزاعات، بل ووجود المرح، لم يَمحُوا توقها إلى أبوَين يتكبَّدان العناء والجهد لمعرفتها، ويخلقان الفرص للتحدُّث معها حول أمورٍ أعمق تُشكّل لها أهميَّة.

في سفر أستير، نجد مثالاً رائعًا عن خواء فتاةٍ أُشبِع بطريقةٍ سليمة. لم يكن لأستير أب أو أم، لكن ابن عمِّها مردخاي "اتَّخَذَهَا ... لِنَفْسِهِ ابْنَةً" (أستير ٢: ٧). وكانت العلاقة بينهما وثيقة لدرجة أنَّها حتى بعد أن تزوَّجت من الملك كانت "تَعْمَلُ حَسَبَ قَوْلِ مُرْدَخَايَ كَمَا كَانَتْ فِي تَرْبِيَتِهَا عِنْدَهُ" (أستير ٢: ٢٠). وكان مردخاي متداخلاً بشدَّة في حياة أستير، موفِّرًا لها شعورًا بالتوجيه، والحماية، والأمان؛ وهذا ما أبقاها طاهرةً ومستقيمةً حتى بينما كانت تُقيم في بيت نساء ملكٍ أمميٍّ وثنيٍّ.

لسنا نعلَم تفاصيل واضحة عن علاقة المرأة السامريّة بأبيها، لكنَّها بالتأكيد لم تكن تَعلَم كيف تعيش في تقارُب سليم وصحيّ مع الرجال في حياتها. ولن يكون تخيّلاً زائدًا عن الحدّ إن افترضنا أنَّ علاقتها بأبيها لم تكن تُشبِه تلك العلاقة الوثيقة بين مردخاي وأستير في شيء.

إذًا، على الرغم من أنّه يجب ألا نُعزي الخطايا الجنسيَّة التي يرتكبها رجلٌ أو امرأة تلقائيًّا إلى خواءٍ في علاقتهم بأبيهم، إلا أنّه يجب من ناحية أخرى أن نُقِرَّ بأنَّ غياب الأب وعدم تداخله، في الكثير من العائلات اليوم هو عامل قويّ يُساهم في ما يحدث في مجتمعنا من فوضى جنسيَّة. فإنَّ مجتمعنا مجتمع خواء، وأيضًا مجتمع تعمّ فيه الفوضى الجنسيَّة، وبين السمتَين صلة وثيقة. على سبيل المثال، اكتشف استطلاع رأي أنَّ ٨٠٪ من المغتصِبين المُدانين نشؤوا في عائلات بلا آباء.

يحتاج المراهقون إلى كلِّ مساعدة يمكنهم الحصول عليها حتى يجدوا طريقهم في وسط حقول ألغام الخطايا الجنسيَّة في أيامنا هذه. صحيحٌ أنَّ علاقةً وثيقة بأبٍ طاهر أخلاقيًّا، وثابت ومستقر روحيًّا لا تكفل لهم أن يجتازوا هذه الحقول سالمين، لكنَّها بكلِّ تأكيد ستوفّر لهم حماية شديدة من الخطيَّة الجنسيَّة.

إلى جانب ضرورة أن يؤسس الآباء والأمهات علاقةً وثيقة مع أبنائهم، يلزمهم أيضًا أن يسلُكوا هم أنفسهم في استقامة أخلاقيَّة. نجد في الكتاب المقدَّس كثيرًا تلك الوصية الموجَّهة إلى الوالدَين بأن يؤدِّبوا أولادهم في طرق الرَّب. والمبدأ الأساسيّ هو أنَّ أفضل وسيلة للتأديب هي من خلال حياتنا وسلوكنا. فإنَّ الأبناء دائمًا ما يتبعون شخصيّاتنا وسلوكيّاتنا أكثر من أقوالنا. ثَم، تُمثِّل الطهارة الأخلاقيَّة لدى الوالدَين دعوة قويّة للأبناء إلى السلوك في استقامة أخلاقيَّة.

العكس أيضًا صحيح. فحين يسلك الأب في النجاسة، يزيد بهذا من احتمالات سقوط أبنائه في الخطايا الجنسيَّة. وعلى الأرجح أنَّ إيزابل كانت أشرّ نساء الكتاب المقدَّس، وهي امرأة عُرفت بوجهها المغطَّى بمساحيق التجميل،

وبشعرها المزيَّن والمصفَّف (٢ملوك ٩: ٣٠)، وربطها الكتاب المقدَّس بنمط حياة من الانحلال الجنسيّ (رؤيا يوحنا ٢: ٢٠). فقد كان أسلافها من عبدة البعل، وهي ديانة فاسدة أخلاقيًّا لدرجة أنَّنا نخجل حتّى من التطرُّق إلى تفاصيلها. لكن كانت طقوس "العبادة" تتضمَّن ممارسات جنسيَّة مع خدّام المعبد سواء كانوا ذكورًا أو إناثًا. وبتأثيرٍ من إيزابل (انظر ١ملوك ٢١: ٢٥)، "رَجِسَ [أخآب] جِدًّا بِذَهَابِهِ وَرَاءَ الأَصْنَامِ حَسَبَ كُلِّ مَا فَعَلَ الأَمُورِيُّونَ" (عدد ٢٦). يمكن إذًا أن نفهم لماذا عندما اعتلى أخزيا ابنهما العرش "عَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، وَسَارَ فِي طَرِيقِ أَبِيهِ وَطَرِيقِ أُمِّهِ" (١ملوك ٢٢: ٥٢).

تستطيع نعمة الله وحدها أن تكسر إرث الخطيَّة هذا. فإنَّنا نريد أن نوضِّح، مرَّة أخرى، أنَّ تأثير الآباء والأمهات ليس حتميًا – بل بالالتجاء إلى الله، يمكن للأبناء أن يُغيِّروا إرثًا غير أخلاقيّ. علاوةً على ذلك، لا ينفي هذا أنَّ الأبناء الذين يمارسون الفجور يتحمَّلون مسؤوليّة شخصيّة عن خطاياهم. لكن تظلّ الفكرة قائمة: أنَّ نمط حياة الوالدَين يؤثِّر بشدَّة على اختيارات أبنائهم.

للمزيد من الدراسة:

١. في رأيك، إلامَ كانت المرأة عند البئر متعطِّشة؟
٢. في رأيك، ما الذي كان أبشالوم يريده من أبيه؟
٣. ما هي أهمّ نواحي إخفاق الآباء في مجتمعنا اليوم في تلبية احتياجات أبنائهم؟
٤. فكِّر أيضًا في نواحي إخفاق الآباء داخل البيوت المسيحيّة في تلبية احتياجات أبنائهم. هل اختلفت إجاباتك في شيء عن إجابات السؤال السابق؟

٥. هل هناك إمكانيَّة أن يتدخَّل آخرون لشَغل مواطن الخواء في حياة الشباب؟ وهل في بعض الأحيان تكون محاولة تلبية تلك الاحتياجات غير ملائمة؟
٦. في رأيك، ما هي نتائج نقل شاب مَواطن الخواء هذه (الناتجة عن العلاقة بين الوالد والابن) معه إلى زواجه؟
٧. صِف مَواطن الخواء التي ربما صارعتَ معها في حياتك الشخصيَّة، وصِف كيف حرَّكك هذا الخواء.

يغذِّي التمرُّد أحيانًا المشكلات الجنسيَّة

درسنا في ما سبق مثال أبشالوم، ولاحظنا الخواء في علاقته بداود أبيه. ورأينا أيضًا كيف ساهم هذا الخواء في كلٍّ من تمرّده وخطيَّته الجنسيَّة. لكن ما نريد استكشافه هنا هو أنَّ التمرُّد قد يُمثِّل عاملاً ضمنيًّا يُسبِّب الخطيَّة الجنسيَّة.

أهمل عالي الكاهن ضبط بنيه وكبحهم. فقد كانوا يأكلون ما يريدون، متى وكيفما أرادوا، ولم يجرؤ أحد على اعتراض طريقهم. أبدى عالي بالفعل اعتراضه على هذا، لكن من الواضح أنّه لم يتَّخذ أية إجراءات واجبة. وقد تمرَّد بنوه عليه وعلى الله لأنَّهم لم يقاسوا أيّة عواقب، على الأقل من جانب عالي. قال الرب لعالي: "فَلِمَاذَا تَدُوسُونَ ذَبِيحَتِي وَتَقْدِمَتِي الَّتِي أَمَرْتُ بِهَا فِي الْمَسْكَنِ، وَتُكْرِمُ بَنِيكَ عَلَيَّ لِكَيْ تُسَمِّنُوا أَنْفُسَكُمْ بِأَوَائِلِ كُلِّ تَقْدِمَاتِ إِسْرَائِيلَ شَعْبِي؟" (١صموئيل ٢: ٢٩). لاحظ أيضًا أنَّ مشكلة هؤلاء الشباب المتمرِّدين والعصاة لم تكن مجرّد شهيَّة جامحة وغير منضبطة للطعام، لكنَّهم أيضًا "كَانُوا يُضَاجِعُونَ النِّسَاءَ الْمُجْتَمِعَاتِ فِي بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ" (١صموئيل ٢: ٢٢).

نرى هنا الصلة بين التمرُّد والخطيَّة الجنسيَّة. فإنَّ التوجُّه الذي يدفع شابًا أو فتاة إلى مقاومة السلطة ورفضها هو نفسه الذي يدفعهما إلى رفض ومقاومة

أية ضوابط أو قيود أخرى بسهولة. فإنَّ التوجُّه الذي يدفع أحدهم إلى قول: "لا تُملِ عليَّ ما أفعله"، هو ذاته الذي يوقعه في شرك تنفيذ ما يُمليه عليه جسده، الأمر الذي في الحقيقة يقوِّض من قوّته الأخلاقيَّة. وحينئذ، ستُعوزه القوّة اللازمة لفعل الصواب، حتى حين يكون عالمًا به. وحين يُفكِّر هذا المتمرِّد في ما فعله، قد يتساءل أحيانًا: **لماذا فعلتُ هذا؟ هل أريد حقًا أن أصبح هذا النوع من الأشخاص؟** إلّا أنَّه يتعلَّم تجاهُل هذه الاعتراضات الداخليَّة، ولا سيّما حين يكون بصدد مصادمة أخرى مع السلطة.

نرى مثالاً آخر عن الصلة بين التمرُّد والخطيَّة الجنسيَّة في حياة بني إسرائيل. فحين كان الشعب يتمرَّدون على الله، كانوا يتوَّرطون عادة في فوضى جنسيَّة. على سبيل المثال، في جبل سيناء، تخلَّص الشعب من جميع الضوابط، بل ومن ثيابهم أيضًا (انظر خروج ٣٢: ٢٥). ويزخر سفر القضاة بالقصص التي تؤكّد وجود صلة مباشرة بين التمرُّد على الرَّب والخطايا الجنسيَّة.

لا يختلف هذا كثيرًا عن يومنا هذا. فقد اتَّسمت ستينيّات القرن العشرين بالتخلِّي عن القواعد والانغماس في المتعة الجنسيَّة. وكانت أبرز فكرتَين طرحتهما موسيقى الروك لهذه الحقبة هما التمرُّد والجنس. قال فرانك زاپا، الذي كان ينتمي إلى فريق يُدعى "Mothers of Invention" (أمهات الاختراع): "إنَّ موسيقى الروك هي ممارسة الجنس. فإنَّ قرعات الإيقاع الصاخبة تتوافق مع إيقاعات الجسد." كما كان لفريق "Rolling Stones" مقولة بشأن موسيقى الروك والتمرُّد: "تتعدَّى موسيقى الروك كونها مجرد موسيقى، بل هي مركز لتوليد الطاقة للثقافة الجديدة ولتمرُّد الشباب."[٢]

٢ هذه الأقوال مأخوذة من الكتاب التالي، وبالأخص من الفصل الثالث:
John Blanchard, *Pop Goes the Gospel* (Evangelical Press, Herfordshire, England, 1983).
في هذا الكتاب، يوضح الكاتب ليس فقط أفكار الجنس والتمرُّد المتعمَّد تقديمها في موسيقى الروك وكلماتها، بل أيضًا سخافة استخدام هذه الوسيلة نفسها لتوصيل الحقائق الغنيَّة والعميقة لرسالة الإنجيل.

على الرغم من هذه الاعترافات الصريحة التي أدلى بها موسيقيّو الروك (وهذه مجرّد عيِّنات من تعليقات كثيرة ظهرت في تلك الحقبة)، اعتقد كثيرٌ من المؤمنين- ولا يزال كثيرون اليوم يعتقدون- أنَّ هذه الموسيقى لم تكن ضارة، ولم تكن تمتّ بصلة لتدهور المجتمع الأخلاقيّ. ومع أنَّ الموسيقى ليست موضوعنا، لكن لا بدَّ أن أذكُر أنَّ الشباب المتمرّدين على آبائهم عادةً ما ينجذبون إلى نوع الموسيقى الذي يُغذِّي تمرُّدهم هذا (بل ويُستعبَدون لها).

في حقيقة الأمر، يزيد المتمرِّدون من ضعفهم أمام جاذبيَّة الخطيَّة الجنسيَّة؛ فإذ يخرُجون من دائرة حماية مصدر السلطة في حياتهم، تصير ذواتهم هي "مركز التحكم". ونظير الابن الضال، يعيشون كي يُرضوا أنفسهم. وبالتأكيد، تمنحهم الخطايا الجنسيَّة متعة فوريّة.

نادرًا ما يُدرك المتمرِّد الصلة بين تمرُّده وانغماسه في ممارسة الجنس. فهو يظن أنَّه يلهو ويستمتع ويمارس حريّته، لكنَّه يجهَل أن مواقفه السلبيَّة من نحو الذين لديهم السلطة في حياته تَدفَع به حقًا صوب المحظور. فبحسب طريقة تفكيره، صُنِعت الحدود كي تُخترَق، والقواعد كي تُكسَر. وعادةً ما تكمُن جذور استهزائه بالسلطة في غضبٍ شديد تجاه أشخاص ذوي سلطة معيَّنين؛ لكنَّه يُخفي ذلك الغضب وراء الحماسة والمرح – أي وراء الاستهزاء بالخطيَّة وعواقبها. وعادة ما يكون انغماسه في الشهوانيَّة طائشًا، ومتهوّرًا، وحماسيًّا.

لكن من الحسن أنَّ هناك عواقب لذلك: فإنَّ المال يَنفَد، والعلاقات تنهار، وتسقُط عليه التوبيخات كوابل من السهام، وتنهمر عليه الأحزان كالبَرَد. وفي النهاية، يجد المتمرِّد نفسه في حفرة يعجز عن الخروج منها، متَّسخًا، ومعدَمًا، يتساءل كيف وصلت به الحال إلى هنا.

وفي هذه المرحلة، يبدأ علاج الكثيرين. فهم يبلُغون الحضيض بسرعة وعنف كافيَين لدفعهما إلى البحث عن مخرَج. يلتفت البعض إلى المسيح، ويعود البعض إلى بيوتهم؛ لكنَّ آخرين يفقدون حياتهم، أو يضيِّعون طريقهم.

فربما يكونون قد أشعلوا النار في جسورهم، حتى إنَّ خجلهم الشديد يمنعهم من الرجوع؛ أو ربما ليس لديهم عائلة أو كنيسة جيِّدة يستطيعون العودة إليها، وهم لا يدرون ببساطة إلى أين يذهبون.

للمزيد من الدراسة:

١. صِف بكلماتك الخاصة الصلة بين التمرُّد والفوضى الجنسيَّة.

٢. في رأيك، إلى أي مدى أثَّرت الموسيقى على معايير العالم الغربيّ الأخلاقيَّة؟

٣. بشكلٍ شخصيّ، صِف بكلِّ أمانة ممكنة كيف كان للموسيقى تأثيرٌ، سواء إيجابيّ أم سلبيّ على معاييرك الأخلاقيَّة.

٤. هل أدّى نوع الموسيقى التي تسمعها إلى حدوث توتُّر في علاقاتك؟ إن كانت الإجابة نعم، اذكر سبب اعتقادك هذا.

٥. صِف علاقتك بذوي السلطة في حياتك. هل ترى رابطًا بين علاقتك بمصادر السلطة في حياتك ومعاييرك الأخلاقيَّة (سواء كانت إيجابية أم سلبية)؟

٦. اقرأ النصوص الكتابيَّة التالية، وضع قائمة بالسلوكيّات السليمة تجاه مصدر السلطة: خروج ٢٠: ١٢؛ لاويين ١٩ :٣٢؛ أمثال ٢٣ :٢٢؛ ٣٠: ١٧؛ رومية ١٣: ١-٦؛ ١تسالونيكي ٥: ١٢ و١٣؛ عبرانيين ١٣: ٧، ١٧.

٧. ما هي السلوكيّات الموجودة في القائمة السابقة التي صارعتَ معها بشكلٍ شخصيّ؟

يُغذّي الغضبُ أحيانًا المشكلات الجنسيَّة

عادةً ما يكون الخواء والتمرُّد اللذان ذكرنا في ما سبق أنَّهما ضمن أسباب الخطيَّة الجنسيَّة الضمنيَّة مصحوبَين بالغضب. في حالة أبشالوم، نرى الثلاثة معًا: فبعد قضاء أبشالوم سنتين في أورشليم من دون أن يُسمح له برؤية والده، وبعد تجاهل يوآب له، أشعل النيران في النهاية في حقل يوآب، ممّا جذب انتباه يوآب. وحين أتى هذا الأخير في غضب عاصف ليسأله عمَّا فعل، أجابه بهذه الكلمات، التي فيها نستطيع أن نستشعر مشاعر الغضب الفائر: "لِمَاذَا جِئْتُ مِنْ جَشُورَ؟ خَيْرٌ لِي لَوْ كُنْتُ بَاقِيًا هُنَاكَ. فَالآنَ إِنِّي أَرَى وَجْهَ الْمَلِكِ، وَإِنْ وُجِدَ فِيَّ إِثْمٌ فَلْيَقْتُلْنِي" (٢صموئيل ١٤: ٣٢).

كان غضب أبشالوم هو غضب الشعور بالظلم. كان يَشعُر أنَّه تعرَّض لظلم شديد، ويبدو أنَّه ظلّ يَرعَى غضبه هذا لزمان طويل. هذا النوع من الغضب يجعل الناس أكثر عُرضة للسقوط في الخطيَّة الجنسيَّة، إذ يُنشئ توترًا داخليًّا حادًا. فإنَّ الشعور بالظلم الذي لم يُعالَج يُستخدَم بسهولة لتبرير خطيَّة جنسيَّة. فحين مارس أبشالوم الجنس مع سراري أبيه، ربما، وربما لا، كان واعيًا بمشاعر الإحساس بالظلم التي كانت تُحرِّكه. لكن اليوم يوجد الكثير من الرجال والنساء الذين يحترقون من جراء غضب داخليّ، فيُنفِّسون عنه جنسيًّا.

قد يمارس البعض العادة السريّة، أو يلجؤون إلى مشاهدة المواد الإباحيَّة، ليس لإشباع شهوتهم فحسب، بل للتنفيس عن غضبهم – أي كوسيلة يقولون بها: "أستطيع أن أفعل ما يحلو لي!" البعض الآخر يكتسبون رغبة ملحَّة في السيطرة على الآخرين، باحثين عن شخص ضعيف يستغلُّونه. عادة ما يكون المغتصبون أشخاصًا غاضبين، أو رجالًا يحملون بداخلهم شعورًا عميقًا بالظلم. ففي حين أنَّهم ربّما لا يدركون بوعي أنّهم غاضبون، لكن تُحرِّكهم في أعماقهم مشاعر حيال مواقف هم عاجزون عن التحكُّم بها، وأحقاد وضغائن متَّقدة من الماضي. ويُعَدُّ الاغتصاب وسيلة للإمساك بزمام

الأمور من جديد. فهو يمنحهم شعورًا بالرضا حُرموا منه في جوانب أخرى من حياتهم.

لا نقصد بهذا أنَّ كلّ مَن يكنُّ غضبًا لم يعالَج سيمارس دائمًا الفجور والخلاعة، إنّما نقصد أنَّ هذا الفجور هو إحدى وسائل التعبير عن الغضب.

للأسف، هذا التعبير عن الغضب في صورة جنسيَّة يزيد من حجم المشكلة. فإنَّ الرجل الذي يمارس العادة السريَّة حين يُحبَط من رمزٍ للسلطة في حياته يَشعُر بعد هذا بالخزي، فيتفاقم غضبه. وحينئذٍ، يصير ضميره متطلِّبًا و"غير عقلاني" أكثر من أي رمز سلطة آخر. فيظلّ يدور في حلقة مفرَغة، غضب، ثم خطيَّة جنسيَّة، ثم خزي، تؤدي إلى المزيد من الغضب، ثم المزيد من الخطيَّة الجنسيَّة، ثم المزيد من الخزي.

للمزيد من الدراسة:

١. صِف بكلماتك "غضب الشعور بالظلم".
٢. اذكر الأمور التي ربما سبَّبت غضب أبشالوم وشعوره بالمرارة (انظر ٢صموئيل ١٣-١٥).
٣. يصعُب الإقرار بغضبنا بسبب الظلم. فربما نُفضِّل التحدُّث عن شعورنا بالظلم أكثر من التحدُّث عن غضبنا. لماذا تعتقد أنَّ هذا صحيحٌ؟
٤. اذكر بعض مشاعر الظلم التي صارعتَ معها.
٥. كيف تجاوبتَ مع هذه المشاعر؟ هل تظنّ أنَّها ما زالت تُحرِّكك، وكيف؟ وإن لم تكن تُحرِّكك، فكيف ترى أنَّك استطعت تجنُّب هذا؟
٦. كيف يريد منّا الله أن نتجاوب مع مشاعر التعرُّض للظلم؟ (ادعم إجاباتك بنصوص كتابيَّة).

يُمكن أن تُغذِّي أنماطٌ من الخداع الفوضى الجنسيَّة

رأينا في الفصل السابق أنَّ الخطيَّة الجنسيَّة يصحبها شعورٌ خاصٌ بالخزي، ولهذا تسعى عادة إلى الاختباء وراء أفعال مشروعة. إذا نظرنا إلى الأمر بهذه الطريقة، فسنجد أنَّ الخداعَ نتيجةٌ للخطيَّة الجنسيَّة. وهذا يعني أنَّ مَن يخرقون قوانين الله من جهة ممارساتهم الجنسيَّة يتعلَّمون كيفيَّة استخدام الأقنعة تحاشيًا للاعتراف بها. لكن قد يلعب الخداع أيضًا دور العامل الضمنيّ الذي يُغذّي الخطايا الجنسيَّة.

يقول الكتاب المقدَّس إنَّ الشيطان يتخفَّى أحيانًا في شبه "مَلَاكِ نُورٍ"؛ ولذا، ليس من المفاجئ أن يفعل خُدَّامه المِثل (٢كورنثوس ١١: ١٣ و١٤). فإنَّ تظاهُر الخطاة بغير حقيقتهم، وإخفاء حقيقتهم الفعليَّة، هو أمر كامنٌ في طبيعتهم. وبما أنَّنا جميعًا خطاة، فإنَّ لدينا جميعًا معرفة شخصيَّة ومباشرة بالتظاهُر. فنتعلّم جيّدًا ارتداء الأقنعة؛ وللأسف، نزداد براعة وخبرة كلّما تَقدَّمنا في العمر.

يُمثِّل قبولُنا الإيمان - أي الإقرار بأنّنا خطاة ونحتاج إلى مخلِّص- نقطةَ البداية في سبيل أن نكون صادقين مع أنفسنا، ومع الله، ومع الآخرين. لكنَّ المعركة لا تنتهي عند هذا الحدّ، بل إنَّنا نواجه صعوبةً في التخلُّص ممّا تعلَّمناه في الخطيَّة. فإنَّ المؤمنين أيضًا يُصارعون كي يكونوا على حقيقتهم، وفي بعض الأحيان يبدو أنَّ من "صاروا مؤمنين" قد اكتشفوا لأنفسهم قناعًا أفضل.

لسنا ندَّعي أنَّ الأفكار التالية عن هذا الموضوع وافية ومكتملة، كما ليس المقصود منها أن تكون ذريعة للنفوس الساخطة، أو خائبة الآمال، أو الناقمة في الكنيسة.

تتحكَّم بعض الجماعات الدينيّة في سلوك أعضائها، وكلماتهم، ومظهرهم في صرامة شديدة. لكن هذه الصرامة الظاهريّة ليست دائمًا كما تبدو عليه.

ربما يستنتج المشاهدون من الخارج أنَّ هذه الجماعات المتشدِّدة تتكوَّن من مؤمنين أبرار، ينعمون بالسلام، وغير محبّين للعالم (بل وكأنّهم من عالم آخر). والكثير منهم صادقون.

لكن في حقيقة الأمر، هذه المسيحيَّة المتشدّدة من الخارج، ولا سيّما حين تكون مقترنة بغياب الحيويّة الروحيَّة، تعوزها القوة اللازمة لكبح جماح الخطايا الحسِّية. قال الرسول بولس إنَّ التركيز على قواعد مثل "لَا تَمَسَّ! وَلَا تَذُقْ! وَلَا تَجُسَّ!" لها "حِكَايَةُ حِكْمَةٍ، بِعِبَادَةٍ نَافِلَةٍ، وَتَوَاضُعٍ، وَقَهْرِ ٱلْجَسَدِ، لَيْسَ بِقِيمَةٍ مَا مِنْ جِهَةِ إِشْبَاعِ ٱلْبَشَرِيَّةِ" (كولوسي ٢: ٢١ - ٢٣). فإنَّ نشأة شخصٍ في بيئة دينيَّة تركِّز على "لا تفعل!"، بينما هو يفتقر إلى القوّة لكبح جماح جسده، تصيبه على أقل تقدير بالإحباط. فإنَّ شعورَه بثقل الدينونة والذنب جارفٌ، بل ويدفعه الوضع الميؤوس منه أحيانًا إلى ارتكاب المزيد من الخطايا؛ إذ يبدو مدفوعًا بالقوة إلى فعل ما لا يريد. فإنَّ قلب ذلك الشخص المتشدِّد دينيًّا، بينما هو فاجر في الخفاء، مليء بشقاء وبؤس لا يُصدَّقان.

في أحد الأيام، أتى الفريسيّون - المعروفون بتشدُّدهم الدينيّ الخارجيّ - إلى يسوع بامرأة أُمسِكت في فعل الزنا، وطلبوا منه أن يُصدِر حُكمه عليها. لم يُصدِر يسوع، في حكمته، حُكمه على امرأة خاطئة في حضور مشتكين أثمة، لكنَّه في المقابل، انحنى ليكتب على الأرض (ولا ندري ماذا كتب)، ثم قال: "مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيَّةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلاً بِحَجَرٍ!" (يوحنا ٨: ٧). إلى أية خطايا كان يشير؟ ولماذا مضى هؤلاء من دون أن يتفوَّهوا بكلمةٍ أخرى، "وَكَانَتْ ضَمَائِرُهُمْ تُبَكِّتُهُمْ"؟ هل نكون مبالغين إن افترضنا أنَّ هذه الخطايا التي جعلت هؤلاء الرجال يمضون كانت مساوية لخطيَّة هذه المرأة أو أسوأ منها؟

وأين كان الرجل الذي ارتكب الزنا مع هذه المرأة؟ وكيف أمسكها الرجال؟ وما مدى معرفتهم بها؟ نجهل إجابات هذه الأسئلة.

لكنَّ الحقيقة التي نسعى إلى إثباتها الآن هي أنَّ مَن يسلكون في الخداع، ويرتدون أقنعة، بل ويبرَعون في ارتدائها، يجعلون أنفسهم أكثر ضعفًا أمام التجارب الجنسيَّة. فحين يرتدي المرء قناع البرِّ، مخفيًا وراءه روحًا خاوية، تفقد روحُه قدرتَها على رفض الخطيَّة الجنسيَّة. بل وعلى النقيض، يبدو في بعض الأحيان مجبَرًا على ارتكاب الخطيَّة، إذ تُحرِّكه تلك التناقضات بين القناع الخارجيّ وجوهر القلب الحقيقيّ، وما نجم عن هذا من شقاء داخلي.

ما أكثر تطبيقات هذا المبدأ:

١. حين يفقد رجلٌ يخدم في الكنيسة حماسَته وتوهُّجه الروحيّ، يصير عُرضة على نحو خطير للتجربة الحسيّة.

٢. الشباب أو الشابات الذين ينشؤون في بيئة متشدّدة من الخارج، بينما هي مجدِبة روحيًا أو عاطفيًا، هم عُرضة بصفة خاصة للوقوع في خطايا من قبيل التخيُّلات الجنسيَّة، والعادة السريّة، وزنا المحارم، والبهيميّة.

٣. الجماعات الدينيَّة المتشدّدة التي تفقد حيويّتها الروحيَّة تعج بالخطايا الجنسيَّة.

٤. اجتماعات الشباب في الكنائس التي تركِّز على المظاهر، بينما هي فاقدة للروحانيّة الحقيقيّة، تنغمس في أفعال إيحائيّة جنسيًّا، بل وأحيانًا في أفعال جنسيَّة صريحة (مثل "التعارُف في الفراش" [bed courtship]).

٥. الجماعات التي تؤيِّد خلاصًا مؤسَّسًا على الأعمال تفتح الباب أمام الخطايا الجنسيَّة. فكِّر معي في كنيسة ثياتيرا، فقد قال يسوع: "أَنَا عَارِفٌ أَعْمَالَكَ وَمَحَبَّتَكَ وَخِدْمَتَكَ وَإِيمَانَكَ وَصَبْرَكَ، وَأَنَّ أَعْمَالَكَ الأَخِيرَةَ أَكْثَرُ مِنَ الأُولَى. لكِنْ عِنْدِي عَلَيْكَ قَلِيلٌ: أَنَّكَ تُسَيِّبُ الْمَرْأَةَ إِيزَابَلَ الَّتِي تَقُولُ إِنَّهَا نَبِيَّةٌ، حَتَّى تُعَلِّمَ وَتُغْوِيَ عَبِيدِي أَنْ يَزْنُوا وَيَأْكُلُوا مَا ذُبِحَ لِلأَوْثَانِ" (رؤيا يوحنا ٢: ١٩ و٢٠).

فإن كانت عادات الخداع الضمنيَّة تؤدّي إلى خطايا جنسيَّة (من بين خطايا أخرى أيضًا)، أفلن يكون العكس صحيحًا أيضًا؟ ألن تُمثِّل الأمانة، والاستقامة، والصدق الداخلي تحصينات ضد الخطيَّة الجنسيَّة؟ نستطيع أن نجزمَ بشكلٍ قاطع بصحة هذا. وربما نكتشف في وصيّة بولس القائلة "فَاثْبُتُوا مُمَنْطِقِينَ أَحْقَاءَكُمْ بِالْحَقِّ" (أفسس ٦: ١٤) وسيلةَ حمايةٍ لم نكن نتخيَّلها. لا نريد أن نحمِّل التشبيه أكثر من المعنى الذي قصده الرسول، لكن دعونا نقول إنَّنا في معركتنا لأجل تحقيق الطهارة الأخلاقيَّة، يجب ألا نضع فوق أحقائنا أية أغطية زائفة. فإنّ صدق الجوهر - أي أن نعيش حياةً صادقة أمام الله والناس- هو وسيلة حماية ضد الفجور والخلاعة.

ملخَّص

تمثِّل الخطيَّة الجنسيَّة مشكلةً في حدِّ ذاتها؛ فهي مدمِّرة، وتحتاج إلى مواجهة وعلاج. لكنَّها في أحيان كثيرة لا تمثل مشكلة منفردة؛ بل ربما تكون المشكلات الجنسيَّة نتيجة (بينما هي في الآن ذاته سبب) مشكلات أخرى مثل الشعور بالخواء، والتمرّد، والغضب، والخداع. نحتاج أحيانًا إلى تحديد هذه المشكلات الضمنيَّة وتقويمها، قبل أن نتمكَّن من مواجهة السلوك الجنسيّ الخاطئ وتغييره.

للمزيد من الدراسة:

١. صِف بكلماتك، كيف يمكن أن يكون الخداع نتيجةَ الخطايا الجنسيَّة، وسببًا ضمنيًا لها في الآن ذاته.

٢. في أثناء الوقت الذي كان داود يُخفي فيه خطيّته (مع بثشبع)، في رأيك، كيف كان شعوره عند ذهابه للعبادة؟ وكيف تعتقد أنّه كان يتصرَّف؟

٣. اذكر بعض نتائج إخفاء الخطيَّة الجنسيَّة عن طريق التظاهر بالبِرِّ والاستقامة (فكِّر في النتائج على مستوى الحياة الشخصيَّة، والعلاقات، وتولِّي المسؤوليات).

٤. كيف يمكن للآباء والأمهات أن يطالبوا أبناءهم بالالتزام بمعايير السلوك والمظهر من دون أن يُسقِطوهم في فخ الرياء؟

٥. كيف يجعل الرياءُ المرءَ أكثر عرضة للسقوط في الخطيَّة؟ (ادعم إجابتك بالنصوص الكتابيَّة).

٦. في الجزء الأخير من الفصل ذكرنا أنَّ عادات التظاهر يمكن أن تجعل المرء أكثر عُرضة لخطايا الجسد. هل تتفق مع التصريحات التالية أم تعترض عليها؟

أ. خاطئٌ في العلن أفضل حالاً من خاطئ في الخفاء.

ب. الشخص الذي يعيش وراء قناعٍ أو واجهة، ستَنشأ لديه دوافع شهوانيَّة.

ج. الممثلون والممثلات هم أكثر عُرضة للسقوط في الخطايا الجنسيَّة لأنَّهم منخرطون في التظاهُر.

د. المؤمنون الذين يسلُكون بحسب إيمانهم ملزَمون بأن يكونوا صادقين.

هـ. من الخطر أن نبالغ في التشدُّد.

و. قد يتبع المؤمنون معايير في السلوك والمظهر من دون أن يكونوا مرائين.

٧. من بين المشكلات الضمنيَّة التي تحدَّثنا عنها في هذا الفصل، في رأيك ما هي المشكلة الأكثر شيوعًا؟ ومن بين هذه المشكلات ما هي تلك التي قد تصارع معها بشكلٍ شخصيّ؟

الفصل الرابع

التوبة عن الإخفاق الأخلاقيّ

"اُغْسِلْنِي كَثِيرًا مِنْ إِثْمِي، وَمِنْ خَطِيَّتِي طَهِّرْنِي.
لِأَنِّي عَارِفٌ بِمَعَاصِيَّ، وَخَطِيَّتِي أَمَامِي دَائِمًا."

مزمور ٥١: ٢ و٣

ذاق داود، نظير كثيرين ممَّن ارتكبوا الخطايا الجنسيَّة، مرارةَ عواقب خطيّته. فقد خسر شركته الحلوة مع الله، وتلطَّخت سمعته الطيّبة كإنسانٍ تقيّ، كما مات الابن الذي أنجبه من بثشبع. واغتصب أمنون بكرُه ثامار ابنتَه الجميلة. ثم أخذًا بالثأر، قتل أبشالوم (الأخ الشقيق لثامار) أمنون، ولاحقًا، حاول الاستيلاء على المملكة، وفي غضون ذلك، مارس الجنس مع بعض سراري داود في العلن. دفع داود ثمنًا باهظًا عن خطيّته.

لكنَّ داود تاب، وتضرَّع إلى الله طالبًا التطهير، وعاد مرّة أخرى إلى السلوك في استقامة أخلاقيَّة. في هذا الفصل، نودّ أن نستكشف معًا طريق التوبة. ويمكن أن نستهلَّ حديثنا بالقول إنَّ هناك تطهيرًا بالفعل من الخطيَّة الجنسيَّة؛ مجدًا للرَّب! فبنعمة الله، صار ترك حياة الخطيَّة، وكسر قيد العادات الجنسيَّة الخاطئة أمرًا ممكنًا. ترشدنا توبة داود، التي نقرأ عنها في المزمور ٥١، إلى طريق التطهير والعتق الروحيَّين. لنرَ إذًا ماذا يمكن أن نتعلّم منها.

رأى داود أنَّ خطيّته موجَّهة إلى الله في المقام الأول

"إِلَيْكَ وَحْدَكَ أَخْطَأْتُ، وَالشَّرَّ قُدَّامَ عَيْنَيْكَ صَنَعْتُ" (عدد ٤). قطعًا، أخطأ داود في حقّ أوريا، وفي حقّ بثشبع، وفي حقّ عائلتهما، وفي حقّ عائلته. لكن فوق هذا كلّه، أدرك أنّه أخطأ في حقّ الله. فقد انتهك ناموس الله، وسلك في عصيان مباشر لذاك الذي خلقه، ودعاه، وقاده، وحماه عبر السنوات. وهذا الإدراك لما فعله في حقّ الله هو الذي مثَّل له ضربة ساحقة.

كي نتغلَّب على الخطيَّة في حياتنا، يجب أن نَمثُل أمام الله، ونرى خطيّتنا في محضر خالقنا وفادينا. ينبغي أن نُفكر في ما تعنيه خطيّتنا لإله يَمقُت الخطيَّة، ولإله يُخبرنا بوضوح ما هو الصواب وما هو الخطأ. كما ينبغي أن نُدركَ ما تعنيه الخطيَّة لإلهٍ كان على استعدادٍ أن يُرسلَ ابنه ليخلِّصنا من الخطيَّة، وليموت ميتة بشعة حتى ننال نحن الغفران. علينا أن نجثو أمام ذاك الإله إلى أن نطرح عنّا كلَّ عذر، وكلَّ قناع، وكلَّ تبرير، فتصير خطايانا مكشوفة وعريانة أمام عينيه.

وأمام هذا الإله، نستطيع أن ندَع قلوبنا تنكسر من جراء بشاعة خطايانا، والعار الذي جلبناه على اسمه، وما تسبّبت فيه من تلفٍ لصورة الله في قلوبنا. ونظير داود، على دموعنا أن تنهمرَ أمام الرَّب أوّلاً.

للمزيد من الدراسة:

١. ما هي الأدلّة التي تُثبِت أنَّ توبة داود كانت صادقة وحقيقيَّة؟
٢. ضع قائمة بالأشخاص الذين أخطأ داود في حقهم بزناه وقتله.
٣. في رأيك، لماذا قال داود في المزمور ٥١ إنّ خطيّته كانت في حقّ الله "وحده"؟
٤. اذكر، وكن محددًا قدر الإمكان، النواحي التي فيها كانت خطيَّة داود في حقّ الله.
٥. أين تكمن أهميّة أن نرى أنَّ خطيّتنا موجَّهة إلى الله؟
٦. ما هي نتائج اعتقادنا أنَّ خطيّتنا هي فقط في حقّ الآخرين؟

أدرك داود أنَّ الخطيَّة نجَّسته وطلب التطهير

إنَّ الخطيَّة مُفسِدة أخلاقيًّا؛ فهي تشوِّه القلب، وتلطِّخ الضمير. وهي تظل وصمة عار ونقطة سوداء في سجلّ المرء.

يمكننا أن نرى جانب الخطيَّة المظلم لدى الآخرين أسرع بكثير من رؤيته في أنفسنا. ومن المثير للسخرية أنَّنا نتمكن من رؤيته في أنفسنا بأكثر وضوح حين تنكشف الخطيَّة أمام الجميع. فقد نظلّ نُبرِّرها أو حتى نرفض أن نُسمّيها خطيَّة طالما لم يعرف بها أحد. لكن فجأة، وفور معرفة الآخرين بها، يضربنا شعورنا بالخزي بسبب ما اقترفناه، ضربةً قويّة.

استطاع داود بشكلٍ ما أن يحتمل نفسه ويتعايش معها حين لم يكن أحد يعلَم بخطيّته. لسنا نَعلَم مدى الثقة والعجرفة التي استطاع بهما فعل ذلك، غير أنَّه من المؤكَّد أنَّ بعض المزامير التي كان يؤلّفها كانت أحيانًا تقف كغصة في حلقه. لكن حين رُفع الغطاء، لم يستطع أن يتحمَّل شرَّ زناه، وغدر قتله، وخُبث

مخطَّطه للتستُّر على خطيّته. لم يستطع أن يتحمّل كلّ هذه النجاسة الأخلاقيَّة. استمع إلى تضرعاته لأجل التطهير في المزمور ٥١:

"امْحُ مَعَاصِيَّ" (عدد ١)

"اغْسِلْنِي كَثِيرًا مِنْ إِثْمِي" (عدد ٢)

"مِنْ خَطِيَّتِي طَهِّرْنِي" (عدد ٢)

"طَهِّرْنِي بِالزُّوفَا فَأَطْهُرَ" (عدد ٧)

"اغْسِلْنِي فَأَبْيَضَّ أَكْثَرَ مِنَ الثَّلْجِ" (عدد ٧)

"امْحُ كُلَّ آثَامِي" (عدد ٩)

"قَلْبًا نَقِيًّا اخْلُقْ فِيَّ" (عدد ١٠)

"وَرُوحًا مُسْتَقِيمًا جَدِّدْ فِي دَاخِلِي" (عدد ١٠)

"نَجِّنِي مِنَ الدِّمَاءِ" (عدد ١٤)

وفقًا للقصة الواردة في ٢ صموئيل ١٢، أكَّد ناثان لداود في الحال أنَّ خطيّته قد غُفرت: "الرَّبُّ أَيْضًا قَدْ نَقَلَ عَنْكَ خَطِيَّتَكَ" (عدد ١٣). لكن في الأيام التي تلت هذا، ظلَّ داود يصرخ طالبًا التطهير. فقد أدرك أنَّ الخطيَّة نجَّست قلبه، وأنَّ الرَّب وحدَهُ هو القادر على تطهير ذلك القلب.

لا يعني هذا أنَّ المرء لا بدَّ أن يتوسَّل ويتضرّع لأيّام عدّة قبل أن يغفرَ الله خطيَّته. إنّما التوبة الحقيقيَّة تحمل في طيّاتها شعورًا عميقًا بالدَّنَسِ الذي تسبّبت فيه الخطيَّة، غير سامحة لنا أن نتعامل معه باستخفاف.

إنَّ الخطيَّة المستترة تبلِّد إحساسَنا ووعيَنا بشرِّها على نحو خطير. فإنَّنا قد نعتاد بشدّة إخفاء خطيّتنا، والتقليل من شأنها، وتسميتها بمسمَّيات مقبولة، أو تقديم "مبررات" لتورُّطنا فيها، حتى إنّنا نُقدِم إلى التوبة على عجالة. في هذه

الحالة، سنتحاشى النظر بصدقٍ إلى النجاسة الموجودة بداخلنا، وسنستاء حين يُشير الآخرون إلى خطيّتنا.

يعلِّمنا داود أنَّ التوبة الحقيقيَّة لا بدَّ أن تقترن، من دون انفصال، بوعي تامٍ بإثمنا؛ فقد صرخ: "خَطِيَّتِي أَمَامِي دَائِمًا." كان هذا الوعي مفيدًا لداود لأنّه:

١. دفعه إلى طلب التطهير.
٢. جعله يُقدّر قيمة هذا التطهير.
٣. حطَّم كبرياءَه (التي دفعته قبلاً إلى التستُّر على خطيّته).
٤. أنشأ فيه اتضاعًا شديدًا وحقيقيًّا.
٥. دفعه بقوّة في سبيل البِرّ.
٦. جعله ينفُر من العودة إلى خطيَّته.
٧. مكَّنه من قبول عواقب خطيَّته.
٨. أرشده إلى ردود أفعال حكيمة تجاه المشتكين عليه (راجع ٢ صموئيل ١٦: ١٠).

أولئك الذين يرفُضون التطلُّع إلى بشاعة وشرِّ خطاياهم الجنسيَّة، بل ويستاؤون حتى من ذِكر الآخرين لها، يوقعون أنفسهم في شرك توبة سطحيَّة. فهم يبغون التطهير لكنَّهم لا يبغون الانكسار؛ ويريدون أن يغفرَ الآخرون لهم (بل وقد يطالبونهم بهذا)، بينما يرفضون الإقرار بوضوح بطبيعة الأمر الذي يجب أن ينالوا الغفران عنه.

حين تُكشَف الخطيَّة بالكامل، حينئذٍ فقط يحدث تطهيرٌ عميقٌ منها، وغفرانٌ حقيقيٌّ لها. لكن في المقابل، حين يقاوم الخاطئ هذا الكشف الكامل، ويكترث بسمعتِه أكثر من التطهير، يصعُب أن نتأكّد حينها من وجود توبة حقيقيَّة، إذ

لا يمكننا التيقّن بأنَّ الخاطئ عازمٌ تمامًا على التخلّي عن طرقه القديمة وتغيير حياته بالكامل.

للمزيد من الدراسة:

١. كيف يتحاشى البشرُ النظرَ إلى بشاعةِ وشرِّ خطاياهم؟
٢. أيٌّ من هذه الطرق التي ذكرتها قد صارعتَ معها بشكلٍ شخصيّ؟
٣. هل من الممكن أن يبالغَ المرءُ في التركيز على بشاعة خطاياه وشرِّها؟ إن كانت الإجابة نعم، ففي رأيك ماذا يمكن أن تكون نتائج ذلك؟
٤. صِف سمات التوبة السطحيّة.
٥. صِف نتائج التوبة السطحيّة.
٦. في رأيك، لماذا تبدو خطايا الآخرين ظاهرةً وواضحةً لنا أكثر من خطايانا الشخصيَّة؟ وكيف ينبغي أن يؤثِّر وعيُنا بهذا الميل على تعاملنا مع خطايانا ومع خطايا الآخرين؟

أدرك داود أنَّ الخطيَّة قد أفسدت قلبه، وطلب تغييرًا للقلب

في العدد السادس من المزمور، نجد واحدة من أهمّ الملاحظات التي أدلى بها داود في صلاة توبته: "هَا قَدْ سُرِرْتَ بِالْحَقِّ فِي الْبَاطِنِ."

فإنَّنا خُلقنا على صورة الله، والجانب الروحيّ من الإنسان، أي "الْبَاطِن"، أو القلب، هو محور اهتمام الله بصفةٍ خاصة. فهو "سِرَاجُ الرَّبِّ" (أمثال ٢٠: ٢٧). وإنَّ عينَي الرَّب تنظران باستمرار إلى قلب الإنسان، لأنَّ الرَّب يَعلَم أنَّ هذا هو مركز التحكُّم، وأنّه الموضع الذي يُمثّل أهميّة حقيقيَّة.

حين نخطئ، نعتدي على جزءٍ مقدَّسٍ من كياننا، ولا نعود أوفياء تجاه هويّتنا الحقيقيَّة التي حصلنا عليها عندما خُلقنا، وهي أنَّنا حملة صورة الله. ويعتنق أعمقُ جزء في كياننا، أي القلب، الأكاذيب، فتصير مبرِّرات لاختيارات خاطئة، وأفعال خاطئة، وكلمات خاطئة. فندعو الشرَّ خيرًا والخيرَ شرًّا، ونصدِّق تلك الأكاذيب، بل ونبتكر استراتيجيّات لحمايتها، ونقطع وعودًا مستخدمين إيّاها؛ فنحب، ونبغِض، ونشاء، ولا نشاء، ونفرح، ونحزن، ونغضب ونهدأ مستخدمين هذه الأكاذيب، أي هذه التشوُّهات التي تجعلنا نخطئ. وطوال الوقت، ربما نخفي خطايانا بالمظاهر، أو حتى بالتصريح بأنَّنا "أمناء"،[١] وجديرون تمامًا بالثقة.

رأى داود في توبته، أنَّه قد صار بسبب خطيّته زائفًا وكاذبًا في أعمق جزء من كيانه. فقد صار قلبُه خائنًا لله، ولنفسه، وللمحيطين به. كان لديه قلبٌ خادعٌ، وخائنٌ، لم يستطع هو نفسه الوثوق به، فكيف بالله أو الإنسان؟ أدرك داود أيضًا أنَّ الله يريد حقًا رجالاً ونساءً يستطيعون أن يواجهوا بصدقٍ الزيفَ والخداعَ الذي يقبع في داخلهم: "هَا قَدْ سُرِرْتَ بِالْحَقِّ فِي الْبَاطِنِ."

وعن كيان الإنسان الداخليّ هذا نفسه، قال الله على لسان إرميا النبي في نغمة رثاء: "اَلْقَلْبُ أَخْدَعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ نَجِيسٌ مَنْ يَعْرِفُهُ!" (إرميا ١٧: ٩). كلمة "أَخْدَعُ" هنا تأتي من الأصل العبري نفسه للاسم يعقوب، الذي سُمِّي به ابن إسحاق المتآمر. وهو يعني حرفيًّا "الشخص الذي يُمسِك بالعقب"، أو الشخص الذي يُعثِر آخر من الخلف، أو الذي يبتسم في وجهك بينما يُخفي قلبًا غادرًا، أو الذي يحوِّل أي موقف لخدمة مصالحه الأنانيّة.

---

١ راجع تكوين ٤٢: ١١ لتجد مثالاً عن مدى طلاقتنا في التصريح بأنّنا أمناء وجديرون بالثقة. وفكِّر كيف كان وقع هذا التصريح على يوسف. وفي ضوء هذا، فكِّر أيضًا كيف يكون وقع عظات خدام غير أمناء، أو شهادات آباء غير أمناء على مَن يعرفون (أو ربما على ضحايا) خطاياهم الجنسيَّة السريّة.

استطاع داود رؤية الفساد الذي حدث في قلبه، واستطاع التعرُّف على يعقوب الذي بداخله، فصرخ: "قَلْباً نَقِيًّا اخْلُقْ فِيَّ يَا اللهُ وَرُوحًا مُسْتَقِيمًا جَدِّدْ فِي دَاخِلِي" (عدد ١٠).

كلُّ مَن يعيش في الفجور، ولا سيّما من يُخفي خطاياه وراء عباءة من البِرّ مثلما فعل داود، يُصيب إنسانَه الباطن بضررٍ جسيم. ولهذا، فإنَّ التوبة الحقيقيَّة لا تكتفي بالتوسُّل لنَيلِ الغفران، بل تصرخ أيضًا طالبة تجديدًا داخليًا. ما أروع السجلّ النظيف، إنّما هذا السجلّ لا يُصلِح تلقائيًّا الضرر الذي لحق بالروح.

إنَّ القلب الذي استسلم للفجور يُنشِئ عادات سيّئة؛ منها التبرير، والتستُّر، والتلاعب بالظروف، وممارسة الضغط على الآخرين كي يتماشى الكلُّ مع طريقة تفكير هذا القلب، وينصاع لرغباته. فإنَّ أساليب، من قبيل إبداء اللطف من أجل دوافع خفيَّة، أو استدراج الآخرين وخداعهم، أو تشتيت الانتباه، أو جذب الانتباه، أو استخدام تعابير الوجه أو لغة الجسد لخدمة المصلحة الشخصيَّة، أو الضحك في اللحظة المناسبة، أو حتى إبداء السخط، جميعها تتطوَّر إلى عادات تُستخدَم لعيش أسس الفجور الخاطئة.

لذا، فإنَّ القلب الذي حصل على تدريبٍ خاطئ في الفجور يجب أن يُعاد تدريبه في البِرّ. وكما قدَّمنا أعضاء جسدنا "آلاَتِ إِثْمٍ لِلْخَطِيَّةِ"، هكذا يجب أن نُقدِّم تلك الأعضاء عينها "آلاَتِ بِرّ للهِ" (رومية ٦: ١٣).

ينبغي لعمليَّة إعادة التدريب أن تبدأ من داخل القلب، ثمَّ تمتدّ إلى الخارج إلى كلِّ الجسد، لأنَّ هذا الجسد كان عبدًا للخطيَّة. "أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي تُقَدِّمُونَ ذَوَاتِكُمْ لَهُ عَبِيدًا لِلطَّاعَةِ أَنْتُمْ عَبِيدٌ لِلَّذِي تُطِيعُونَهُ إِمَّا لِلْخَطِيَّةِ لِلْمَوْتِ أَوْ لِلطَّاعَةِ لِلْبِرِّ؟" (رومية ٦ :١٦). يُنشئ الجسد استجابات من دون تفكير (تكاد تكون تلقائيَّة وآليَّة) بسبب طاعته للخطيَّة، وهذه الاستجابات التلقائيَّة الخاطئة يجب أن يُؤتى بها إلى النور، لاستبدالها باستجابات سليمة واعية، بحيث يصير الجسد "عبدًا للبِرّ".

يتحقّق تغييرٌ جوهريٌّ في القلب عن طريق التوبة. فإذ تقسَّى هذا القلب بفعل الخطيَّة، يجب أن ينكسر في التوبة: "ذَبَائِحُ اللهِ هِيَ رُوحٌ مُنْكَسِرَةٌ. الْقَلْبُ الْمُنْكَسِرُ وَالْمُنْسَحِقُ يَا اَللهُ لاَ تَحْتَقِرُهُ" (مزمور ٥١: ١٧). وتُنشئ هذه التوبة ليونةً من نحو الله، وهذه هي حالة القلب التي تمهِّد الطريق لاستعادة "الحقّ في الباطن". فإنَّ القلب الذي ترعرع متغذّيًا على واقعٍ مشوَّه لا بدَّ له الآن أن يَقبَل الواقع الحقيقيّ. وينبغي استبدال أية بآثار للأكاذيب السابقة الحقّ. هذه عمليّة مستمرّة تعتمد بشدّة على الانكسار المستمر، وليونة القلب، والروح التائبة. وهي العمليَّة التي نودّ أن نستكشفها بتفصيلٍ أكثر في الفصل التالي.

للمزيد من الدراسة:

١. بناءً على ٢ صموئيل ١١، اذكر نواحي تعدِّي داود على هويّته الأخلاقيَّة.

٢. بناءً على ٢ صموئيل ١٢: ١٥، نفهم أنَّ توبة داود حدثت بعد ولادة ابنه، مما يبيِّن أن تستُّره على خطيّته امتدَّ لفترة من الوقت. في رأيك، كيف أثَّرت خطيّة داود السريّة على تصرّفاته خلال هذه الفترة؟

٣. هل تتّفق مع الرأي القائل إنّه كلّما طال وقت إخفاء الشخص خطيّته، زادَ الضررُ الذي يلحق بهويّته الأخلاقيَّة؟ علِّل إجابتك.

٤. في رأيك، أيٌّ من العبارات التالية تصف بأفضل صورة، الدورَ الذي تلعبه التوبةُ في عمليَّة إصلاح القلب؟

أ. التوبة الحقيقيَّة والكاملة تُصلِح القلبَ تمامًا، بحيث يصير المرءُ حقًا أقوى أخلاقيًّا ممّا كان عليه قبل خطيَّته.

ب. التوبة الحقيقيّة والكاملة تطهِّر سجلّ المرء، لكن لا شأن لها بإصلاح هوية القلب الأخلاقيَّة؛ فالشخص التائب يكون أضعف أخلاقيًّا ممّا كان عليه قبل خطيّته.

ج. التوبة الحقيقيّة والكاملة تُطهِّر القلب، وتحصِّنه، وتجهّزه لإعادة بناء الهويّة الأخلاقيَّة، التي يلزم حدوثها بعد الإخفاقات الأخلاقيّة.

اشتملت توبة داود على مصارحة الأشخاص المعنيِّين

هذا جانبٌ صعبٌ من جوانب التوبة عن الخطيَّة الجنسيَّة. إلى أي مدى يجب أن نصارح؟ وما هي التفاصيل التي ينبغي البوح بها، ولمَن؟ وحين يرتكب الوالدان فعل الخيانة الزوجيَّة، هل يجب أن يخبروا أبناءهم؟ وإن كان أبناؤهم أصغر سنًا من أن يحتملوا هذا الخبر، فهل ينبغي مصارحتهم في وقتٍ لاحق؟ هل ينبغي كشف هذه الخطيَّة حين ينتقل المخطئ إلى مجتمع جديد؟ وحين تكون الخطيَّة الجنسيَّة شخصيّة، مثل الأفكار الشهوانيَّة، أو العادة السريّة، أو مشاهدة المواد الإباحيَّة، فهل يلزم مصارحة أحدٍ بها؟ تتطلَّب الإجابة عن هذه الأسئلة التفكير بعناية. ويبدو أنَّ الكتاب المقدَّس لا يضع لنا قواعد، إنّما يعرض مبادئ لإرشادنا، ويلزم تطبيق هذه المبادئ بحكمة.

إنَّ الحكمة ضروريَّةٌ هنا لأنَّ المبادئ الإرشاديّة تبدو نوعًا ما متناقضة، وتستدعي صُنع توازنٍ بينها. على سبيل المثال، نشعر بالفعل بوجود تناقُضٍ بين الصراحة والتكتُّم، وبين العدل والغفران، وبين التعاطف والتعنيف، وبين احتياجات مرتكب الخطيَّة الجنسيَّة واحتياجات مَن تعرّض للأذى من جراء خطيّة المرتكب.

كانت قصّة داود تشمل نوعًا واحدًا فقط من الخطايا الجنسيَّة، وهو خطيَّة الزنا. وعلى الرغم من أهميّة توخّينا الحذر من تطبيق المبادئ نفسها في كلِّ موقف نواجهه، إلّا أنَّ بإمكاننا تطبيق المبادئ التي نجدها في قصّة داود في مواقف عدّة أخرى.

١. **كلّما كانت الشخصيَّة معروفة، لَزم أن تكون التوبة أكثر علانية.** كان داود ملكًا، وقد انتشر خبرُ خطيّته في كافة أرجاء المملكة، وصار مزمورُ توبته جزءًا

من كتاب التراتيل الوطني، وقصّتُه جزءًا من التاريخ اليهوديّ. فيصعُب أن تخطئ شخصيّةٌ معروفةٌ في السِّر، ويستحيل فعليًّا أن تقدّمَ توبةً في السِّر.

٢. **يجب أن يتناسب مستوى المُصارحة مع مستوى العلاقة.** إنَّ من يتأثّرون بشدّة من جرّاء الخطيَّة الجنسيَّة يستحقّون مستوى من المصارحة متناسبًا مع هذا. على سبيل المثال، إنَّ تورّط الزوج في ممارسة العادة السريّة أو في مشاهدة المواد الإباحيَّة، يُحدِث تأثيرًا شديدًا على زوجته، ولذا، عند توبته، يجب أن يتناسب مستوى أمانته في مصارحتها مع مستوى الضرر الذي ألحقه بها. ويلزَم أن يتحدَّث معها بصدقٍ عن وقت ارتكابه الخطيَّة، وأين ارتكبها، ومدى تكرارها. ويصحُّ أيضًا أن يناقش معها كيف انساق إلى ارتكاب الخطيَّة، وما يمكن فعله كي يضمن ألّا يسقط فيها مرّةً أخرى. ففي كلّ مرّة تصرّف على هذا النحو، كان يرتكب خطيّة في حقها بشكلٍ مباشر، ولهذا عليه الاعتراف بتلك الخطيَّة لها على نحو مباشر أيضًا. إنَّ الخيانة الزوجيَّة خطيّةٌ يرتكبها المرءُ في حق عائلته بأكملها، ولهذا يلزم أن تعرِفَ بها عائلتُه بأكملها. وفي حال كان الأبناء أصغر سنًّا من أن يُقال لهم الحقيقة، ينبغي أن يعرفوها في وقتٍ لاحق. فخيرٌ لهم أن يعرفوا الأمر من والدٍ تائبٍ من أن يكتشفوه من زميلٍ ساخر.

٣. **يختبر المرءُ حريّةً وشفاءً حين يصارح شخصًا آخر بالتفاصيل، ولا سيما حين يكون شخصًا في موضع مسؤوليّة.** نعلَم أنَّ الله وحده قادرٌ أن يغفرَ الخطايا، لكن يتمّ نصحُنا بالتالي: "اِعْتَرِفُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ بِالزَّلاَتِ، وَصَلُّوا بَعْضُكُمْ لأَجْلِ بَعْضٍ، لِكَيْ تُشْفَوْا" (يعقوب ٥: ١٦). ربما هذا الشخص الذي سيقف بجانبك، ويصلّي لأجلك، ويُخضعك لقدرٍ ما من المُساءلة هو أحد خدّام الكنيسة، أو أحد والديك، أو مرشدٌ روحيّ، أو صديقٌ مقرَّب. أخبر الله ناثان بالخطوط العريضة على الأقل لخطيَّة داود؛ الزنا والقتل. لكن يبدو أنَّ داود هو مَن كشف بقيّة التفاصيل، أي كيف بدأ الأمر بمراقبة بثشبع وهي تستحم، وكيف خطَّط أن تأتي إليه، والخطوات التي اتّخذها بعد هذا للتستُّر عن خطيّته، وكيف جاءت بنتيجةٍ عكسيّة، وكيف وضع خطّةً لقتل أوريا. حين يحتفظ المرء ببعض التفاصيل

ويخفيها عن الأشخاص المناسبين، ستظلّ تلك التفاصيل تُشعره بالخزي في قلبه. لكنَّ كَشفَ الخطيَّة، وعدم إخفاء أمرٍ عن أولئك المسؤولين، أمرٌ مُحرِّرٌ على نحو فائق. فإنَّنا حينئذٍ نختبر شعورًا بالأمان.

٤. هناك حماية تكمُن في كشف الخطيَّة لآخرين في موضع مسؤوليّة. حين تناول بولس موضوع خطايا الجسد، نصح بالآتي: "فَلْنَخْلَعْ أَعْمَالَ ٱلظُّلْمَةِ وَنَلْبَسْ أَسْلِحَةَ ٱلنُّورِ" (رومية ١٣: ١٢). فإنَّ الخطايا الجنسيَّة، مثل جميع خطايا الجسد، تُحكِم قبضتها علينا بسهولة، وهي قبضةٌ يَصعُب فكُّها بشدّة. لكنَّ الإتيان بتلك الخطايا إلى النور هو أحد وسائل تجريدها من سطوتها. عندما يعترف أحدُهم بخطاياه إلى شخصٍ آخر يستطيع أن يُخضعه للمساءلة، فهو بهذا يهيّئ نفسَه لرفض الخطيَّة في المرة التالية. وصار يعلَم أنَّ ما يُعمَل في الخفاء لا بدَّ أن يؤتى به إلى النور؛ وتظلّ ممارسةُ السلوك في النور وسيلةَ حماية له من الرجوع إلى الظلمة. قال يسوع: "كُلّ مَنْ يَعْمَلُ السَّيِّآت يُبْغِضُ النُّورَ، وَلاَ يَأْتِي إِلَى النُّورِ لِئَلاَّ تُوَبَّخَ أَعْمَالُهُ. وَأَمَّا مَنْ يَفْعَلُ الْحَقَّ فَيُقْبِلُ إِلَى النُّورِ، لِكَيْ تَظْهَرَ أَعْمَالُهُ أَنَّهَا بِاللهِ مَعْمُولَةٌ" (يوحنا ٣: ٢٠ و٢١). فالإحجام الشديد عن الإتيان بالخطيَّة إلى النور ينكسر بمصارحة الأشخاص المناسبين.

٥. قد تؤدّي المصارحة أحيانًا إلى ردود أفعال واستجابات خاطئة، لكن لا بدَّ من تقبُّلها كجزءٍ من العواقب. كما سبق وذكرنا، أدّى اعترافُ داود بخطيّته إلى نتائج مدمِّرة على أبنائه. فعلى ما يبدو، كانت الخطايا الجنسيَّة التي ارتكبها أمنون وأبشالوم متّصلة إلى حدٍّ ما بخطيَّة داود الجنسيَّة (إلى حدٍّ ما، وليس بالكامل، لأنَّ كلاً من الابنَين كان يتحمّل مسؤوليّة عن خطاياه الشخصيَّة). قد يُحجِم البعضُ عن الاعتراف بخطاياهم خشية أن يؤثِّر ذلك الاعتراف سلبًا على أبنائهم أو على أعضاء كنيستهم. لكنَّ الحقيقة هي أنّنا لسنا نحن من نُقرِّر أو نُحدِّد عواقب خطايانا، فهي قطعًا يمكن، بل وسوف، تؤثر سلبًا على الآخرين؛ وهذا أحد أسباب خطورتها الشديدة. إلاّ أنَّ تجنُّب كشفها سيزيد فعليًّا من تأثيراتها السلبيّة بدلاً من أن يقلّلها. علينا ألا نتجنَّب الاعتراف بخطايانا بصدقٍ واتضاعٍ للأشخاص المناسبين

خوفًا من أن يؤثّر ذلك عليهم. ربما تتسبّب مواجهة الخطيَّة في حرج شديد لنا، وربما تدمِّر الآخرين، إلّا أنَّ مواجهتَها دائمًا أخيَر من إخفائها أو التقليلِ من شأنها.

هناك بُعدٌ آخر ذو علاقة، وهو تأثير الخطايا التي ارتُكِبت في أثناء العزوبة على فترة التعارف بين شخصَين، وعلى الزواج. هل يجب الإفصاح في أثناء فترة التعارف عن خطايا مارسها أحد الطرفَين، من قبيل ممارسة العادة السريّة، ومشاهدة المواد الإباحيَّة، والتلصُّص من النوافذ للبحث عن إثارة جنسيَّة بكشف عورات الآخرين، أو ملامسة أجساد الآخرين من دون موافقتهم بهدف الإثارة الجنسيَّة، أو ممارسة الزنا؟ إن كانت الإجابة نعم، فمتى؟ وماذا إن كان أحدُ الطرفَين قد تعرّض للإساءة الجنسيَّة، أو كان هو مَن أساء جنسيًا إلى الآخرين؟

في ما يلي، بعض الإرشادات الموجّهة إلى مَن تورَّطوا في ممارسات غير أخلاقيَّة في ماضيهم، وهم الآن يفكرون في الارتباط:

١. **ينبغي الإفصاح لشريك الحياة المحتمَل عن الممارسات غير الأخلاقيَّة التي شملت أشخاصًا آخرين.** إذا كان أحدُهم قد مارس علاقات جنسيَّة مع آخرين، ثم أراد الزواج لاحقًا من شخصٍ آخر (أو بَدْء ارتباطٍ قد يؤدّي إلى الزواج)، فلا بدَّ أن يصارحَ الطرف الآخر بهذا. فحتى إن كان قد قدَّم توبةً حقيقيّةً عن الخطايا الماضية، ونال الغفران عنها، لا بدَّ أن يُقرَّ بها بصدقٍ لشريك الحياة المحتمَل. ومع أنَّ العلاقة الجنسيَّة غير مترادفة مع رباط الزواج، إلا أنَّها مع ذلك رباطٌ (انظر ١كورنثوس ٦: ١٩). فإنَّ طرفَي العلاقة الجنسيَّة "يعرِفان" بعضهما بعضًا على نحو حميمي؛ وعدم الصدق بشأن هذا هو خيانة لثقة شريك الحياة المحتمَل. وبعض أنواع العلاقات الماضية (مثل علاقة جنسيَّة طويلة الأمد، أو علاقة أسفرت عن إنجاب أطفال)، قد يشوبها التعقيد الشديد لدرجة أنَّ الزواج لن يكون حينئذٍ اختيارًا حكيمًا.

٢. **إن كان أحدُهم قد تعرَّض لاعتداءٍ جنسيّ في الماضي أو كان هو مَن اعتدى جنسيًّا على شخصٍ آخر، لا بدَّ أن يواجه ذلك ويعالجه قبل الزواج.** إنَّ الإساءة

الجنسيَّة تُسبِّب ضررًا، ولهذا تُسمَّى إساءة. فهي تخلِّف وراءها ندوبًا عاطفيّة، وتؤدّي عادة إلى آثار جانبيّة مثل مواجهة صعوبة في الثقة بالآخرين، والميل إلى السيطرة، والشعور بعدم الأمان، والحساسية المفرطة، ونوبات الغضب. ويحتاج مَن تعرّض لإيذاء جنسيّ بعض الوقت قبل شروعه في الزواج حتى يواجه هذه المشكلات، ويتقدَّم صوب الشفاء والنضوج. لكن إن لم تُعالَج المشكلات التي تُرافق الإساءة الجنسيَّة قبل الزواج، ستُسبِّب المزيد من المشكلات بعده. فضلاً عن ذلك، يحتاج مَن أساء جنسيًا إلى آخرين أن يواجه ليس المشكلات العلاقاتيّة المُصاحِبة للإساءة فحسب، بل أيضًا المشكلات الضمنيَّة التي سبَّبت تلك الإساءة. بمعنى آخر، لن يكون المسيءُ مستعدًّا للزواج بمجرد الاعتذار للشخص أو الأشخاص الذين أساء إليهم في الماضي.

٣. **يلزَم التخلِّي بوضوح وحزم عن عادات الفجور قبل السعي إلى الدخول في علاقة زواج.** فإنَّ الشخص، سواء كان رجلاً أو امرأة، الذي يتبع قبل الزواج عادات من قبيل ممارسة العادة السريّة، أو مشاهدة المواد الإباحيَّة، أو التلصص من النوافذ لكشف عورات الآخرين، أو ممارسة البهيميّة، أو غير ذلك، يجب ألّا يفترض أنَّ الزواج سيعالج مشكلاته الجنسيَّة.[٢] لا يُقدِّم الزواج حرية جنسيَّة بلا قيود؛ بل تظلّ هناك حاجة مستمرّة إلى ضبط النفس لتأسيس علاقة محبّة حقيقيَّة. فإنَّ الخطايا الجنسيَّة الذاتيّة التي يمارسها المرء تُضعِف من قدرته على إحراز تقدُّم في الاهتمام بالآخر، ومراعاة مشاعره، وفي الحكمة، والتضحية - تلك الصفات اللازمة لعلاقة زوجيّة متينة. قطعًا يمكن التغلُّب على الخطايا الجنسيَّة بنعمة الله؛ لكن مَن لا يستفيد من تلك النعمة قبل الزواج، لا يمكنه أن يضمن تغيُّر الحال بعد الزواج.

٤. **بوجهٍ عام، من الحكمة أن يتَّسمَ المرءُ بالصراحة، في وقتٍ مبكر من العلاقة، بشأن تورُّطات جنسيَّة سابقة.** ينطبق هذا بصفة خاصة على التورطات الكبيرة والضخمة أي، على سبيل المثال، إن كان أحد الطرفَين قد مارس علاقةً

٢ للحصول على مساعدة خاصة بشأن التغلب على العادة السريَّة، راجع الملحق أ.

جنسيَّة مع آخرين، أو أساء جنسيًّا إلى آخرين. فإنَّ تأجيل المصارحة إلى وقت الخطبة يبدو دائمًا بمثابة خيانة لشريك الحياة المحتمَل. في العهد القديم، كان تأجيل المصارحة بفقدان العذريّة إلى ما بعد الزواج يُعتبر أساسًا مقبولاً للانفصال، وكان ينبغي معاقبة الشخص المذنب بارتكاب علاقات جنسيَّة قبل الزواج بالرَّجم (انظر تثنية ٢٢: ١٣ وما بعده).

٥. **عندما يحتاج أحدهم إلى مصارحة شريك الحياة المحتمَل بشأن تورطات جنسيَّة ماضية، قد يُفيد حضورُ طرفٍ ثالث في موضع مسؤوليَّة.** إنَّ مناقشة تفاصيل تورُّط جنسيّ تُعدّ مجازفة تشوبها الحساسية؛ وتزداد تلك الحساسية حين يرغب الشاب والفتاة في بناء علاقة. فالاستعانة بالوالدَين أو بقادة الكنيسة كطرف ثالث، يمكن أن تقلِّل من حرج التكلّم عن الموضوع في وقت مبكر من العلاقة؛ فعلى الأرجح أنَّ رموز السلطة ستكون أكثر موضوعيّة في تمييز ما يلزم التطرُّق إليه، والخطوات التي ربما يلزم اتخاذها لحل مشكلات ماضية وحاليّة. توجد العديد من المتغيِّرات التي تتعلّق ليس فقط بما ارتكبه أحد الطرفَين في الماضي، بل أيضًا بما قد يلزم فعله لحل مشكلات ماضية. فإنَّ طلب مشورة أشخاص أكبر عمرًا وأكثر نضجًا قد يساعد في جعل المناقشات نافعة ومفيدة بقدر الإمكان، بدلاً من أن تُسبِّب ضررًا لا داعي له.

إنَّ مصارحة الأشخاص المناسبين جزءٌ أساسيٌّ من التوبة، ويلزم القيام بهذه الخطوة أوّلاً مع جميع الأطراف المعنيَّة (مثل شريك الحياة ومَن أسيء إليهم في الماضي)، وفي المستقبل، مع كافة الأطراف الذين يصبحون معنيّين بحكم علاقتهم بالشخص (مثل الأبناء والحموَين). يتطلَّب هذا نعمة من الله، واتضاعًا من جانبنا؛ وعدنا الله بنعمته، إذا كنا على استعداد لفعل الصواب: "وَلكِنَّهُ يُعْطِي نِعْمَةً أَعْظَمَ. لِذلِكَ يَقُولُ: ’يُقَاوِمُ اللهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَأَمَّا الْمُتَوَاضِعُونَ فَيُعْطِيهِمْ نِعْمَةً‘" (يعقوب ٤: ٦).

للمزيد من الدراسة:

١. عندما يكون أحدُهم مذنبًا بارتكاب خطايا جنسيَّة، ما هي العوامل التي تحدّد ما إن كان ينبغي الاعتراف بتلك الخطايا للكنيسة أم لا؟

٢. لنفترض أنَّ عضوَ كنيسة متزوّجًا مارس علاقات جنسيَّة مع أختٍ عازبة في الكنيسة، واستمرت العلاقة فترة ستة أشهر. بالإضافة إلى ذلك، تورّط هذا الرجل في مشاهدة المواد الإباحيَّة، وقد سبق له أن لاطف جنسيًّا سيِّدة في مكان عمله، لكنّه الآن قدّم توبة، وهو يرغب في العودة إلى الكنيسة.

أ. اكتب ما تراه مناسبًا كاعترافٍ يُدلي به أمام الكنيسة.

ب. إن افترضنا أنَّ لهذا الرجل ستة أبناء تتراوح أعمارهم بين ثلاثة أعوام وثمانية عشر عامًا. ما هي الأمور المناسبة التي يستطيع أن يخبر أبناءه بها؟

ج. مَن هم الأشخاص المناسبون الذين يمكنه مصارحتهم بالتفاصيل؟ مثلاً عدد مرات ارتكابه هذه الخطايا، ومتى، وأين.

د. هل ستختلف إجاباتك عن الأسئلة السابقة إذا علمتَ أنَّ هذا الرجل راعي كنيسة؟

هـ. لنفترض أنَّ هذا الرجل وزوجته يظنّان أنَّ مصارحة ابنهما الأكبر بما قام به والده، ستدفعه إلى ترك المنزل والكنيسة. فأي إرشاد قد تقدِّمه لهما؟

٣. ما هي مخاطر الاعتراف العام والغامض بالخطايا الجنسيَّة على الكنيسة؟

٤. ما هي مخاطر الاعتراف المحدَّد أو المفصَّل بالخطايا الجنسيَّة على الكنيسة؟

٥. إن كان شاب أو شابة قد تورَّطا في خطايا جنسيَّة قبل الزواج، لكنهما لم يصرِّحا بهذه المعلومة إلا بعد الزواج، كيف يمكن أن يؤثِّر ذلك على زواجهما؟ وكيف ينبغي أن يكون رد فعل شريك الحياة الآخر عند معرفته هذه المعلومات؟

٦. اذكر بعض اقتراحاتك الشخصيَّة بشأن كيفيَّة تعامل (أو عدم تعامل) شخصين يتواعدان مع معلومات تتعلّق بخطايا جنسيَّة ماضية.

٧. لنفترض أنّه في أثناء فترة الخطوبة اكتشفت فتاةٌ أنَّ زوجها المحتمَل يصارع باستمرار مع العادة السريَّة. ماذا يجب أن تفعل؟ وهل تختلف إجابتك عن هذا السؤال إذا علمتَ أنه يشاهد أحيانًا بعض المواد الإباحيَّة؟

الفصل الخامس

إعادة بناء الهويَّة الأخلاقيَّة

"لأَنَّ هَذِهِ هِيَ إِرَادَةُ اللهِ: قَدَاسَتُكُمْ. أَنْ تَمْتَنِعُوا عَنِ الزِّنَا، أَنْ يَعْرِفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ أَنْ يَقْتَنِيَ إِنَاءَهُ بِقَدَاسَةٍ وَكَرَامَةٍ، لاَ فِي هَوَى شَهْوَةٍ كَالأُمَمِ الَّذِينَ لاَ يَعْرِفُونَ اللهَ."

١تسالونيكي ٤: ٣-٥

في الفصل السابق، تناولنا موضوع التوبة، أي الإقرار بالخطيَّة في حُزن وتأسُّف، والرغبة في تحويل المسار، والسلوك في طاعةٍ لله. ليست التوبة مجرد تقديم اعتذار، بل هي تشمل تحوُّلاً عن أمرٍ ما، واتجاهًا إلى أمرٍ آخر، أي التخلِّي عن أسلوب حياة معيَّن، لتبنِّي أسلوب جديد. ومن دون توبة حقيقيَّة، لا رجاء لنا في أن نتخلَّص من خطايانا ونُلقِي بها وراءنا.

في هذا الفصل، سنتناول ما يتضمَّنه هذا الأسلوب الجديد من الحياة. وبحسب كلمات الكتاب المقدَّس، هذا السبيل الجديد هو سبيل القداسة، أو عمليَّة التقديس؛ أي ذلك التحوُّل الداخليّ للقلب، الذي يستعيد صورة الله داخل الروح التي خرَّبتها الخطيَّة.

فَهم حجم التلف

يخطئ البعض إذ يظنّون أنَّ الاعتراف يحلُّ كافة مشكلات الفجور. فبالنسبة إليهم، إنَّ الخاطئ فقط بحاجة إلى الإقرار بخطاياه؛ وحين يعترف بها بشكلٍ سليم، وينال الغفران من الآب، ينتهي الأمر، ولا يوجد المزيد ليفعله من جانبه. فقد تطهَّر، وسيصبح كلّ شيء على ما يرام.

في حين أنَّ الله نفسه يؤكِّد لنا بوضوح أنَّ الاعتراف يجلب الغفران، لكنَّ هذا لا يعني أنَّ مَن نال الغفران لن يعاني بعدُ أيَّةَ متاعب مع الخطيَّة.

ربما يفيدنا هنا أن نقدّمَ تشبيهًا: إن حدث واخترقت بقرات أحد المزارعين السياج، مقتحِمةً حقل الذرة الذي لجاره، فإنها ستسبِّب الكثير من التلف والضرر بسرعة. لنفترض أنَّ المزارع أعاد بقراته إلى مزرعته، وسدَّ ثمن محصول الذرة التالف؛ ألن يكون بهذا قد تولَّى أمر التلف؟ هل يجب عليه أن يفعلَ شيئًا آخر؟ من ناحية محصول الذرة الذي لجاره، لا يلزمه فعل شيء. لكنّنا نتفق جميعًا معًا على أنّه حريٌّ به أن يعتني بسياجه، باحثًا عن مواطن الضعف فيه، وعن الأماكن المنهدمة، وأن يتكبَّد العناء والوقت لإصلاحها، وإلّا وجد نفسه واقعًا في المشكلة نفسها مرّة أخرى.

حين يتورّط أحدُهم في الفجور، يكون قد اخترق "سياج" ضميره. فقد ركضت شهواته عكس تيار مقاومة ذلك الصوت الداخلي الذي يخبره بأنه مخطئ؛ وعلى الأرجح أنَّ نزاعًا دارَ بين الرغبة والضمير لبعض الوقت قبل أن يخطئ

بالفعل. وحين يخطئ بالفعل، فهو يخترق السياج، هادمًا شيئًا وضعه الله في قلبه. ويظل هذا "الهدم" منطقةً خربة في الضمير، أي ثغرة تشكل مدخلاً سهلاً للخطيَّة نفسها. فالرجل الذي يشتري مجلّته الإباحيَّة الأولى، يفتح ثغرةً لشراء مجلّة أخرى بسهولة أكبر. وكلّما طال وجود فجوات وثغرات في سياج الضمير، ازدادت اتّساعًا؛ بل وتتَّسع لدرجة أنَّ الشخص قد يعبر حواجز أخلاقيَّة ربما من دون أن يقفَ لحظة ليفكِّر.

علاوةً على ذلك، تزيد الخطايا الأخلاقيَّة من تعمُّقنا في الخطيَّة؛ هنا ينهار تشبيه حقل الذرة. فحين يسمح رجلٌ لذهنه بالركض في طريق الشهوة، يرغب في النهاية بالمزيد، فينتقل بسهولة من الصور الذهنيَّة إلى الصور الحيّة، أي من الأفكار الشهوانيّة إلى مشاهدة المواد الإباحيَّة. وفي النهاية، تجرُّه تلك العادات إلى مغازلة النساء والتودُّد إليهن. ومن هنا لن يجد نقطة توقُّف ملائمة.

الفكرة التي نحاول توضيحها هنا هي أنَّ الاعتراف والتوبة يَجلِبان بالفعل غفران الله الرائع، ويُخرِجاننا من الحقل المحظور، لكنّهما لا يعيدان بناء السياج المنهدم تلقائيًا، ولا يعيدان تدريب الرغبات تلقائيًّا. فإنَّ الرغبات الجنسيَّة التي تغذَّت في مواضع غير مشروعة ستميل مرّة أخرى، مثل البقرات، إلى البحث عن مواطن الضعف. فربما يأخذ ذلك المزارع بقراته من حقل الذرة الذي لجاره إلى حظيرته، ويعطيها علفًا رائعًا. لكن في النهاية، ستقترب البقرات ثانيةً من السياج، وستنجذب بشكلٍ خاص إلى المواضع الهشة والمنهدمة فيه.

ربما يشعر شخصٌ نال الغفران عن الخطايا الجنسيَّة بالانزعاج الشديد بسبب ما وقع على الجانب الآخر من السياج، على غرار المزارع؛ لكن في النهاية، ستظهر الرغبات من جديد، وحينئذٍ سيعلَم أنَّه كان يجب عليه أن يفعلَ شيئًا حيال المواضع المنهدمة في قلبه.

ماذا ينبغي أن يحدث إذًا؟ تشمل عمليَّة إعادة بناء الهوية الأخلاقيَّة التي أتلفتها الخطيَّة الجنسيَّة ثلاث دوائر على الأقل. الدائرة الأولى هي دائرة الرغبات

الجنسيَّة نفسها؛ والثانية هي الخداع الكامن الذي مورس به الفجور؛ والثالثة تتعلق بالعادات التي يتعلَّمها المرء في أثناء ممارسة الفجور. هذه الدوائر الثلاث ليست منفصلة تمامًا، بل هي متداخلة ومتشابكة معًا بشكل كبير. لكنَّنا سنتناولها واحدة فواحدة.

للمزيد من الدراسة:

١. ما هي قيمة الاعتراف الدقيق بالخطيَّة؟

٢. اشرح كيف يمكن للبعض أن يعترفوا بخطاياهم حتى يتجنَّبوا الجهد والعمل اللازم لأجل إعادة بناء الهوية الأخلاقيَّة.

٣. من خلال المزمور الحادي والخمسين، اذكر طِلبات داود التي تتعلَّق بتغييرٍ للقلب يتجاوز غفران الخطيَّة.

٤. اقرأ الأصحاح السادس عشر من سفر القضاة، وضَع قائمة بمشكلات الهوية الأخلاقيَّة التي تراها في شمشون.

٥. في رأيك، ما هي العوامل التي صيَّرت شمشون هكذا؟

٦. اقرأ ١ ملوك ١١: ١-٨. ما هي العيوب التي نشأت في هوية سليمان الأخلاقيَّة، وكيف نشأت؟

إعادة بناء الهوية الأخلاقيَّة، الجزء الأول

مشكلة الرغبات الجنسيَّة المتَّقدة

نَسمَع كثيرًا أنَّ الرغبات الجنسيَّة ليست خاطئة في حدِّ ذاتها. في حين أنَّ هذا صحيح، إلّا أنّنا ربما لا نأخذ في الحسبان التلف الذي تُحدِثه الخطيَّة. فحين

تُسدُّ الرغبات الجنسيَّة بطرق خاطئة، لا تظل كما هي. وتشير نصوص كتابيَّة عدَّة إلى تأثيرات الخطايا الجنسيَّة على رغبات المرء الجنسيَّة.

"لِذَلِكَ أَسْلَمَهُمُ ٱللهُ إِلَى أَهْوَاءِ ٱلْهَوَانِ، لأَنَّ إِنَاثَهُمُ ٱسْتَبْدَلْنَ الاسْتِعْمَالَ ٱلطَّبِيعِيَّ بِالَّذِي عَلَى خِلاَفِ ٱلطَّبِيعَةِ، وَكَذلِكَ ٱلذُّكُورُ أَيْضًا تَارِكِينَ ٱسْتِعْمَالَ ٱلأُنْثَى ٱلطَّبِيعِيَّ، ٱشْتَعَلُوا بِشَهْوَتِهِمْ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، فَاعِلِينَ ٱلْفَحْشَاءَ ذُكُورًا بِذُكُورٍ، وَنَائِلِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ جَزَاءَ ضَلاَلِهِمِ ٱلْمُحِقَّ" (رومية ١: ٢٦ و٢٧).

"ٱلَّذِينَ إِذْ هُمْ قَدْ فَقَدُوا ٱلْحِسَّ، أَسْلَمُوا نُفُوسَهُمْ لِلدَّعَارَةِ لِيَعْمَلُوا كُلَّ نَجَاسَةٍ فِي ٱلطَّمَعِ" (أفسس ٤: ١٩).

"كُلُّ شَيْءٍ طَاهِرٌ لِلطَّاهِرِينَ، وَأَمَّا لِلنَّجِسِينَ وَغَيْرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَلَيْسَ شَيْءٌ طَاهِرًا، بَلْ قَدْ تَنَجَّسَ ذِهْنُهُمْ أَيْضًا وَضَمِيرُهُمْ" (تيطس ١: ١٥).

"لَهُمْ عُيُونٌ مَمْلُوَّةٌ فِسْقًا، لاَ تَكُفُّ عَنِ ٱلْخَطِيَّةِ" (٢ بطرس ٢: ١٤).

تُظهِر هذه النصوص الكتابيَّة التأثيرات المختلفة للخطايا الجنسيَّة على رغبات المرء الجنسيَّة.

١. تستطيع الخطايا الجنسيَّة أن تُشعِل الرغبة في المحظورات. تُنشئ المحظورات نوعًا من الإثارة، ويبدو أنَّ مَن يتورط في الخطايا الجنسيَّة مسمَّمٌ بتلك الإثارة بشكلٍ متزايد. فالأشياء المشروعة تبدو له عادية ومضجرة جدًا، بينما تمدُّه تلك المحظورة بفورة من المتعة واللذة. في واقع الأمر، يعزل هذا الشخص نفسَه عن الملذات والمتع الأعمق والأثبَت التي تنشأ عن البر، والأمانة، والمحبة الزوجيَّة الدائمة. فهو لن يختبر البتة الفرح المذهل نتيجة المحبة المُخلِصة؛ وفي المقابل، سيتجرع، آجلًا أو عاجلًا، رواسب كأس الخطايا الجنسيَّة مثل الخيانة، والهجر، والانفصال، والرفض، ووجع القلب، والإدانة، والخواء. وقد تصاحب هذه أيضًا آلامٌ وأحزانٌ من قبيل أمراض تتناقل جنسيًا، أو علاقات محطمة، أو خراب مادي، أو فترة حبس، أو عنف جسدي.

حين ترتبط المتعة الجنسيَّة بما هو محظور، تقع تغيُّرات ماكرة في هويّة المرء الجنسيَّة. فيصير ذلك الشخص الذي يعاني هذه الحالة مدفوعًا إلى تجاوز الحدود، ليس فقط لأجل ممارسة الجنس، بل لأجل تحدِّي نفسه في فعل ما يريد، متخطِّيًا العوائق للبحث عن سبل جديدة وأكثر جرأة نحو الشهوانيَّة. ومن المفارقة العجيبة أنَّه كلّما سعى المرء إلى المزيد من الإثارة الجنسيَّة فقط لأجل الإثارة، ازدادت حاجته إلى هذه الإثارة كي يشعر بالشبع. يصف بولس هؤلاء بأنَّهم "لما فقدوا كلَّ حسٍّ استسلموا إلى الفجور، فانغمسوا في كلِّ فسقٍ ولا يشبعون" (ترجمة الأخبار السارّة). وكما ذكرنا قبلاً، تؤدي الشهوة للمحظورات دائمًا إلى عواقب مثل الرفض، والسخط، والعنف، وخرق القوانين، وسوء المعاملة، والمزيد.

٢. **تستطيع الخطايا الجنسيَّة أن تسبِّب انحرافًا في الرغبات الجنسيَّة، مُصيِّرةً الطبيعي غير طبيعي.** كلّما أسلَم مجتمعٌ نفسَه إلى المتعة الجنسيَّة، انتشرت فيه الانحرافات الجنسيَّة. لا يعلِّم الأصحاح الأوَّل من رسالة رومية أنَّ المثليَّة الجنسيَّة هي النتيجة المباشرة أو الوحيدة لشغف جنسيّ متَّقد، بل بالأحرى أنَّ الغرائز الجنسيَّة الخارجة عن السيطرة تمثِّل بيئة ملائمة لانحراف الرغبات الجنسيَّة. بمعنى آخر، حين يعيش أناسٌ لأجل المتعة الجنسيَّة، يُنشِئون قوى محرِّكة تساعد على ظهور الانحرافات الجنسيَّة.

يمكن لهذا أن يحدث بطريقتين. أوَّلاً، تَدفَع الشهوةُ غير المُلجَمة إلى الجنس الناسَ إلى استكشاف سبلٍ جديدة للمتعة الجنسيَّة، وأحد أمثلتها المثليَّة الجنسيَّة. ثانيًا، تُحطِّم الغرائز الجنسيَّة الخارجة عن السيطرة العائلات، وتهدِم العلاقات، وتقضي على النماذج الجيِّدة والحسنة. قد تسبِّب هذه الفوضى العلاقاتيَّة تلفًا لا حدَّ له في هوية الأطفال في مرحلة نموِّهم، فينشأ البعض منهم ليصبحوا رجالاً مخنَّثين، ونساءً مسترجلات. كما ذكرنا قبلاً، المثليَّة الجنسيَّة هي فقط إحدى نتائج التشوُّش الأخلاقيّ والعلاقاتيّ. وقطعًا، ليست الخطايا الجنسيَّة هي السبب الوحيد وراء تشوُّه الهوية الجنسيَّة، بل قد تُشوَّه هذه الهوية داخل بيوت مسيحيَّة تضع معايير أخلاقيَّة صارمة. ليس الغرضُ من هذه الفقرات إظهارَ

كيف تنشأ المثليَّة الجنسيَّة، بل توضيح أنَّها انحرافٌ في الميول الجنسيَّة، وليس بديلاً مساويًا لها أخلاقيًّا.[١]

٣. **تستطيع الخطايا الجنسيَّة أن تزيد من الرغبة الجنسيَّة إلى حدٍّ تأثر كافة جوانب الحياة.** يزداد القلبُ الشهواني توتُّرًا وانغماسًا في الشهوة. ويحمل هذا الذهنُ النجس رغبتَه في ممارسة الجنس معه إلى مكان العمل، وإلى داخل غرفة الاستراحة في العمل، وإلى دعاباته، وإلى كلّ حديث وعلاقة ونشاط في حياته. لا يوجد مكان يحظر عليه الخوض في التخيُّل الجنسي، ولا يوجد إنسانٌ مُعفى من أن يقيَّم جنسيًّا. فإنَّ الرغبة في الإثارة الجنسيَّة، مثل الرادار، تسعى باستمرار إلى استهداف وسائل إشباع محتمَلة.

٤. **تستطيع الخطايا الجنسيَّة أن تُفسدَ الذهنَ والقلبَ لدرجة أنَّ النقي والصالح يصير ملوَّثًا ومنجَّسًا.** فالشاب الشهواني يمكنه أن يحوِّل تعاملاً طبيعيًّا مع شابةٍ إلى إشباعٍ بصريّ (حتى داخل اجتماعات الكنائس). ويمكن للرجل المتزوج أن يستغلَّ زوجتَه في إشباع رغباته الشهوانيَّة. وقد تغزو الشهوةُ قلبَ رجلٍ بقوّة حتى إنَّ امرأةً طاهرة قد تنزعج من مجرّد التواجد معه في مكانٍ واحد، حتّى لو لم يمسّها جسديًّا.

٥. **تستطيع الخطايا الجنسيَّة أن تُشعلَ الرغبات الجنسيَّة إلى حدٍّ تجاهل جميع القيود الأخلاقيّة، وفقدان السيطرة على الذهن والإرادة، ومن ثَمَّ على الجسد.** إنَّ الخطايا الجنسيَّة تؤدّي إلى الإدمان. فهي توقِّف العقل عن العمل، وتوجِّه القدمين باستمرار نحو سُبُل الخطيَّة. فحين تصبح عيونهم "مَمْلُوَّةٌ فِسْقًا"، يصبح الفسقُ كلَّ ما تراه في الجنس الآخر. وكما يقول الكتاب المقدَّس، إنَّ مرتكب الخطايا الجنسيَّة "لا يَكُفّ عن الخطيّة" (٢ بطرس ٢: ١٤). فإنَّ قوّته الأخلاقيَّة تنهار، وتسحبه رغباته إلى الوراء مرارًا وتكرارًا، حتى بعد أن يبغضَ خطاياه.

١ للمزيد من المساعدة في فهم المثليَّة الجنسيَّة، والتعامل معها، راجع الملحق ب.

إذًا، حين نقول إنَّ الرغبات الجنسيَّة صوابٌ في حدِّ ذاتها، لنتوخَّى الحذر الشديد بشأن ما نعنيه. فهي صائبةٌ من حيث تعريف الله لها، لكنَّها **ليست** صائبة في أشكالها المتَّقدة بالخطيَّة؛ فهذه طفرات ضخمة.

للمزيد من الدراسة:

١. ما هي التعابير الواردة في الأصحاح الأوَّل من رسالة رومية التي تبيِّن بوضوح أنَّ الرغبات الجنسيَّة يمكن أن تصير رغبات خاطئة؟

٢. حين يغذِّي أحدُهم الرغبةَ في المحظورات، ما هي الأفراح المشروعة التي يُفسِدها؟

٣. صف بأقصى دقة ممكنة كيف تستطيع الأفراح المشروعة أن تفوق الإثارة الناشئة عن المحظورات في مجال حياتنا الجنسيَّة.

٤. فكِّر في شخصٍ تعرفه (أو شخصيّة من الكتاب المقدَّس) انغمس في الملذَّات الجنسيَّة المحظورة، واذكر النتائج السلبيَّة التي صاحبت تلك الإثارة.

٥. بكلماتك الخاصة، اذكر طريقتين يتَّجه بهما الناس إلى المثليَّة الجنسيَّة في مجتمعٍ يُطلَق فيه العنانُ للرغبات الجنسيَّة.

٦. ما هي الكلمات الواردة في الأصحاح الأوَّل من رسالة رومية التي تبين أنَّ المثليَّة الجنسيَّة مخالِفة للطبيعة، أي أنّها انحرافٌ في الرغبات الجنسيَّة؟

٧. اذكر بعض الأمور التي تُفسَد وتُتلَف لدى شخص لديه هوسٌ بالأفكار والرغبات الجنسيَّة.

٨. ما هي بعض الأمور العمليَّة التي يمكن أن تفعلها سيِّدة متواجدة في مكانٍ واحد مع رجلٍ لديه هوس جنسيّ؟

٩. ما هي بعض الأمور العمليَّة التي يمكن أن يفعلها رجلٌ حين يضطرّ إلى التعامُل مع امرأةٍ لديها هوس جنسيّ؟

التغلُّب على الغرائز والرغبات الجنسيَّة المشتعلة

كيف يمكن للمرء إذًا أن يتعامل مع رغبات جنسيَّة قد صارت مسوخًا تسيطر على حياته؟ يقدِّم لنا الأصحاح السادس من رسالة رومية مساعدة كبيرة في هذا الشأن. حقًّا يمكن التغلُّب على "جسد الخطيَّة". صحيحٌ أنَّ الوسيلةَ قاسيةٌ وعنيفة، لكنَّ النتيجة مغيِّرة.

"عَالِمِينَ هَذَا: أَنَّ إِنْسَانَنَا ٱلْعَتِيقَ قَدْ صُلِبَ مَعَهُ لِيُبْطَلَ جَسَدُ ٱلْخَطِيَّةِ، كَيْ لَا نَعُودَ نُسْتَعْبَدُ أَيْضًا لِلْخَطِيَّةِ. كَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا ٱحْسِبُوا أَنْفُسَكُمْ أَمْوَاتًا عَنِ ٱلْخَطِيَّةِ، وَلَكِنْ أَحْيَاءً لِلَّهِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا. إِذًا لَا تَمْلِكَنَّ ٱلْخَطِيَّةُ فِي جَسَدِكُمُ ٱلْمَائِتِ لِكَيْ تُطِيعُوهَا فِي شَهَوَاتِهِ" (رومية ٦: ٦، ١١ و١٢).

يمكن كسر سطوة الرغبات الجنسيَّة عن طريق الموت والقيامة مع المسيح. ما هو المعنى الحقيقيّ لهذا؟

في الأصحاح السادس من رسالة رومية، نجد ما لقَّبه البعض باسم "تعاليم الاتّحاد" [identification doctrines]. يقول بولس إنَّنا "صُلبنا مع المسيح"، و"دُفِنَّا معه"، و"قمنا معه". وفي قرينة النص، يصرِّح بوضوح وبصورة متكررة أنَّ هذه هي وسيلة كسر سطوة الخطيَّة في حياتنا.

"نَحْنُ ٱلَّذِينَ مُتْنَا عَنِ ٱلْخَطِيَّةِ، كَيْفَ نَعِيشُ بَعْدُ فِيهَا؟" (عدد ٢).

"أَنَّ إِنْسَانَنَا ٱلْعَتِيقَ قَدْ صُلِبَ مَعَهُ لِيُبْطَلَ جَسَدُ ٱلْخَطِيَّةِ، كَيْ لَا نَعُودَ نُسْتَعْبَدُ أَيْضًا لِلْخَطِيَّةِ" (عدد ٦).

"لِأَنَّ ٱلَّذِي مَاتَ قَدْ تَبَرَّأَ مِنَ ٱلْخَطِيَّةِ" (عدد ٧).

"كَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا ٱحْسِبُوا أَنْفُسَكُمْ أَمْوَاتًا عَنِ ٱلْخَطِيَّةِ" (عدد ١١).

"إِذًا لَا تَمْلِكَنَّ ٱلْخَطِيَّةُ فِي جَسَدِكُمُ ٱلْمَائِتِ لِكَيْ تُطِيعُوهَا فِي شَهَوَاتِهِ" (عدد ١٢).

"فَإِنَّ ٱلْخَطِيَّةَ لَنْ تَسُودَكُمْ" (عدد ١٤).

"وَإِذْ أُعْتِقْتُمْ مِنَ ٱلْخَطِيَّةِ صِرْتُمْ عَبِيدًا لِلْبِرِّ" (عدد ١٨).

"وَأَمَّا ٱلْآنَ إِذْ أُعْتِقْتُمْ مِنَ ٱلْخَطِيَّةِ" (عدد ٢٢).

من دون شك، يقول بولس إنّه من خلال موتنا مع المسيح، يحدث أمرٌ ما يحرِّرنا من سطوة الخطيَّة. يحتاج إلى هذا العتق أولئك الذين صارت رغباتهم الجنسيَّة المتَّقدة طاغيةً قاسيةً. كيف يحدث هذا؟ وكيف نموت مع المسيح ونُدفن معه ونقوم معه؟ هل هذه مجرد فكرة سامية؟ وما هو الواقع العمليّ بالنسبة إلينا؟

يُشدِّد هذا النص على عاملَين يؤثِّران في اتّحاد المؤمن الروحيّ بيسوع، وهما المعرفة، والحسبان.

لكن قبل أن نتناول هذين العاملَين، يجب أن نتكلّم بإيجاز عن المجرم الحقيقيّ. يُشير بولس إلى "الخطيَّة" في هذا النص باعتبارها أمرًا جوهريًّا وليس مجرَّد فعل. فهو لا يتحدث هنا عن خطيّة الكذب، أو الخيانة الزوجيَّة، أو السرقة بل عن الخطيَّة، أي كيان الخطيَّة، ذلك الانحراف الأخلاقيّ الموجود فينا جميعًا. يشير البعض إلى هذا باسم "الطبيعة الخاطئة"، ويسمِّيها بولس ببساطة "الخطيَّة". فحين قال: "كَيْ لَا نَعُودَ نُسْتَعْبَدُ أَيْضًا لِلْخَطِيَّةِ" (عدد ٦)، أو "لَا تَمْلِكَنَّ ٱلْخَطِيَّةُ فِي جَسَدِكُمُ ٱلْمَائِتِ" (عدد ١٢)، لم يكن يُشير إلى خطيَّة محدَّدة نرتكبها، بل إلى الطبيعة الخاطئة الموجودة في داخلنا، والتي تُنتِج جميع الخطايا المحدَّدة، ومنها الخطايا الجنسيَّة.

لن تتحقق النصرة على الخطايا إلى أن نتولَّى أمر الخطيَّة. وكي نتحرّر من الخطايا الجنسيَّة، علينا أن نضع الفأس على أصل الخطيَّة هذا، أي على الجَذر الموجود في الداخل.

أهميَّة المعرفة

يستلزم العتق من الخطيَّة المعرفة: "أَمْ **تَجْهَلُونَ** أَنَّنَا كُلَّ مَن ٱعْتَمَدَ لِيَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ ٱعْتَمَدْنَا لِمَوْتِه" (عدد ٣). "**عَالمينَ** هَذَا: أَنَّ إِنْسَانَنَا ٱلْعَتِيقَ قَدْ صُلِبَ مَعَهُ لِيُبْطَلَ جَسَدُ ٱلْخَطِيَّةِ، كَيْ لَا نَعُودَ نُسْتَعْبَدُ أَيْضًا لِلْخَطِيَّة" (عدد ٦). "**عَالمينَ** أَنَّ ٱلْمَسِيحَ بَعْدَمَا أُقِيمَ مِنَ ٱلْأَمْوَاتِ لَا يَمُوتُ أَيْضًا. لَا يَسُودُ عَلَيْهِ ٱلْمَوْتُ بَعْدُ" (عدد ٩).

يتطلَّب الانتصارُ على الخطيَّة معرفة؛ بمعنى أنّه يتطلّب تعريف القلب والذهن بالحقّ. ويبدأ هذا بمعرفة الحقائق الموضوعيَّة. فببساطة، علينا أن نقبل الواقع المزعج بأنّنا خطاة، وعلينا أن نعرف أنَّ خطايانا تستلزم الدينونة الأبديّة. كما لا بدَّ أن نعرف أنَّنا بمفردنا هالكون من دون رجاء. فإنّنا لن نُحرز البتة أي تقدُّم ضد الخطيَّة إن لم نواجه حالتنا الميؤوس منها بأمانة، ونتخلَّى حقًّا عن وهم أنَّنا لسنا أشرارًا إلى هذه الدرجة. لا بدَّ أن نعرف إذًا أنَّنا خطاة.

لكن هذا ليس كلّ ما يجب أن نعرفه. قد يعرف الخطاة المقيَّدون بالخطايا الجنسيَّة حقيقةَ أنفسهم، من دون أن يُعتَقوا. لذا، لا بدَّ أن نعرف أيضًا شخص يسوع وما فعله لأجلنا. لا بدَّ أن نعرف أنَّه ترك المجد، وجاء إلى الأرض كإنسان، ومات، وأنَّ هذا الموت كان لأجل خطايانا، وفي موته هذا كان بريئًا تمامًا، بينما كنا نحن مذنبين تمامًا. كما لا بدَّ أن نعرف أنَّه حين مات، كنّا **معه** روحيًّا. فإنَّ خطايانا سمَّرتنا معه على صليبه، موحِّدة إيّانا به في موته. قطعًا، لا بدَّ أن نعرف يسوع ليس فقط كحقيقة، أو في السياق التاريخي لحياته الأرضيَّة، بل أن نعرفه معرفة روحيَّة كشخص حيٍّ.

إنَّ معرفتنا بطبيعتنا الخاطئة، المقترنة بمعرفتنا بمخلِّصنا، حقيقةٌ ساحقة. فإنَّ معرفتنا بما فعله يسوع لأجلنا نتيجة لخطايانا أمرٌ غامرٌ، يكسر قلوبنا. وكلّما أطلنا النظر إلى المخلِّص المعلَّق على الصليب من أجل خطايانا، ازداد اختراقُ الحربة لأعماقنا. فإنَّنا بخطايانا سُمِّرنا على الصليب معه. لا بدَّ أن نَقبَل هذا الحق في قلوبنا، وإن كان يؤلِمنا أو يجعلنا نتّضع، لأنَّنا من خلال اتحادنا بيسوع في موته، نختبر صَلب **الخطيَّة** الموجودة في داخلنا، أي ذلك الميل الساكن فينا، وتلك الطبيعة التي تدفعنا إلى فعل ما يحلو لنا. كيف لنا أن نخطئ إذًا، ونحن نعرف كلّ هذا عن خطايانا وعن مخلِّصنا، ونعرف أنّنا ارتبطنا به بشكلٍ متكامل في موته!

إن شاهدَت أمٌ ابنَها الشاب يُدهَس تحت شاحنة، كيف عساها أن تجلس وتستمتع بتناوُل الطعام؟ لنفترض أيضًا أنَّ هذه الأم هي التي دفعت ابنها أمام الشاحنة من دون قصد، متسبِّبة بهذا في موته؛ فإنَّ موته إذًا يصبح ملازمًا لتصرُّفها. هذه الميتة الرهيبة التي رأتها بعينيها، بالإضافة إلى المعرفة القاسية بأنها هي مَن تسبَّبت فيها، من شأنها أن "تقضي على" شهيّتها تمامًا، هادمةً كلَّ رغبة في تناول الطعام. هكذا أيضًا، حين تُغمَر قلوبنا وأذهاننا بمعرفة ما فعله يسوع لأجلنا، وما ارتكبناه في حقه، تزول شهيّتنا للخطيّة.

أهميَّة الحسبان

الفكرة الثانية التي يُشدِّد عليها الأصحاح السادس من رسالة رومية في ما يتعلَّق بالتغلُّب على الخطيَّة هي أنَّنا لا بدَّ أن "نحسب" أنفسنا أمواتًا عن الخطيَّة، أو أن نعتبر أنفسنا كذلك. "كَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا ٱحْسِبُوا أَنْفُسَكُمْ أَمْوَاتًا عَنِ ٱلْخَطِيَّةِ، وَلَكِنْ أَحْيَاءً لِلَّهِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا" (عدد ١١).

علينا أن نَحسِبَ أنفسَنا أمواتًا عن الخطيَّة، أي أن ننمّي في داخلنا فكرة أنَّنا لم نعد نمارس الخطيَّة، أو نصغي إلى صوتها، أو نعيرها اهتمامًا. فإنَّ معرفتنا

بيسوع تُظهِر لنا حقيقة الخطيَّة، ونحن نحسب أنفسنا أمواتًا عن قوّة جاذبيتها، وأمواتًا عن رغباتها.

ليس هذا بالتأكيد سوى وجهٍ واحدٍ من الاختبار؛ نموت عن الخطيَّة كي نحيا لله. ورأينا جيّدًا ما فعله الله كي يفدينا من الخطيَّة، ورأينا ذبيحة ابنه، ورأينا محبّته. إنَّنا نتقدَّم في معرفتنا بيسوع، وفي العلاقة معه، وهو أصبح سيِّدنا الجديد. صرنا أحياءً لصوته، وأحياءً لمقاصده لحياتنا، وأحياءً لإرضائه.

إنَّ موتنا عن الخطيَّة غير منفصل البتة عن حياتنا لله. فنحن لم نُسمَّر على الصليب مع يسوع فحسب، بل قمنا معه أيضًا. ونمط الحياة القديم، أي تنفيذ ما تمليه علينا **الخطيَّة**، الذي هو "الإنسان العتيق"، قد انقضى. أما النمط الجديد، أي تنفيذ ما يمليه علينا **يسوع**، الذي هو "الإنسان الجديد"، فقد صار نمطَ الحياة الذي نعيشه الآن.

إنَّ موتنا عن الخطيَّة وحياتنا لله هما قطعًا مسألة إيمان. هذا اختبار روحيّ، وعملٌ للنعمة يحدُث بداخلنا؛ وإنَّنا نحسب الأمر كذلك بالإيمان. ونحسم الأمر أيضًا في قلوبنا؛ لقد مُتنا مع يسوع، وقُمنا لنحيا معه. ونستطيع أن نشهد مع الرسول بولس ونقول: "مَعَ ٱلْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لَا أَنَا، بَلِ ٱلْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاهُ ٱلْآنَ فِي ٱلْجَسَدِ، فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي ٱلْإِيمَانِ، إِيمَانِ ٱبْنِ ٱللهِ، ٱلَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِي" (غلاطية ٢: ٢٠).

لا نصرة على الخطيَّة، ولا إعادة بناء للهوية الأخلاقيَّة، من دون اتحاد روحيّ مع يسوع في موته وقيامته. فإنَّنا بالمسيح وحده نجرِّد الطبيعة الخاطئة من قوّتها. ليس يسوع فقط مخلِّصَنا الذي يغفر لنا خطايانا الماضية، بل هو أيضًا مخلِّصنا الذي يخلِّصنا الآن وكلّ يوم من الخطيَّة. كلُّ إنسان، سواء كان رجلاً أو امرأة، يرغب في التحرُّر من عبوديّته للخطايا الجنسيَّة، لا بدَّ أن يتعلَّق بكلّ ما فيه بيسوع. فهو المخلِّص الحقيقيّ، وعظمته كافية كي تحطم أية قيود وتحرِّر أي أسير.

للمزيد من الدراسة:

١. اذكر بعض الوسائل العمليَّة الممكنة لتوجيه ذهن المرء إلى "معرفة" أنَّه خاطئ. واذكر بعض الوسائل لتعريف قلوبنا بالمخلِّص.

٢. ما هي نتيجة معرفتنا بأنّنا خطاة من دون معرفتنا بالمخلِّص؟

٣. صف بكلماتك الخاصة ما تعنيه لك التعبيرات التالية:

أ. "مع المسيح صُلبتُ"

ب. "مع المسيح دُفنتُ"

ج. "مع المسيح أُقِمتُ من الأموات"

د. "أنا جالس مع المسيح" (انظر أفسس ٢: ٦)

٤. اذكر، بكلّ صدق، كيف تُبلي في حسبان نفسك ميتًا عن الخطيَّة وحيًا لله.

٥. ما هو الاختلاف بين أية علاقة أرضيَّة وعلاقتنا بالله؟

٦. لنفترض أنَّك في أحد الأيام لا "تشعر" أنّك حيٌّ لله. ما هي ردود الأفعال السليمة تجاه هذه المشاعر؟ وماذا يمكن أن تكون ردود الأفعال غير السليمة؟ كيف يمكن أن يسمو المؤمنون فوق مشاعرهم (وأن يتصرفوا أحيانًا بما يخالفها) من دون أن يقلِّلوا من شأنها أو يتجاهلوها تمامًا؟

٧. ما هي نتائج حسبان أنفسنا أمواتًا عن الخطيَّة، من دون حسبان أنفسنا أحياء لله؟ وماذا يمكن أن تكون نتائج حسبان أنفسنا أحياء لله، من دون حسبان أنفسنا أمواتًا عن الخطيَّة؟

إعادة بناء الهوية الأخلاقيَّة، الجزء الثاني

مشكلة الخداع

جميع الخطايا تُبنَى على الخداع. فإن أمكننا بالفعل رؤية الخطيَّة على حقيقتها، وإن استطعنا أن نرى دائمًا إلى أين تقودنا وماذا تفعل بنا، لهربنا منها مرتاعين. تُحاط الخطايا الجنسيَّة، بصفة خاصة، بأغطية جذَّابة. فعلى الأرجح أنَّه لا يوجد مجال نجح فيه إبليس في جعل السم والقذارة يبدوان جذابَين للغاية كما في مجال الخطايا الجنسيَّة. إلا أنَّ الخطيَّة الجنسيَّة، من دون قناع، غباءٌ تام.[٢]

إحدى مشكلات الاستسلام للخطايا الجنسيَّة هي أنَّنا نرحب بخداعها داخل قلوبنا وأذهاننا. لا نفكر فقط في أفكارٍ خاطئة، إنّما نظن أيضًا أنَّها صائبة. وتتغلغل الأفكار الخاطئة فينا بقوة حتى إنَّنا لا ندرك أنَّها موجودة من الأساس. فضلاً عن ذلك، قد نتمكن أحيانًا من معرفة أنَّ الخطيَّة الجنسيَّة شرٌّ، لكنَّنا نظلّ مصدِّقين الخداع الذي يجعلها جذَّابة. وبمعنى آخر، ربما نسمّي الخيانة الزوجيَّة خطيَّة، لكنَّنا نظل نعتبرها أشدّ جاذبية من الإخلاص في الزواج. وربما ننجح في التوقُّف قبل سقوطنا في الخطيَّة، لكنَّنا نتوقف نادمين، ظنًّا منّا أنَّ الحياة كانت لتصبح أكثر متعة لو استطعنا أن نعيش من دون قيودٍ على رغباتنا الجنسيَّة. هذا غباءٌ صريح، لكنَّنا نواجه صعوبةً في إدراك ذلك.

كي نعيد بناء هويّتنا الأخلاقيَّة، يجب أن نفضح خداع الخطيَّة الجنسيَّة، ونمزق تلك الأطر الملتوية التي تحيط بها كي تجعلها تبدو جذابة، ثم نستبدلها بالمبادئ المستقيمة والصحيحة الموجودة في كلمة الله.

٢ هذه هي خلاصة كتاب راندي ألكورن: "إنَّ الطهارة دائمًا حكيمة، والنجاسة دائمًا غبيّة":

Randy Alcorn's, *The Purity Principle* (Multnomah, Sisters, Oregon, 2003), 16.

دعونا نسرد بعض الأفكار الخادعة التي تشكِّل مبرِّرًا للخطيَّة الجنسيَّة:

١. الشيء المحظور أفضل من الشيء المسموح به (أي أنَّ الخيانة الزوجيَّة أكثر متعة من الإخلاص، أو مشاهدة المواد الإباحيَّة أفضل من رؤية الآخرين في ثياب محتشمة).
٢. كلّ ما لا يؤذي الآخرين مقبول.
٣. كل ما لا يشمل الآخرين مقبول.
٤. يمكنني أن أفعل هذا طالما لا أحد يعرف.
٥. حين يكون الجنس الآخر مثيرًا للشهوة، لا أكون مسؤولاً عن أفكاري وتصرفاتي الشهوانيَّة.
٦. إنَّ ممارسة الجنس أهم من العلاقة نفسها.
٧. لا بدَّ لشخصٍ من دون رفيق أن يفعل **شيئًا** لإشباع رغباته الجنسيَّة.
٨. يُعطي الزواج الحقّ في ممارسة الجنس وفقًا للرغبة.
٩. على شريك حياتي أن يتعاون معي في تلبية كلّ ما يمتعني.
١٠. حين لا يتعاون شريك حياتي معي جنسيًا، يصير لديّ مبرِّر لأن أمارس الضغط عليه كي يلبي رغباتي.
١١. إنَّ شريك الحياة الذي لا يتعاون جنسيًا، يتَّسم بالأنانيَّة.
١٢. حين لا يتعاون شريك الحياة جنسيًا، فلا بدّ أن أحصل على ما أريد من مكان آخر.

إنَّ قائمة الخدع وتنوُّعها لا تنتهي. فحين نرغب في إعادة بناء الهوية الأخلاقيَّة، علينا أن نُحدِّد تلك الخدع التي قبلناها أو التي جذبتنا. ويتطلّب هذا أمانة ومثابرة؛ لكن للأسف، يصير محبُّو الخطيَّة محبِّين للأكاذيب، حتى إنَّ استئصال هذه الأكاذيب من جذورها قد يُمثّل عملاً شاقًا، لأنَّنا نواجه صعوبة في

أن نتحلّى بالصدق من جهة أسباب الخطيَّة، وفي أن نقرَّ بأننا نسلك حقًّا بموجب هذه الأفكار المشوَّهة.

حين نحدِّد الأكاذيب المزروعة والمتوغِّلة داخل أفكارنا ودوافعنا، حينئذٍ سنتمكن من تعريض أذهاننا للحق، الذي يشمل حقيقة الشهوة، وأيضًا حقيقة الطهارة الأخلاقيَّة. ويحوي الكتاب المقدَّس نصوصًا عدَّة يمكن أن تساعدنا في هذه المهمّة، سواء كانت قصصًا أو تعليمًا مباشرًا. فإنّ قصص داود وبثشبع، وشمشمون ونسائه، واللاوي وسريته، وهوشع وجومر، والزوجة الخائنة في الأصحاح السابع من سفر الأمثال – جميعها تقدِّم لنا أمثلة حيّة تعلِّمنا عن حقيقة الشهوة. والعديد من النصوص الأخرى تعلِّمنا هذا الحق بصورة مباشرة.

"لَا تَشْتَهِيَنَّ جَمَالَهَا بِقَلْبِكَ، وَلَا تَأْخُذْكَ بِهُدُبِهَا. لِأَنَّهُ بِسَبَبِ ٱمْرَأَةٍ زَانِيَةٍ يَفْتَقِرُ ٱلْمَرْءُ إِلَى رَغِيفِ خُبْزٍ، وَٱمْرَأَةُ رَجُلٍ آخَرَ تَقْتَنِصُ ٱلنَّفْسَ ٱلْكَرِيمَةَ" (أمثال ٦: ٢٥ و٢٦).

"أَمَّا ٱلزَّانِي بِٱمْرَأَةٍ فَعَدِيمُ ٱلْعَقْلِ. ٱلْمُهْلِكُ نَفْسَهُ هُوَ يَفْعَلُهُ. ضَرْبًا وَخِزْيًا يَجِدُ، وَعَارُهُ لَا يُمْحَى" (أمثال ٦: ٣٢ و٣٣).

"قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لَا تَزْنِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى ٱمْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ" (متى ٥: ٢٧ و٢٨)

"لأَنَّ هَذِهِ هِيَ إِرَادَةُ اللهِ: قَدَاسَتُكُمْ. أَنْ تَمْتَنِعُوا عَنِ الزِّنَا، أَنْ يَعْرِفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ أَنْ يَقْتَنِيَ إِنَاءَهُ بِقَدَاسَةٍ وَكَرَامَةٍ، لَا فِي هَوَى شَهْوَةٍ كَالأُمَمِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ ٱللهَ، أَنْ لَا يَتَطَاوَلَ أَحَدٌ وَيَطْمَعَ عَلَى أَخِيهِ فِي هَذَا ٱلْأَمْرِ، لِأَنَّ ٱلرَّبَّ مُنْتَقِمٌ لِهَذِهِ كُلِّهَا كَمَا قُلْنَا لَكُمْ قَبْلًا وَشَهِدْنَا. لِأَنَّ ٱللهَ لَمْ يَدْعُنَا لِلنَّجَاسَةِ بَلْ فِي ٱلْقَدَاسَةِ" (١تسالونيكي ٤: ٣-٧).

من خلال هذه الآيات، نستطيع أن نكشف الخدع التي تحيط بالفجور الجنسيّ. وإنَّ الحقائق التي تخص الشهوة والفجور كثيرة وصعبة:

الأفكار والأفعال الفاسقة

١. تُثير رغبات لا يمكن سدادها البتة.
٢. تُسبِّب الشقاء والشعور بالذنب.
٣. تُخرِّب العلاقات.
٤. تُفسِد القدرات الجنسيَّة، فتجمح أو تنحرف.
٥. تُضعِف الرجولة والقوة الأخلاقيَّة.
٦. تُصيِّر الجمال الأنثوي مصطَنعًا وبخسًا.
٧. تُسبِّب الضعف والعبودية.
٨. تؤدّي إلى عواقب تتبع الشخص لسنوات، حتى بعد الغفران والتطهير.
٩. تُثير الغيرة، والتنافس، والصراعات المريرة.
١٠. تحمل في طياتها خزيًا شديدًا.
١١. تُغذِّي وتُشجِّع الأنانيّة.
١٢. تُحطِّم المصداقيَّة أو النزاهة، وتنشئ أزمة ثقة.

حين نتبع خداع الخطيَّة الجنسيَّة، فإنَّنا ببساطة لا ندرك الثمن الذي سندفعه. وإن أردنا أن نتحرّر منه، لا بدَّ من فضح حقيقته. فإعادة بناء الهوية الأخلاقيَّة تستلزم "فتح الأعين"، أي اكتساب قدرة جديدة على رؤية الأشياء على حقيقتها. نستطيع أن نَصقلَ هذه القدرة من خلال دراسة كلمة الله بانتظام، لاكتساب فهم وبصيرة. وفي ضوء الكلمة، سيزداد إدراكُنا لخداع الخطيَّة.

لكنَّ معرفة الحق عن الفجور والفسق ليس سوى جانبًا واحدًا. فلدى الكتاب المقدَّس الكثير ليقوله بشأن روعة الطهارة الأخلاقيَّة وقيمتها.

تأمل الحقائق التالية:

١. تتناغم الطهارة الأخلاقيَّة مع خليقتنا ومع خالقنا.
٢. العلاقات الطاهرة أخلاقيًا متينة ومُشبِعة.
٣. تتجلّى الرجولة عند احترام طهارة النساء، والتحكّم في الدوافع الجنسيَّة، وتجنّب مصادر التجربة.
٤. من علامات الجمال الأنثوي الحقيقيّ أن تكون المرأة طاهرة، وتَصقل هويتها الأخلاقيَّة، وتكون متحفِّظة في الكلام، والسلوك، والمظهر.
٥. الطهارة الأخلاقيَّة تمجِّد الله.
٦. جميع موارد السماء تساند أولئك الذين يختارون أن يكونوا طاهرين أخلاقيًّا.
٧. تُنشئ الطهارة الأخلاقيَّة متعة وشبعًا أعظم كثيرًا مما يمكن أن تقدِّمه الأفعال الفاسقة.
٨. الطهارة الأخلاقيَّة تثير الإعجاب.
٩. الطهارة الأخلاقيَّة تعطي حرية للتطلُّع إلى الآخرين من دون خزي.
١٠. تمثل الطهارة الأخلاقيَّة بيئة مناسبة لنمو الرجولة الحقيقيَّة والأنوثة الحقيقيَّة.
١١. الطهارة الأخلاقيَّة تقوي العلاقات.
١٢. الطهارة الأخلاقيَّة تترك إرثًا ضخمًا يمكن أن يعزِّز قوة الأجيال المستقبليَّة وأخلاقها.

ببساطة، ليس بوسعنا أن نوفي حياة الطهارة الأخلاقيَّة أو الشبع الذي تسبِّبه حق قدرها. فحين نُعلّي من شأن الحق المتعلِّق بالطهارة الأخلاقيَّة، حينئذٍ يصير الرجال رجالاً بالحقيقة، وتصير النساء نساءً بالحقيقة.

إذًا، كي نعيد بناء الهوية الأخلاقيَّة، يجب ألّا نكتفي فقط بتحديد الخدع التي سلكنا بموجبها، بل أن نستبدلها بالحق. ويحدث هذا حين نغوص بأذهاننا باستمرار في الحق. وسيُفيدنا في هذا الشأن أن نقرأ قصص الكتاب المقدَّس وندرسها، متأمِّلين في الشقاء الذي اختبره رجال من قبيل داود وشمشون، حين خرقوا المعايير الأخلاقيَّة. كما يمكن أن نتعلَّم الكثير من أشخاص مثل راحاب، أو آخرين، ممن تحرَّروا من حياة الخطيَّة والخزي. وبالمناسبة، كان بوعز، وهو رجل مبادئ أخلاقيَّة سامية، ابن راحاب. ويشجِّعنا مثال راحاب وبوعز هذا من جهة إمكانيَّة علاج وإصلاح حياة فاسدة. فيمكن بالحقيقة إعادة بناء الهوية الأخلاقيَّة. وحين يحدث هذا، لن تتكرَّر خطايا جيل ما بالضرورة في الجيل التالي.

يجدر بنا أن نَذكُر هنا خدعة خاصة كثيرًا ما تحيط بالعلاقات الجنسيَّة، وهي متصلة بشكلٍ مباشر بطبيعة الاتحاد الجنسيّ. يُنشِئ الاتحاد الجنسيّ رباطًا يحمل في طياته شعورًا قويًا بالالتزام والواجب. ومن المثير للسخرية أن نجد رجلاً يشعر بالالتزام تجاه امرأة غير زوجته، مارس معها علاقة جنسيَّة، متجاهلاً عهد زواجه. فربما يشعر، داخل هذا الرباط غير المشروع، أنه ملزَم بالوفاء بوعودٍ قطعها لها، وإن كانا ينكثان معًا بعهدٍ مدى الحياة مع زوجته. بل وقد يصف هذا بأنّه مسألة شرف: "لقد وعدتُ، ولا يمكن أن أتراجع عن وعدي." فهو يرَى أنَّه ملزَمٌ بأن يوفّر لها مكانًا للعيش، أو يعطيها سيارة لاستخدامها الشخصيّ، أو يعول ولدَها، أو لا يتخلَّى عنها، وإن كان هذا كلّه يطعن زوجتَه في قلبها وروحها. ففي ضوء تعدِّيه على العهد بينه وبين زوجته، يصير هذا "الشرف" بالتأكيد غباءً تامًّا. يلزم أن يرى هذا الرجل تلك الواجبات على حقيقتها – بأنَّها انتهاكٌ لشرفه – وأن يتوب عنها. لكن بينما لا يزال الاتحاد الجنسيّ حديثًا في ذهنه، سيواجه صعوبة في أن يعتق نفسه من هذا الشعور الخادع بالالتزام والواجب.

يمكن لامرأة تخون زوجها (أو فتاة غير متزوجة تمارس الجنس) أن تواجه شعورًا مماثلاً بالالتزام والواجب، لا بأن توفِّر الاحتياجات المادية للرجل، بل بأن

تسدَّ حاجةً علاقاتيّةً لديه. فقد تسقط المرأة في شرك علاقة جنسيَّة مع رجل بسبب تعاطفها مع شعوره بالوحدة أو بالرفض. وقد تتردَّد في إنهاء العلاقة خشية منها ألا "يتمكن هذا الرجل من العيش والصمود" من دون محبتها له. ووفقًا لتفكيرها المشوه والمخطئ، يحتاج هذا الرجل إليها، ويصعُب عليها بشدّة أن تتركه من دون أمل، إذ تخشى أن يصاب بحالة اكتئاب، أو يقدِم على الانتحار، أو "يرتكب فعلًا شنيعًا" إذا تركته. وعادة ما تكون على قناعة بأنَّ لا أحد يفهمه كما تفهمه هي.

للمزيد من الدراسة:

١. من بين قائمة الحيل والخدع، حدِّد تلك التي صارعت معها بشكل شخصيّ. ثم رتِّب القائمة بحسب المشكلة الأخطر أو الأكبر بالنسبة إليك.

٢. ما هي النصوص الكتابيَّة التي تتحدَّث عن هذه الخدع؟ (يمكنك أن تختار نصوصًا لم تُذكَر في هذا الكتاب). اذكر بشكلٍ محدَّد كيف تُعالج هذه النصوص الخدع.

٣. من بين هذه النصوص، ما هي تلك التي إذا تأمّلت فيها، ستساعدك لتحمي نفسك من الخطايا الجنسيَّة؟

٤. من بين قائمة الحقائق الخاصة بالأفكار والأفعال الفاسقة، اختر حقًا واحدًا يمثل أهميَّة خاصة بالنسبة إليك، واذكر السبب. وبناءً على خبرتك الشخصيَّة، ما هي الحقائق الأخرى عن الفجور التي يمكن أن تضيفها؟

٥. من بين قائمة الحقائق الخاصة بالطهارة الأخلاقيَّة، ما هي الحقائق الأخرى التي يمكنك أن تضيفها من خبرتك الشخصيَّة؟

إعادة بناء الهوية الأخلاقيَّة، الجزء الثالث

مشكلة العادات السيئة

رأينا في ما سبق أنَّ إعادة بناء الهوية الأخلاقيَّة تستدعي الموت والقيامة مع المسيح، وتستلزم تجديدًا لأذهاننا – أي تحوّل التفكير في الأكاذيب إلى تفكير في الحق. هذه التغييرات أساسيّة للتعامل مع العادات السيّئة؛ ومع ذلك، نحن بحاجة إلى الانتباه إلى العادات نفسها.

بكلمات بسيطة، العادات هي سلوكيات مكتسَبة. وفي الحقيقة، إنّه جيّدٌ أنَّنا نستطيع القيام بأمورٍ بحُكم العادة. فحين نسير، لا يلزمنا اتخاذ قرار بشأن خطواتنا، أو التكيُّف مع تغيّر التضاريس، أو تجنُّب الاصطدام بشيء في طريقنا. فإنَّنا نفعل هذا من دون وعي، ولا سيما في أماكن مألوفة لنا مثل بيوتنا. فقد يكون ذهننا منهمكًا في التفكير مثلاً في حالة أحد أقربائنا الصحية، أو في كيفيَّة تقسيم راتب هذا الأسبوع، بينما نسير في طريق متعرِّجٍ بين الأثاث، والألعاب، والأطفال، والغسيل.

هذه هي نعمة العادات.

لكن تصير هذه النعمة لعنة عند ارتكاب الخطيَّة. فكما يتعلَّم الجسد كيف يفعل أشياء نافعة من دون تفكير، هكذا يتعلَّم أن يفعل الخطيّة من دون تفكير، إن جاز التعبير. فحين يكون الجسد قد تدرَّب على اتباع المؤثرات والمحفزات الجنسيَّة، نكتسب حينئذٍ عادة التحديق لفحص أجساد الجنس الآخر، وملابسهم، وكلماتهم، ولغة جسدهم، من دون تفكير واعٍ في ما نفعله. فإنَّنا نتعلَّم كيف نُعدِّل من طبقة صوتنا، ونجول بعينينا، ونحرِّك فخذينا وكتفينا، ونضحك، ونتفاعل بطرق تتوافق مع الرغبات الجنسيَّة التي تحرِّكنا وتدفعنا. وقد تعتاد أجسادنا على ممارسة سلوكيات من قبيل المغازلة، والاشتهاء، والنكات البذيئة بحيث لا

نعود نفكِّر في ما نفعله. وعلى مستوى أعمق، ربما نعتاد تشويه معاني الكلمات والأحداث كي تصير إيحائية، أو تبرير أفعالنا الفاسقة، أو إخفاء كلماتنا أو أفعالنا الإيحائيّة، أي قد نفعل هذه الأشياء جميعها بحُكم العادة، من دون تفكير واعٍ. لكن كلَّ ما نعمله من دون تفكير واعٍ لن **يتغيَّر** البتة إلا بتفكير واعٍ. بوسعنا "ألا نفكِّر" كي نفعل شيئًا، لكن لا يسعنا "ألا نفكر" كي نتوقَّف عن فعلٍ شيء.

وفي أثناء عمليَّة إعادة بناء الهوية الأخلاقيَّة، ينبغي مواجهة العادات السيِّئة. فالعادة التي ترسخت بفعل التدريب لا بدَّ من استئصالها أيضًا بالتدريب. والأعين التي تعلَّمت كيف تحدِّق لا بدَّ أن تُدرَّب كي تتحاشى النظر؛ والذهن الذي تدرَّب على الإخفاء والتبرير لا بدَّ أن يُدرَّب كي يكشف ويعترف؛ والجسد الذي تدرَّب على ارتكاب الخطيَّة لا بدَّ أن يُدرَّب على فعل الصواب. ويتحدَّث بولس عن هذا بوضوح وبصورة متكرِّرة في الأصحاح السادس من رسالة رومية.

"وَلَا **تُقَدِّمُوا** أَعْضَاءَكُمْ آلَاتِ إِثْمٍ لِلْخَطِيَّةِ، بَلْ **قَدِّمُوا** ذَوَاتِكُمْ لِلهِ كَأَحْيَاءٍ مِنَ ٱلْأَمْوَاتِ وَأَعْضَاءَكُمْ آلَاتِ بِرٍّ لِلهِ" (عدد ١٣). "أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ ٱلَّذِي **تُقَدِّمُونَ** ذَوَاتِكُمْ لَهُ عَبِيدًا لِلطَّاعَةِ، أَنْتُمْ عَبِيدٌ لِلَّذِي تُطِيعُونَهُ: إِمَّا لِلْخَطِيَّةِ لِلْمَوْتِ أَوْ لِلطَّاعَةِ لِلْبِرِّ؟" (عدد ١٦). "كَمَا **قَدَّمْتُمْ** أَعْضَاءَكُمْ عَبِيدًا لِلنَّجَاسَةِ وَٱلْإِثْمِ لِلْإِثْمِ، هَكَذَا ٱلْآنَ **قَدِّمُوا** أَعْضَاءَكُمْ عَبِيدًا لِلْبِرِّ لِلْقَدَاسَةِ" (عدد ١٩).

فإنَّ أعضاء الجسد التي قُدِّمت قبلًا للخطيَّة لا بدَّ أن تقدَّم بوعي لله. قال أيوب: "عَهْدًا قَطَعْتُ لِعَيْنَيَّ، فَكَيْفَ أَتَطَلَّعُ فِي عَذْرَاءَ؟" (أيوب ٣١: ١). وكتب بولس لتيموثاوس: "فَأُرِيدُ أَنْ يُصَلِّيَ ٱلرِّجَالُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، رَافِعِينَ أَيَادِيَ طَاهِرَةً، بِدُونِ غَضَبٍ وَلَا جِدَالٍ" (١تيموثاوس ٢: ٨). وتنبّأ زكريا بأنَّ جزءًا من خدمة يوحنا ابنه سيكون "لِكَيْ يَهْدِيَ أَقْدَامَنَا فِي طَرِيقِ ٱلسَّلَامِ" (لوقا ١: ٧٩). وكتب بولس لأهل رومية هذه الكلمات: "فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا ٱلْإِخْوَةُ بِرَأْفَةِ ٱللهِ أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ ٱللهِ، عِبَادَتَكُمُ ٱلْعَقْلِيَّةَ" (رومية ١٢: ١).

الكلمة اليونانيَّة المترجَمة " تُقَدِّمُوا" [present] في هذا النص هي الكلمة نفسها المترجَمة "تُقَدِّمُونَ" [yield] في الأصحاح السادس من رسالة رومية.

تُشير هذه النصوص جميعها إلى فعل "تقديم" أجسادنا لمقاصد الله البارة. ينبغي أن نسلِّم أجسادنا وأعضاء أجسادنا بوعي لخدمة الله، أي لتتميم مشيئته. وينبغي أن ندرِّب أعضاء أجسادنا على أساليبٍ جديدة للنظر، والتكلّم، والضحك، والسلوك. بل وينبغي حتى للُغة جسدنا أن تعكس أهدافنا الجديدة، وفكرنا الجديد، والخيارات الجديدة لقلبنا الذي تجدَّد.

للمزيد من الدراسة:

١. اذكر بعض عاداتك الحسنة.

٢. اذكر عادة واحدة حاولتَ كسرها (غير عادة خطيَّة جنسيَّة). وصِف الصعوبات التي واجهتها لكسر هذه العادة.

٣. اذكر عادات متصلة بأفكار أو أفعال جنسيَّة قد صارعتَ معها وكن دقيقًا بقدر المستطاع.

٤. من جهة العادات التي ذكرتَها، تحدّث عمّا فعلتَه لتكسر كلّ واحدة منها، وصِف نتائج هذا.

٥. من جهة العادات التي ذكرتَها، ما هي أعضاء الجسد التي ينبغي أن تُقدِّمها لله؟ ضع هذا الأمر أمام الرَّب واسأله عن الوسيلة الملائمة التي يمكنك أن تقدِّم بها أعضاءك له. ربما تكون الوسيلة "تقديمًا" خاصًا لجسدك للرَّب، أو تعهُّدًا مكتوبًا، أو ربما مزيجًا من الاثنين. يمكن أن يكون هذا أمرًا سريًا بينك وبين الرَّب، أو تستطيع أن تُشرِك معك صديقًا يمكن الوثوق به.

اشتراك القلب

لن يجدي تقديم الجسد لله أيَّ نفع إلا حين يكون القلب عازمًا بالحقيقة على هذا. بمعنى آخر، هذا التقديم لا بدَّ أن يصاحب الاتحاد الروحيّ بالمسيح وتجديد الذهن، لا أن يحلَّ مكانهما. فإنَّ الجسد الذي يُعاد تدريبه هو خادمٌ للذهن المجدَّد. عندئذٍ، يصبح تقديم الجسد لله اختبارًا إيجابيًا للغاية. فإنَّ إعادة بناء الهوية الأخلاقيَّة ليست أن نتعلَّم كيف نقول "لا" للخطيَّة فحسب، بل أيضًا كيف نقول "نعم" لله. وهي أيضًا تدريب الجسد في سبل البرّ حتى بعدما كان يميل "تلقائيًا" إلى الخطيَّة، يصير ميّالاً "تلقائيًا" إلى البرّ. فإنَّ العادات التي مكَّنتنا من ارتكاب الخطيَّة من دون تفكير تُستبدَل بعادات تمكِّننا من فعل الصواب أيضًا من دون تفكير.

لكن يبدأ هذا التدريب ببذل جهد شديد، كما في أي تدريب آخر جدير بالعناء. فإنَّنا لم نتعلَّم المشي، أو ركوب الدراجة، أو الصفير من دون التركيز، والتعب، وبذل جهد متكرِّر، ومن دون الكثير من الممارسة. لكنَّ هذا الجهد يأتي بثماره، بحيث نتمكَّن في النهاية من فعل هذه الأشياء على نحوٍ يكاد يكون مثل "الطيار الآليّ"، أي من دون تفكيرٍ واعٍ يُذكَر.

لكنَّ إعادة التدريب قد تكون أصعب من التدريب، لأنَّنا لا بدَّ أن نبذل جهدًا واعيًا كي نتحاشى السقوط مرة أخرى في العادات القديمة. على سبيل المثال، حين كان أحدهم في القديم ينتقل من ركوب الخيل وعربات الخيل إلى قيادة السيارة، كان يلزمه ليس فقط أن يتعلَّم شيئًا جديدًا، بل أن يتخلّى عن الطرق القديمة. فإنَّ مخاطبة السيارة أو شدّ عجلة القيادة لن يحققان النتائج نفسها مثل مخاطبة الحصان أو شدّ الزمام.

استدعاء معونة الله

إنَّ مَن يأمل في التغيُّر من تقديم جسده للخطيَّة إلى تقديمه لله سيكتشف أنَّ الجهد الواعي ضروريٌّ. قد تبدو الطرق الجديدة شاقة ومرهقة في البداية، ويبدو الانزلاق والرجوع أمرًا طبيعيًّا للغاية. لكن من الجيّد أنّ هناك معونة إلهيّة متاحة لتدريب الجسد في سبل البرّ. فحين نخضع لله، نستدعي الروح القدس، ذاك القدير المعطَى لنا كي نُبقي الجسد تحت السيطرة. كتب بولس: "ٱسْلُكُوا بِالرُّوحِ فَلَا تُكَمِّلُوا شَهْوَةَ ٱلْجَسَدِ. لِأَنَّ ٱلْجَسَدَ يَشْتَهِي ضِدَّ ٱلرُّوحِ وَٱلرُّوحُ ضِدَّ ٱلْجَسَدِ" (غلاطية ٥: ١٦ و١٧). شكرًا لله لأجل الروح القدس الساكن فينا، والذي يَعتبر جسدَنا مهمّته الخاصة!

إذًا، وبينما نبذل جهدًا واعيًا وجادًّا لإعادة تدريب ألسنتنا، وأعيننا، وأيدينا، وأقدامنا في سُبُلِ الله، لا بدَّ أن نفعل هذا من خلال الصلاة. فنصارع بكلّ قوّتنا، بينما نتّكل في الآن ذاته على قوة الروح القدس الساكن فينا، وعلى نعمة الله، حتى نتغيَّر من الطرق القديمة إلى الطرق الجديدة. صاغ الرسول بولس الأمر كالتالي: "تَمِّمُوا خَلَاصَكُمْ بِخَوْفٍ وَرِعْدَةٍ، لِأَنَّ ٱللهَ هُوَ ٱلْعَامِلُ فِيكُمْ أَنْ تُرِيدُوا وَأَنْ تَعْمَلُوا مِنْ أَجْلِ ٱلْمَسَرَّةِ" (فيلبّي ٢: ١٢ و١٣). فإنَّ جهودنا لازمة لكنَّها غير كافية. إذًا، إنّنا نجتهد، لكن في الآن ذاته نتطلّع إلى الرَّب طالبين معونة إلهيَّة.

ثمَّة أهميَّة كبيرة هنا لتوازن سليم، إذ إنَّنا معرَّضون للسقوط في الخطأ من أحد الجانبَين. من ناحية، يحاول الشخص الذي سقط في أنماط من الفجور، سواء كان رجلاً أو امرأة، بكلِّ قوته وباستمرار، أن يتحرَّر من العبودية، لكنّه يخفق مرارًا وتكرارًا، ولا يتحرَّر البتة في الحقيقة. يدرك هذا الشخص جيّدًا أهميَّة بذل جهد شخصيّ، لكنّه ربما لا يدرك كيف يستفيد من النعمة الإلهية. أو ربما يدرك كيف، لكنّه لا يرغب حقًا في ترك خطيَّته. فالعائق الأبرز أمام استفادة المرء من النعمة هو عدم استيفاء شرط الاتضاع. يعطي الله نعمة للمتَّضعين (انظر يعقوب ٤: ٦)، ولمنكسري القلوب، وللراغبين بشدة في التواضع تحت يد الله، ولمن اكتفوا من

حُكمهم لأنفسهم. فإنَّ غياب الاتضاع والانكسار يوقف المرء عند نقطة يعجز عندها تمامًا عن إيجاد النعمة الإلهيَّة، فيُسفِر هذا عن جهود عقيمة، أي عن محاولات متكرّرة للتخلّي عن الخطيَّة الجنسيَّة بالقوة الشخصيَّة، من دون أن تُكلَّل أيّةٌ منها بالنجاح.

من الناحية الأخرى، هناك مَن يلقون المسؤوليَّة الكاملة على الرَّب. فهم يعلَمون جيِّدًا أن ليس لديهم ما يلزم لمواجهة الخطيَّة الجنسيَّة، ولذا لا بدَّ أن يتولَّى الله الأمر عنهم. فيتوقفون عن المحاولة، قائلين إنَّهم قد صلُّوا للرَّب حتى يحرِّرهم من هذه المشكلة، وهم الآن ينتظرون. يمتد الواقفون على هذا الجانب من المشكلة من متديِّنين إلى مجدّفين. يتحدَّث بعضهم بلغة دينية عن سيادة الله، قائلين إنَّه يفعل ما يشاء، وإنَّه قادرٌ أن يغيِّرهم في الوقت الذي يريده. في حين أنَّ آخرين يتكلّمون بلغة تُشير إلى الله بأصابع الاتهام. فهو من وضع بداخلهم هذه الدوافع والغرائز الجنسيَّة، وهو مسؤول عن تغييرهم إن شاء. في كافة الأحوال، مَن لا يرون سوى حاجتهم إلى المعونة الإلهيَّة، يُهملون تحمُّل مسؤوليَّة شخصيَّة (أو يستغلُّون "النعمة" كوسيلة لتجنُّب المسؤوليَّة). فهم لا يرغبون في اتخاذ قرار، أو بذل الجهد الذي يُطالبهم به الله حتى يتركوا خطاياهم.

لكن هذا هو التوازن الكتابيّ: إنَّنا نبذل جهدًا كي نتغيَّر – بل وجهدًا شديدًا – بينما نعترف طوال الوقت بأنَّه ليس لدينا ما يلزم من أنفسنا؛ ولذا، فإنَّنا نتّكل على الرَّب كي يُجري فينا ما نحن عاجزون عن فعله.

ملخّص

رأينا في هذا الفصل أنَّ إعادة بناء الهوية الأخلاقيَّة التي فسدت وتلفت بفعل الخطيَّة الجنسيَّة تستلزم ثلاثة أمور على الأقل: (١) معالجة الرغبات المنحرفة،

(٢) تحديد الخدع واستبدالها بالحق، (٣) إعادة تدريب الجسد ليتوقّف عن اتباع عادات الخطيَّة ويتبع عادات البرّ.

إنَّ الرغبات الجنسيَّة التي تشتعل بفعل الخطيَّة تصير مسوخًا طاغية لا بدَّ من تقديمها، مع بقية حياة الذات، كي تموت مع المسيح وتقوم معه إلى جِدَّة الحياة. ثم، داخل "جِدَّة الحياة"، لا بدَّ للذهن أن يتجدَّد، خالعًا عنه أسلوب التفكير القديم، ومعيدًا بناء فكرٍ جديد تمامًا، مبنيّ على الحق. أيضًا، ينبغي رفض العادات التي تكوَّنت بفعل الخطيَّة رفضًا واعيًا، وإعادة تدريب الجسد، الذي صار الآن مكرَّسًا لخدمة يسوع، حتى يتكلَّم ويتصرَّف بحسب القلب الجديد. هذه هي عمليَّة إعادة بناء الهويّة الأخلاقيَّة. لا يحدث الأمر بمحض الصدفة أو تلقائيًّا نتيجة للاعتراف والتوبة (كما أنه لا يحدث من دونهما). بل هي عمليَّة مستمرّة، تتحقَّق حين نعيش عن عمدٍ حياةً من نوع جديد، متَّحدة بيسوع.

للمزيد من الدراسة:

١. بكلماتك الخاصة، اذكر ما هي مشيئة الله لحياتك الجنسيَّة. لا بدَّ أن يشمل هذا ما لا يريده (بالنسبة إليك بالتحديد)، وما يريده.

٢. في ضوء ما ذكرتَه، حاول أن تصفَ دورك في هذا. ماذا ينبغي لك أن تفعل حتى تُتمِّم مشيئة الله لك؟

٣. من جهة ما يلزم أن تفعله، أين تجد أنَّ هناك حاجة بشكلٍ خاصّ؟ اكتب صلاة تُقرّ فيها بحاجتك إلى الله، وتطلب نعمته الإلهيَّة. ما الذي يمكنك أن تفعله كي تُبقِي هذه الصلاة في قلبك وعلى شفتيك؟

٤. اقرأ ١ يوحنا ٥: ١٤ و١٥. ما الصلة بين هاتين الآيتين وصلاتك؟

٥. في صراعك الشخصيّ ضدّ الخطايا الجنسيَّة، هل تعتقد أنَّك اتكلت بشكلٍ زائد عن الحدّ على قوّتك، أم توقّعت أن يقوم الله بدورك؟ هل صارعتَ مع إلقاء اللوم على الله لأنَّه لم يفعل ما توقّعت منه

أن يفعله؟ وهل هناك ما يمكنك أن تقوم به كي تحافظ على التوازن السليم بين كلٍّ من مسؤوليّتك الشخصيَّة واتّكالك على الله؟

٦. نظرًا إلى الأقسام الثلاثة لهذا الفصل، أيُّ قسمٍ يُمثِّل أهميَّةً كبرى بالنسبة إليك، في ضوء المرحلة التي تقف فيها الآن في عمليَّة بناء هويتك الأخلاقيَّة؟ اشرح إجابتك.

الفصل السادس

مواجهة العواقب

"فَقَالَ دَاوُدُ لِنَاثَانَ: ’قَدْ أَخْطَأْتُ إِلَى ٱلرَّبِّ‘.
فَقَالَ نَاثَانُ لِدَاوُدَ:
’ٱلرَّبُّ أَيْضًا قَدْ نَقَلَ عَنْكَ خَطِيَّتَكَ. لَا تَمُوتُ.
غَيْرَ أَنَّهُ مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ بِهَذَا ٱلْأَمْرِ
أَعْدَاءَ ٱلرَّبِّ يَشْمَتُونَ،
فَالِابْنُ ٱلْمَوْلُودُ لَكَ يَمُوتُ‘."

٢ صموئيل ١٢: ١٣ و١٤

كانت توبة داود عن خطيّته صادقة، وهكذا كان غفران الله. لكنَّ الغفران لا يمحو جميع عواقب الخطيَّة. ففي الأسابيع والأشهر التي تلي الخطيَّة الجنسيَّة (أو كشفها)، تظهَر صعوبات كثيرة نابعة منها بشكلٍ مباشر. ويمكن أن تشمل هذه الصعوبات اتهامات قانونيَّة، وتأديبًا كنسيًا، ونزاعات عائليّة وزوجيّة. على

سبيل المثال، حتى بعد توبة الزوج الذي كان غير مُخلِص، وتعاوُنه، تعاني زوجته وأبناؤه سلسلةً من الصراعات في محاولةٍ منهم لفهم ما حدث، ومسامحة المخطئ، وإعادة بناء الثقة.

يُمثّل رد فعل الشخص الذي سقط في شرك الخطيَّة الجنسيَّة تجاه العواقب أهميَّة كبيرة، إذ يمكن لهذا أن يُشكِّل الفارق بين عيش حياة النصرة أو الرجوع إلى الخطيَّة. كما يمكن لرد فعل المرء تجاه العواقب أن يكون له تأثيرٌ كبيرٌ على مدّة وشدّة تأثير تلك العواقب على حياته وعلاقاته. فإنَّ طبيعة ردود أفعالنا إمّا تُزيد من تأثيرات تلك العواقب وإمّا تُقلِّل منها.

إذًا، يحتاج مَن تابَ عن الفجور أن يتعلّم كيف يتجاوب بحكمة واتضاع مع الأشخاص أو مع المواقف في الأشهر والسنوات التي تلي توبته. ومع أنَّ الخطايا يمكن أن تُغفَر على الفور، إلّا أنَّ نتائجها لا يمكن أن تُمحَى مِن حياة مَن تورَّطوا فيها.

في ما يلي بضعة أفكار عن عواقب الخطايا الجنسيَّة، وعن كيفيّة الاستجابة لها بشكلٍ سليم.

العواقب حتميَّة

هذه حقيقة قاسية. لكلّ خطيَّة عواقبها، إنّما عواقب الخطايا ليست جميعها متساوية. فضلاً عن ذلك، تُحدِث بعض الخطايا تأثيرًا شخصيًّا علينا، والبعض الآخر تأثيرًا على علاقاتنا. وبما أنَّ حياتنا الجنسيَّة صُمِّمت بشكلٍ خاص لسداد احتياجات بعضنا بعضًا، فإنَّ الكثير من عواقب الخطايا الجنسيَّة تطال الآخرين أيضًا. وبما أنَّ حياتنا الجنسيَّة جزءٌ أساسيٌّ من هويتنا، فإنَّ الخطايا الجنسيَّة لها عواقب وخيمة. هذه العواقب كثيرةٌ وحتميّة.

قد يظن أحدُهم أنَّ بعض الخطايا الجنسيَّة فردية وخاصة. مثلًا، قد يرتكب أحدهم خطايا من قبيل الأفكار الشهوانيّة، ومشاهدة المواد الإباحيَّة، وممارسة العادة السريّة، من دون أن يراه أحدٌ أو يعرف بما فعله. ولعلّه ارتكب الخطيّة في الخفاء، إلّا أنّه نادرًا ما سيتمكن من الاحتفاظ بالعواقب لنفسه. نحن نملك من ناحية، "الحرية" لنفعل الخطيّة، لكن إذا فعلناها، نعجز عن التحكم في ما يمكن أن تفعله بنا، أو بمَن نحبهم. وهذا درسٌ يتعلَّمه الكثيرون بعد فوات الأوان.

حين قضى داود تلك الساعة مع بثشبع، كان يجهل تمامًا الثمن الباهظ الذي سيدفعه هو وعائلته. لنلقِ نظرةً معًا إلى ما أسفر عنه زنا داود، ولا سيّما النتائج العلاقاتيّة لكلِّ عاقبة من هذه العواقب.

- حبلت بثشبع.
- حاول داود إلصاق المسؤوليّة بأوريا، لكن لم يؤدِّ هذا سوى إلى نتائج عكسيّة.
- أُصيب داود باليأس فخطَّط لقتل أوريا.
- كشف الله لناثان، النبي الذي يثق به داود، فِعلة داود، وكان عليه أن يواجه داود.
- مات ابن بثشبع.
- انتشر خبرُ خطيَّة داود في الأمة بأسرها.
- علم غير المؤمنين بخطيَّة داود، وجلب الأمر العار على إله داود.
- اشتهى أمنون، بكر داود، ثامار وخطَّط لاغتصابها.
- أذلَّ أمنون ثامار بطرده إياها، ممّا أنشأ نيّة قتل بين ابنَي داود.
- قتل أبشالوم (أخ ثامار الشقيق) أمنون في النهاية، ممّا أنشأ حالة من الجفاء والاغتراب بين داود وأبشالوم.

- كان رد فعل أبشالوم تجاه هذا الجفاء أنّه شعر بالمرارة تجاه داود، فحاول الاستيلاء على العرش، مما تسبَّب في هروب داود كي ينجو بحياته.
- بينما كان داود هاربًا، وعلى الأرجح في أسوأ لحظات حياته، قذفه شمعي بالتراب والسُّباب.
- في أورشليم، زنا أبشالوم مع بعض سراري داود، موجّهًا بهذا إهانة علنيّة لداود.
- جاءت بعد هذا معركةٌ قُتل فيها عشرون ألفًا من الشعب القديم، وكان الكثيرون منهم جزءًا من مؤامرة أبشالوم الغادرة.
- قُتل أبشالوم، ابن داود.
- انحاز أخيتوفل (جَدّ بثشبع)، المشير الذي كان يثق به داود، إلى أبشالوم؛ وحين تجاهل أبشالوم مشورته، تخلَّص من حياته.
- طمح أبناء داود إلى العرش. وبعد وفاة داود، قتل سليمان أدونيا من أجل تطلُّعاته.

يا لصدق كلمة الرب: "لَا يُفَارِقُ ٱلسَّيْفُ بَيْتَكَ إِلَى ٱلْأَبَدِ" (٢ صموئيل ١٢: ١٠). فقد دفع داود ثمن خطيّته هذه مرارًا وتكرارًا.

لا يقاسي الجميع العواقب نفسها التي قاساها داود، لكن العواقب حتمًا تتبع الفجور. هكذا صاغ كاتب سفر الأمثال الأمر: "أَيَأْخُذُ إِنْسَانٌ نَارًا فِي حِضْنِهِ وَلَا تَحْتَرِقُ ثِيَابُهُ؟ أَوَ يَمْشِي إِنْسَانٌ عَلَى ٱلْجَمْرِ وَلَا تَكْتَوِي رِجْلَاهُ؟ هَكَذَا مَنْ يَدْخُلُ عَلَى ٱمْرَأَةِ صَاحِبِهِ. كُلُّ مَنْ يَمَسُّهَا لَا يَكُونُ بَرِيئًا" (أمثال ٦: ٢٧-٢٩). أو بحسب ترجمة الأخبارة السارة:"إن مسَّها لا يسلم من العقاب."

حين تسدّ الرغبات الجنسيَّة داخل حدود الزواج كما عيَّن الله، تشبه حينئذٍ تنّورًا تم الاعتناء به كما يجب، فاستطاع أن يُدفئ المنزل. لكنَّ تجاهُل الحدود

التي يرسمها الله للعلاقة الجنسيَّة يشبه إخراج الجمرات المشتعلة من التنّور؛ فحتمًا سيحترق أحدهم، بل وربما يحترق المنزل بأكمله بالنار. كما ذكرنا من قبل، إنَّ عواقب الخطايا الجنسيَّة حتميّة، وهي وخيمة. والأحمق وحده يظن أنَّه يستطيع الإفلات منها.

يمكن أن تكون العواقب وقائيَّة وأيضًا فدائيّة

امتنَعَ كثيرون عن ارتكاب الخطيَّة الجنسيَّة لأنّهم علموا أنَّها ستؤدي إلى عواقب. قد تبدو الخطيَّة جذابة، وربما يجرَّب المرء بشدّة بالاستسلام لها، لكنَّه يفكِّر في ما سيحدث. فإنَّ العار سيلحق باسم الرَّب، وسيتعرَّض شريك الحياة للخيانة، وسيخيب أمل الأولاد، وعلى الأرجح سيمتلئون بالمرارة والسخط، وسيتحدَّث المجتمع عن هذا، وقد يؤدّي إلى خسارة منصبٍ ما، وقطعًا سيؤدّي إلى خسارة السمعة.

يروي لنا راندي ألكورن قصةً عن شيخ كنيسة اعترف له ذات مرّة بأنَّه كان يُجرَّب بشدة في بعض الأحيان بارتكاب الزنا. فقال الرجل: "أود أن أقول إنَّ محبتي لله ولزوجتي كانا كافيَين لمنعي من السقوط، لكن اقتصر الأمر على **رُعب مطلَق**. كنت على يقين بأنَّني إذا سلكت هذا الطريق، سيترك الله حياتي تتحول إلى مأساة." وتعليقًا على هذا، يقول ألكورن: "يجب لمخافة الله ألا ترعبنا لدرجة إفقادنا عقولنا، بل أن ترعبنا فتعيدنا إلى صوابنا؛ فإنَّ 'مَخَافَةَ ٱلرَّبِّ يَنْبُوعُ حَيَاةٍ لِلْحَيَدَانِ عَنْ أَشْرَاكِ ٱلْمَوْتِ' (أمثال ١٤: ٢٧)."[1]

في الأصحاح السابع من سفر الأمثال، نقرأ عن شابٍّ "جاهل" سيق إلى الخطيَّة الجنسيَّة بواسطة امرأة فاتنة. لم يفكِّر هذا الرجل الجاهل في العواقب. ربما كان يعرف أنَّه من الخطأ ممارسة علاقات جنسيَّة مع سيِّدة متزوجة، لكن كما يقول الكاتب: " ذَهَبَ وَرَاءَهَا لِوَقْتِهِ كَثَوْرٍ يَذْهَبُ إِلَى الذَّبْحِ أَوْ كَالْغَبِيِّ إِلَى قَيْدِ الْقِصَاصِ حَتَّى يَشُقَّ

1 Alcorn, pp. 22, 23.

سَهْمٌ كَبِدَهُ. كَطَيْرٍ يُسْرِعُ إِلَى الْفَخِّ وَلاَ يَدْرِي أَنَّهُ لِنَفْسِهِ" (أمثال ٧: ٢٢ و٢٣). فإذ لم يكن مُلمًّا بالعواقب، كان أكثر ضعفًا أمام جاذبيَّة الخطيَّة.

نَفهَم من هذا أنَّ إحدى وسائل تجنُّب الخطيَّة الجنسيَّة هي التفكير بأمانة وتعقل في العواقب. ربما تَشُدُّ دراستُنا لحياة داود، وشمشون، وآخرين ممَّن انغمسوا في الخطيَّة الجنسيَّة من عزمنا على ألا نرتكب الخطيَّة. نستطيع أن نُضيف هنا أنَّ القصص (أو الأغاني) التي تُصوِّر الخطيَّة الجنسيَّة وكأنَّها من دون عواقب تشكّل خطرًا. فإنَّ الروايات الرومانسيَّة، والمسلسلات التلفزيونيَّة، والموسيقى الشعبيَّة توهمنا بأنَّ الخطيَّة الجنسيَّة مثيرة ومشبعة، وأنَّ العلاقات المحظورة هي الأفضل أحيانًا، وأنَّ الخطايا الجنسيَّة لا تدمِّرنا بل هي وسيلة إشباع.

ربما تُمثِّل معرفتُنا بالحق بشأن عواقب الخطايا الجنسيَّة وسيلةَ وقاية من الخطيَّة. وهذا جانبٌ من الحكمة التي كثيرًا ما تحدَّث عنها سفر الأمثال. فإنَّ هدف هذه الحكمة هو "لِإِنْقَاذِكَ مِنَ ٱلْمَرْأَةِ ٱلْأَجْنَبِيَّةِ، مِنَ ٱلْغَرِيبَةِ ٱلْمُتَمَلِّقَةِ بِكَلَامِهَا، ٱلتَّارِكَةِ أَلِيفَ صِبَاهَا، وَٱلنَّاسِيَةِ عَهْدَ إِلَهِهَا. لِأَنَّ بَيْتَهَا يَسُوخُ إِلَى ٱلْمَوْتِ، وَسُبُلُهَا إِلَى ٱلْأَخِيلَةِ" (أمثال ٢: ١٦-١٨).

يمكن أن تكون عواقب الخطايا الجنسيَّة أيضًا فدائيّة؛ أي أنَّها قد تُعيد الخاطئ إلى الطريق الصحيح، وتحفظهُ هناك. وهذه العواقب تضرب عادةً بشراسة: "لأَنَّ الْغَيْرَةَ هِيَ حَمِيَّةُ الرَّجُلِ فَلاَ يُشْفِقُ فِي يَوْمِ الاِنْتِقَامِ" (أمثال ٦: ٣٤).

على سبيل المثال، كان أوين رجلاً متزوجًا. وفي أحد الأيام، لاطف أوين جنسيًّا فتيات مراهقات عدّة في المدينة. وحين عرف آباء هؤلاء الفتيات بما فعله أوين، جاؤوا إلى منزله حاملين مضارب البيسبول. كانوا في غضبٍ شديد حتى إنَّهم لم يكونوا على استعدادٍ لانتظار تطبيق الإجراءات القانونيَّة الواجبة مع أوين. وجيّدٌ لأوين أنّه لم يكن في منزله آنذاك. لكن كان عليه أن يواجه عواقب قانونيَّة عن خطاياه، ومنها وضعه في مركز لتلقي المساعدة.

على مدار سنوات طويلة، استطاع أوين إخفاء خطاياه الجنسيَّة وراء عباءة من الغيرة المتشدِّدة الظاهريّة في الكنيسة. وكان رفعُ القناع عن حقيقة ما في قلبه عمليّةَ صراع مريرة؛ لكن في النهاية، فتح أوين قلبه أمام الله في انكسار. وبدموع، اعترف بخطاياه أمام الله، ثم أمام زوجته وأبنائه. فقد انتزعتِ العواقبُ الوخيمة جميعَ الأقنعة والأغطية عن خطاياه، وجاء إلى عرش الله ملتمسًا منه الغفران.

تُظهِر حالة أوين أنَّ قبضة الخطايا الجنسيَّة يمكن أن تكون محكَمة وشديدة، ويمكن لتأثيرها المخدِّر أن يعمي المرء بشدَّة، حتى إنَّ الأمر قد يتطلَّب أزمة صاعقة تُعيد الخاطئ إلى أرض الواقع.

إنَّ عواقب الخطايا الجنسيَّة لا تأتي جميعها في الحال عند التوبة. فإنَّ بعض نتائج الخطايا الجنسيَّة الأكثر صعوبة هي تلك التي تأتي بعد سنوات. فحين يتوب الخاطئ وينال غفرانًا من الله، عادة ما يتلقّى غفرانًا من عائلته وأيضًا من أعضاء الكنيسة، أي في وسط المؤمنين على الأقل. وفي مناخ الغفران هذا، قد يتخيّل للخاطئ التائب أنَّه يستطيع الآن أن يُلقي بهذه الخطيَّة وراء ظهره، ويمضي قُدُمًا حاملاً صحيفة بيضاء.

من ناحية، يستطيع هذا الشخص أن يفعل هكذا؛ فهو قد نال الغفران. لكنَّه على الرغم من ذلك سيواجه عواقب. وكما تُظهِر لنا حياة داود، قد يواجه المرء أحزانًا مضاعفة في السنوات القادمة. فربما يسقُط الصغار الذين تبعوه وكانوا يتخذونه قدوة في الخطيَّة نفسها، ملقين اللوم عليه. وفي مرحلة ما من الطريق، سيأتي شمعي ليذرّي عليه التراب ويرشقه بالحجارة، في أكثر لحظات حياته صعوبة على ما يبدو. كثيرًا ما ستبدو هذه العواقب المتواصلة للخطايا الجنسيَّة غير منصفة. فربما يسيء الآخرون فهم دوافعه، وربما تنتشر الشائعات، وتنشأ افتراضات، وتُرسَم حدود، وتوجَّه اتهامات، كلّ هذا على نحوٍ يبدو غير منصف تمامًا للخاطئ التائب.

من أشهر التجارب التي تهاجم المرء في الأشهر والسنوات التي تلي توبته عن الخطيَّة الجنسيَّة هي تجربة الشعور بالامتعاض والمرارة. ففي بعض الأحيان، يشعر التائب أنَّ الآخرين غير متسامحين معه، وأنَّهم يرفضون وضع ثقتهم به، وأنَّ فعل الصواب أمر غير جدير بالعناء والمحاولة. إنَّ البعض ممَّن انكسروا أمام عواقب صاعقة، في النهاية يسقطون ثانيةً في الخطيَّة فيبدأ "شمعي" برشقهم بالحجارة والتراب. كما يستغل بعض مرتكبي الخطايا الجنسيَّة عدم الإنصاف الذي اختبروه كي يبرِّروا عودتهم إلى الفجور.

إلّا أنَّ العواقب التي تُنشئ امتعاضًا ومرارةً لدى البعض قد تكون في الحقيقة علاجيَّة لدى البعض الآخر. فقد يستخدم الله ظروفًا "غير مُنصِفة" كي يُعيدنا إلى الطريق الصحيح، ويُحافظ على ليونة قلوبنا، ويُعزِّز شعورنا بعدم استحقاق الغفران، ويُبقينا سائرين في سبيل البرّ. وإنَّ ردود أفعالنا هي التي تُحدِّد إن كانت هذه العواقب ستساعدنا أم تدمّرنا. ولهذا، بعد الأسئلة التالية، سنتناول بعض ردود الأفعال الخاطئة تجاه عواقب الخطايا الجنسيَّة، وأيضًا كيف يريد لنا الله أن نستجيب.

للمزيد من الدراسة:

١. في هذا الفصل، تناولنا العواقب التي قاساها داود بسبب خطيَّته الجنسيَّة. ادرس إحدى الشخصيّات الكتابيَّة التالية، وضع قائمة بالعواقب التي عانتها الشخصيّة التي اخترتها: أ. شمشون (قضاة ١٤-١٦)، ب. يهوذا (تكوين ٣٨)، ت. دينة (تكوين ٣٤).

٢. في الأصحاح ٣٩ من سفر التكوين، نقرأ أنَّ يوسف كان أمينًا في وقت التجربة الجنسيَّة. ما هي النتائج التي قاساها يوسف لأجل أمانته؟

٣. حاول أن تتخيَّل ماذا كان يمكن أن يحدث لو استسلم يوسف للتجربة. ما هي العواقب التي ربما كانت ستتبع هذا؟

٤. هل يمكن أن تقدِّم مثالاً من حياتك الشخصيَّة تبيِّن به كيف حفظك الوعي بعواقب الخطيَّة الجنسيَّة من السقوط في الخطيَّة؟
٥. فكِّر في العواقب التي قاساها شمشون بسبب خطيّته. وهل تعتقد أنَّه صارع مع الشعور بأنَّ العواقب كانت غير منصفة؟
٦. كيف يكون رد فعل البشر عادةً حين يظنّون أنَّ العواقب غير منصفة؟
٧. اذكر مثالاً لعاقبة من عواقب الخطيَّة الجنسيَّة الصاعقة (حاول أخذ المثال من الحياة الواقعيَّة، وليس من موقفٍ افتراضيٍّ). هل كان لهذه العاقبة تأثير علاجيّ؟ علّل إجابتك أكانت سلبيّة أم إيجابيّة.

ردود الأفعال مبنيّةٌ على المواقف

كي نفهم ردود أفعالنا، لا بدَّ أن نعرف أنَّ الأفعال والكلمات (وكلّ ما يصاحبها من لغة الجسد والرسائل غير الشفهيَّة) تعتمد على طريقة تفكير القلب ومواقفه. ولهذا، فإنَّ ما نقوله أو نفعله ليس هو فقط ما يشكِّل رد فعلنا تجاه الظروف، بل الإطار الفكري والعاطفي الكامل الذي تنبع منه كلماتنا وأفعالنا. وفي حقيقة الأمر، على الرغم من أنَّ ما يراه الآخرون (ويتفاعلون معه عادة) هو الكلمات والأفعال، إلّا أنَّ المجرم الحقيقيّ هو المَوقِف الخفيّ والضمنيّ. فإذا أردنا أن ننجح في تغيير ردود أفعالنا، لا بدَّ أن نفهم جيِّدًا ما يدفعها ويحرِّكها.

وكي نفهم هذا بشكلٍ أفضل، لنفحص معًا بعض المواقف الخاطئة، ونقارنها بالمواقف السليمة، ثم ندرس كيف تظهَر هذه المواقف في هيئة كلمات وأفعال.

المواقف الخاطئة مقابل المواقف السليمة

١. بما أنّني تُبتُ، لا بدَّ أن يعاملني الآخرون بإنصاف. الموقف السليم: بما أنَّني ظلمتُ آخرين بخطاياي الجنسيَّة، أتوقع أن يكون رد فعل الآخرين تجاهي ظالمًا.

٢. حين أتوب، تصير خطاياي ماضيًا، ينبغي نسيانه. الموقف السليم: إن كان ما فعلتُه يسبِّب حزنًا مستمرًا أو صعوبات مستمرة لدى الآخرين، من المنصف إذًا أن أتحمَّل مسؤوليَّة مستمرة عن أفعالي.

٣. إنَّ كنيستي وعائلتي ملزَمتان بمسامحتي، وهذا يعني أنَّ كلّ شيء يجب أن يعود إلى سابق عهده. الموقف السليم: إنَّ الغفران فعل رحمة، ومع أنَّني أستطيع أن أطلبه، لكن لا يمكنني أن أطالب به حتى المؤمنين. فضلًا عن ذلك، حين يُعفَر لي، لا يلغي هذا الضررَ الذي سبّبتُه للآخرين، كما أنَّه لا يُعيد بناء هويّتي الأخلاقيَّة.

٤. بما أنّني تُبتُ، فعلى الآخرين أن يثقوا بي. الموقف السليم: حيث أفسدتُ نزاهتي، وهدمتُ الثقة، لا بدَّ أن أتولى بنفسي مسؤوليَّة إعادة بناء ما أفسدتُه، مهما كانت المدّة التي سيستغرقها هذا.

٥. بما أنّني تبتُ، يجب ألّا أضطر لمواجهة اتهامات قانونيّة عن أفعال غير قانونيّة. الموقف السليم: إنَّ غفران الله يخلِّصني من العقوبة الأبدية، لكنَّه لا يعفيني من العواقب القانونيّة. فإن لزَم أن أتألّم كمنتهك القانون، لا بدَّ أن أفعل هذا بهدوء ووداعة.

٦. إن أسلمني أحدهم للقانون بسبب سلوك جنسيّ غير قانوني، فهو بهذا يخرِّب سمعتي. الموقف السليم: أنا مسؤولٌ عن تخريب سمعتي، وستزداد الحال سوءًا إذا ألقيت اللوم على الآخرين.

٧. بينما أحاول أن أعيد بناء حياتي، يتوقَّع الآخرون مني الكمال، ويستخدمون أي خطأ أرتكبُه ضِدِّي. الموقف السليم: أنا في حاجة إلى

معونة ومشاركة من الآخرين كي يُخضِعوني للمساءلة، حتى لا أنحدر إلى الطريق الخطأ.

٨. لم يجلب لي الاعتراف بخطيّتي سوى المزيد من المتاعب، كان من الأفضل أن أكتفي بالاعتراف بها إلى الله. الموقف السليم: أظهر لي اعترافي بخطيّتي طبيعة الخطيَّة الجنسيَّة الحقيقيَّة؛ فهي تؤذي الكثيرين، وتُفسد حياتي. إنَّ مواجهة عواقب خطيَّة مُعترَف بها أفضل كثيرًا من مواجهة عواقب خطيَّة غير معترَف بها.

٩. لا أستطيع المجاهرة باعترافي لأنَّني سأفقد سمعتي (أو منصبي)، وهذا سيدمِّر عائلتي. الموقف السليم: بقدر تورّطي في الخطيّة، يلزم أن يكون اعترافي علنيًا. إن كانت الخطيَّة الجنسيَّة ستُجرِّدني (إن عُرِفَت) من أهليَّتي لما أفعله، فإنَّ الاعتراف فقط يكشف حقيقة أنَّ الخطيّة جرَّدتني من أهليَّتي. لا يهدم الاعتراف سمعة أحدٍ، بل هو الخطوة الأولى في إعادة بناء سمعةٍ من النزاهة.

هذه المواقف تغذِّي عادةً بعضها بعضًا. فما إن نبدأ بالتفكير في أنَّ الحياة غير منصِفة، أو أنَّ البشر ظالمون، سنتمكن من إيجاد كثرة من البراهين التي تؤيد رأينا. ثم يختمر هذا الموقف منشئًا مرارة. فنظل نفكِّر في عدم الإنصاف؛ وكلّما فكرنا فيه، اشتدَّ شعورنا به. ثم يبدأ موقفنا هذا في الظهور إلى العلن، من خلال تعبيرات وجوهنا، ولغة جسدنا، ومزاجنا ككل، حتى حين لا نتفوه سوى بالقليل.

ينطبق الأمر ذاته بالتأكيد على الموقف السليم والصحي. فكلّما فكرنا بشكلٍ صحيح، ازدادت سهولة تفكيرنا في المزيد من الأفكار الصحيحة. وحين نُصقِل مواقف القلب بالاتضاع، والوداعة، والتوبة، والرأفة، تُستعلَن تلك المواقف بشكلٍ أكبر من خلال الكيفيَّة التي نتعامل بها مع الأشخاص ومع المواقف.

أشرنا قبلاً إلى الكلمات والأفعال غير المنصفة والمفعَمة بالكراهية التي وجَّهها شمعي لداود. وبما أنَّنا نتحدَّث عن أهميّضة المواقف، دعونا نرَ كيف كان رد فعل داود تجاه هذا. ضع في حُسبانك أنَّ هذه كانت من أسوأ المراحل في حياة داود. فقد كان هاربًا من أورشليم بسبب استيلاء أبشالوم ابنه على العرش. انتبه جيّدًا إلى موقف داود:

"وَلَمَّا جَاءَ ٱلْمَلِكُ دَاوُدُ إِلَى بَحُورِيمَ إِذَا بِرَجُلٍ خَارِجٍ مِنْ هُنَاكَ مِنْ عَشِيرَةِ بَيْتِ شَاوُلَ، ٱسْمُهُ شِمْعِي بْنُ جِيرَا، يَسُبُّ وَهُوَ يَخْرُجُ، وَيَرْشُقُ بِالْحِجَارَةِ دَاوُدَ وَجَمِيعَ عَبِيدِ ٱلْمَلِكِ دَاوُدَ وَجَمِيعُ ٱلشَّعْبِ وَجَمِيعُ ٱلْجَبَابِرَةِ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ. وَهَكَذَا كَانَ شِمْعِي يَقُولُ فِي سَبِّهِ: "ٱخْرُجِ! ٱخْرُجْ يَا رَجُلَ ٱلدِّمَاءِ وَرَجُلَ بَلِيَّعَالَ! قَدْ رَدَّ ٱلرَّبُّ عَلَيْكَ كُلَّ دِمَاءِ بَيْتِ شَاوُلَ ٱلَّذِي مَلَكْتَ عِوَضًا عَنْهُ، وَقَدْ دَفَعَ ٱلرَّبُّ ٱلْمَمْلَكَةَ لِيَدِ أَبْشَالُومَ ٱبْنِكَ، وَهَا أَنْتَ وَاقِعٌ بِشَرِّكَ لِأَنَّكَ رَجُلُ دِمَاءٍ."

فَقَالَ أَبِيشَايُ ٱبْنُ صَرُويَةَ لِلْمَلِكِ: "لِمَاذَا يَسُبُّ هَذَا ٱلْكَلْبُ ٱلْمَيْتُ سَيِّدِي ٱلْمَلِكَ؟ دَعْنِي أَعْبُرُ فَأَقْطَعَ رَأْسَهُ." فَقَالَ ٱلْمَلِكُ: "مَا لِي وَلَكُمْ يَا بَنِي صَرُويَةَ! دَعُوهُ يَسُبَّ لِأَنَّ ٱلرَّبَّ قَالَ لَهُ: سُبَّ دَاوُدَ. وَمَنْ يَقُولُ: لِمَاذَا تَفْعَلُ هَكَذَا؟" وَقَالَ دَاوُدُ لِأَبِيشَايَ وَلِجَمِيعِ عَبِيدِهِ: "هُوَذَا ٱبْنِي ٱلَّذِي خَرَجَ مِنْ أَحْشَائِي يَطْلُبُ نَفْسِي، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ ٱلْآنَ بَنْيَامِينِيٌّ؟ دَعُوهُ يَسُبَّ لِأَنَّ ٱلرَّبَّ قَالَ لَهُ. لَعَلَّ ٱلرَّبَّ يَنْظُرُ إِلَى مَذَلَّتِي وَيُكَافِئُنِي ٱلرَّبُّ خَيْرًا عِوَضَ مَسَبَّتِهِ بِهَذَا ٱلْيَوْمِ." وَإِذْ كَانَ دَاوُدُ وَرِجَالُهُ يَسِيرُونَ فِي ٱلطَّرِيقِ، كَانَ شِمْعِي يَسِيرُ فِي جَانِبِ ٱلْجَبَلِ مُقَابِلَهُ وَيَسُبُّ وَهُوَ سَائِرٌ وَيَرْشُقُ بِالْحِجَارَةِ مُقَابِلَهُ وَيَذْرِي ٱلتُّرَابَ" (٢صموئيل ١٦: ٥- ١٣).

كيف تنشأ المواقف؟

إنَّ المواقف عبارة عن **طُرُق تفكير وشعور متأصِّلة داخل الإنسان**. ويعني هذا أنَّ المواقف تبدأ من فكرة، ثم تتغذَّى من أفكار مماثلة. وفيما تتطور هذه الأنماط الفكرية، تصير مصحوبة بمشاعر، إلى أن يتأصل هذا المزيج ككلّ داخل

الإنسان، فيتحوَّل إلى عقليّة معيّنة. وتصير هذه العقليَّة هي "مكتب الاستقبال" في القلب، الذي يفحص كافة الرسائل الآتية إليه والخارجة منه. وسرعان ما يُدرك مَن يتعاملون مع مكتب استقبالنا هذا أنَّ لدينا موقفًا، أي أنَّنا نرى كلَّ شيء من منظور معيَّن، وننقل هذا المنظور من خلال كلِّ ما نقوله أو نفعله.

قد نحمل معنا موقفًا معيَّنًا من ظرفٍ إلى آخر، أو قد يَظهَر هذا الموقف في جانب واحد فحسب من حياتنا. فإنَّ شابًا مستاءً لأنَّه لا يُسمَح له بفعل أشياء معيَّنة قد يحمل معه هذا الموقف من المنزل إلى المدرسة ثم إلى الكنيسة. أو قد يُنشِئ هذا الشاب موقفًا خاطئًا تجاه تلقِّي الأوامر، فتجده يُظهِر موقفًا سليمًا في غالبية مواقف الحياة، لكن حين يُطلَب منه فعل شيء (ولو في صورة اقتراح)، سرعان ما يُظهِر الموقف الخاطئ.

نستطيع أن نقول إذًا إنَّ الموقف ينشأ من أفكارنا. فَكِّر في فكرة شريرة، وسرعان ما ستتطوّر إلى موقفٍ خاطئ. وفكِّر في فكرة صالحة، وسرعان ما ستتطوّر إلى موقفٍ سليم.

لكن ينبغي أيضًا أن ننظر إلى مستوى أعمق من هذا. من أين تأتي أفكارنا؟ هل نكتفي بالتفكير في فكرةٍ لتصير موقفًا؟

قال يسوع إنَّ أفكارنا، نظير كلماتنا وأفعالنا، تأتي من داخل قلوبنا (انظر متّى ١٥: ١٩). ثمَّ، إنَّ حالة القلب، وليس فقط طبيعة أفكارنا، هي التي تحدِّد نوع مواقفنا.

لهذا السبب تشكّل التوبة أهميَّة شديدة في عمليَّة مواجهة الخطيَّة. إن ألقيتَ نظرةً على قائمة المواقف السليمة التي ذكرناها سابقًا، ستلاحظ أنَّ جميعها تعكس قلبًا منكسرًا ومنسحقًا. فإنَّ مَن يصارع مع مواقف خاطئة كرد فعل منه تجاه العواقب، لن يقدر أن "يزرع" مواقف سليمة، ما لم تَكُن تربةُ قلبه جيّدة وصالحة. فإن سمح لقلبه أن يتقسَّى بفعل "عدم إنصاف" العواقب، لن

تنمو بداخله سوى الأعشاب الضارّة. لكن في المقابل، إن سمح، نظير داود، لعدم الإنصاف هذا بأن يليِّن قلبه – أي إن توجَّه بوعي إلى الله بثقة، وعبادة، وامتنان، واتضاع – سيصير قلبه تربة خصبة لزرع مواقف سليمة. وحينئذٍ، سيتمكن من زرع أفكار صحيحة في ذهنه، كي تنمو لتصبح مواقف سليمة.

وإن حدث وهوجم هذا الشخص نفسه بفكرة شريرة – مثل رثاء الذات، أو الاستياء، أو الغضب بشأن "حقوقه" – لن تتاح لهذه الفكرة فرصة أن تنمو داخل قلبه. فقد اعتاد هذا القلب أن يضع ثقته بالله، وأن يمتنَّ لأجل رحمته، ويخضع لما يسمح به الله في حياته باتضاع. وداخل ذلك القلب، سرعان ما ستذبل فكرة رثاء الذات أو الاستياء، إذ تعجز ببساطة عن أن تمدَّ جذورها داخل قلبٍ يمارس شركة مستمرة وحقيقيَّة مع الله.

وهكذا، إن أردنا مواقف سليمة، نحتاج إلى قلوب مستقيمة. وكيف تتشكَّل قلوبنا بشكل صحيح؟ الوسيلة المثلى هي الوقت الذي نقضيه مع الله. فإن أردنا قلوبًا ليِّنة وصالحة، لا بدَّ أن نمعن النظر بشكل منتظم، ولأوقات طويلة في وجه الله: "وَنَحْنُ جَمِيعًا نَاظِرِينَ مَجْدَ ٱلرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ ٱلصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ ٱلرَّبِّ ٱلرُّوحِ" (٢كورنثوس ٣: ١٨). تنشأ المواقف السليمة إذًا، عن طريق طلب غفران الله، والصلاة كي تشكِّل نعمته حياتنا، وطلب إرشاده، وعبادته في امتنان واتضاع، وبناء علاقة وثيقة وجادّة معه.

للمزيد من الدراسة:

١. من بين المواقف الخاطئة التي ذُكِرت سابقًا، اختر موقفًا تظنّ أنه يُشكِّل خطورة خاصة، واذكر السبب.

٢. اذكر مواقف خاطئة إضافيَّة اتّبعتَها أو رأيتها لدى آخرين يقاسون

عواقبَ خطيَّةٍ جنسيَّة. مع كلِّ موقف تذكره، اكتب ماذا يمكن أن يكون الموقف السليم.

٣. اقرأ كلّ نص من النصوص التالية، واذكر الموقف الذي يعكسه. أ. لاوي وشمعون، تكوين ٣٤: ٣١؛ ب. زوجة فوطيفار، تكوين ٣٨: ١٣-١٨؛ ج. داود، ٢صموئيل ١٦: ٩-١٢.

٤. ما هو تعريف "الموقف"؟

٥. على الرغم من عدم وجود كلمة "موقف" في الكتاب المقدَّس، إلّا أنَّ المفهوم موجود. ما كان موقف يسوع، بحسب نص فيلبّي ٢: ٥ وما بعده؟

٦. كيف تنشأ المواقف؟

٧. في حياتك الشخصيَّة، ما هو أكثر موقف خاطئ سبَّب لك الإزعاج والمتاعب؟ وما هي الخطوات التي يمكن أن تتَّخذها لتغيّر هذا الموقف؟

٨. ابحث عن نصوصٍ إضافيَّة توضِّح أنَّ القلب هو مصدر الأفكار، والمشاعر، والمواقف.

٩. إن كان الله هو المُشكِّل الرئيسي لقلبٍ مستقيم، اذكر بعض الوسائل العمليَّة لطَلَب الله.

١٠. ما هي العوامل الإضافيَّة (أو الثانوية) التي تساهم في تشكيل القلب؟ على سبيل المثال، كيف يشكِّل الأصدقاء القلب؟ هل يمكنك أن تدعم إجاباتك بنصوصٍ كتابيَّة؟

كيف تُحرِّك المواقف ردود الأفعال؟

لنتابع الآن ونرى كيف تُحرِّك المواقف ردود أفعالنا. سنتناول أوّلاً ردود الأفعال الخاطئة ثم ردود الأفعال الصحيحة.

ردود الأفعال الخاطئة

حين تكون مواقفنا خاطئة، نقول ونفعل كلّ ما يزيد من حجم المشكلة ويضاعف من العواقب. وللأسف، يبذُل عادةً مَن يتورطون في أفعال فجور وعلاقات غير أخلاقيَّة الكثير من الجهد محاولين حماية سمعتهم، وتجنُّب عواقب خطاياهم، وإجبار الآخرين على التعاون معهم. وهذا هو أسوأ طريق يمكن أن يسلكه المتعدِّي، لأنَّه يُظهِر بهذا أنَّه لا يزال يطلب ما لنفسه، ولا يزال غير مستعد ليواجه حقيقة خطيّته الكاملة، ولا يزال في حاجةٍ إلى انكسارٍ حقيقيّ.

في ما يلي بعض الطرق التي تُحَرِّك بها المواقف الخاطئة كلماتِ المرء وأفعاله:

١. تسليط الضوء على خطأ الآخرين في ردود أفعالهم.
٢. مطالبة الآخرين بالغفران أو اتهامهم بعدم الغفران.
٣. انتقاد القادة أو أفراد العائلة بسبب كيفيَّة تعاملهم مع الوضع.
٤. اللعب على وتر استدرار العطف، مثل "أنتم ستدمرونني".
٥. التهديد أو التفاوُض لمحاولة إقناع الآخرين بالتعاون.
٦. تقديم هدايا أو تبرعات لإلزام الآخرين بالتعاون.
٧. ممارسة الضغط على الآخرين كي يقطعوا وعدًا بالتزام الصمت بشأن الخطيَّة.
٨. التذمُّر من الشائعات.
٩. اتّهام الآخرين بأنَّهم "ينبشون في الماضي".
١٠. التقليص من حجم الخطيَّة أو عواقبها.
١١. اتّهام الآخرين بأنَّ دوافعهم وراء تدخّلهم خاطئة.
١٢. تعنيف الآخرين، أو الصراخ أو العبوس في وجههم، أو إخافتهم.

إنَّ ردود الأفعال هذه فقط تزيد الحال سوءًا. يعجز الناس عن وضع ثقتهم في شخص دفاعيّ يرفض النقد؛ ويجدون صعوبةً في قبول اختبار تحرير شخصٍ يطالبهم بالغفران؛ ويشكِّكون بسهولة في صدق توبته حين يرفض التطرُّق إلى مشكلات معيَّنة، ويحاول التحكُّم بما يقوله الآخرون، ويتذمّر من طريقة معاملة الآخرين له.

ما أكبر الفارق الذي سيُشكّله انكسار المتعدِّي الحقيقيّ، وتبنِّيه توجُّهٍ متّضع عن نفسه، واستعداده لأن يفعل كلّ ما يتطلَّبه الأمر بدلاً من أن يحاول إجبار الآخرين على التعاون معه! يوجد رجاء ومعونة لمنكسري القلوب.

ردود الأفعال السليمة

كيف تُساعد إذًا ردود أفعالنا في حلِّ المشكلات؟ مرّة أخرى، يُعَدُّ **موقفُنا** أساسَ جميع ردود أفعالنا. وحين تكون أعيننا مثبَّتةً على الله، سنتمكن من التجاوُب مع الآخرين بشكلٍ سليم. ومع أنّه لا يمكننا وصف جميع ردود الأفعال السليمة تجاه كلّ موقف من المواقف، لكن في ما يلي بعض الأمثلة القليلة:

١. الاعتراف بالخطيَّة بوضوح ومن دون تبريرات، ولا سيّما أمام من أذتهم الخطيَّة.
٢. تحمُّل مسؤوليَّة الخطيَّة من دون اختلاق الأعذار أو توريط آخرين.
٣. فعل كلّ ما هو ممكن لجلب الشفاء والمعونة لمن أصابهم ضررٌ.
٤. قبول الظلم في وداعة أي في اتضاع، مدركين أنّه جزءٌ من ثمن الخطيَّة.
٥. طلب الغفران، واعتبار أنفسنا غير مستحقين له حين ننالَه.
٦. قبول أيّ رفضٍ للغفران من دون تذمّر.
٧. تَفَهُّم شعورِ مَن أغضبَتهم الخطيَّة أو أصابتهم بالمرارة.
٨. التعبير عن الامتنان لمَن يحاولون المساعدة، وإن بَدَت مساعدتُهم متعِبةً لنا أو متبلِّدة الشعور.

٩. التعاون مع الأشخاص المسؤولين عن مواجهة الخطيَّة (رعاة الكنائس، أو الضباط، أو رؤوس العائلة).
١٠. الاتفاق مع من يندِّدون بالخطيَّة.
١١. الإقرار بنواحي الخطيَّة التي صعَّبت الحياة على الآخرين.
١٢. طلب الصلاة لأجل الصراع في إعادة بناء الهوية الأخلاقيَّة.
١٣. التماس الأعذار للآخرين حين يُسيئون فهم الموقف أو يحرِّفونه.
١٤. رفض أي إلحاح داخليّ للتورط في تقديم مبررات.
١٥. عند التعرُّض لاتّهام كاذبٍ أو قاسٍ، يجب الطلب من الرَّب أن يعطي القلب ليونةً واتّضاعًا أمامه.

إنَّ مَن يقبل باتّضاع تحمُّل المسؤوليّة عن خطيّته، ويطلب الله بحرارة، يصير في وضعٍ جيّد يسمح له أن يستجيب بردود أفعال سليمة. فكما يُهيِّج الكبرياء الخصومات، هكذا يهدّئ الاتضاع أجواء المواقف المتأزمة، ويليِّن المشاعر المحتدة. فإنَّ احتمال تصديق الشخص المتَّضع والتائب أكبر من احتمال تصديق الشخص المنغلق، أو المتذمِّر، أو الانفعاليّ.

للمزيد من الدراسة:

١. صف موقفًا من حياتك الشخصيَّة حيث أدّى ردُّ فعلٍ خاطئ إلى زيادة العواقب سوءًا. وصِف موقفًا حيث ساعد ردُّ فعلٍ سليم تجاه العواقب على تهدئة حِدّة الوضع.
٢. بالنظر إلى قائمة ردود الأفعال الخاطئة، حدِّد ردود الأفعال التي تصارع معها بصفة شخصيَّة. ثم صِف بأقصى دقة ممكنة الموقف أو المواقف التي تعكسها ردود الأفعال هذه.

٣. اقرأ مرّة أخرى قصة داود وشمعي (٢صموئيل ١٦: ٥-١٣). ما هو النموذج الذي يقدِّمه لنا موقف داود في ذلك الوقت الذي كان يقاسي فيه عواقب خطيَّته؟ (إن واجهتَ مشكلة، راجع قائمة ردود الأفعال السليمة التي أشرنا إليها للتو، ثم حدّد ردود الأفعال التي أبداها داود).

٤. في رأيك، كيف كانت حياة داود ستختلف لو أبدى موقفًا خاطئًا؟

٥. في رأيك، ما الصلة بين ما نقرأه في المزمور ٥١ والموقف الذي أبداه داود هنا؟

٦. في رأيك، كيف أثَّر موقف داود وردود أفعاله على أتباعه؟

٧. من بين قائمة ردود الأفعال السليمة، ما هو أكثر رد فعل نال إعجابك؟ وما هو رد الفعل الذي تظنّ بصفة شخصيَّة أنّه الأصعب؟

ردود الأفعال تجاه العواقب داخل العائلة

من أكثر عواقب الخطايا الجنسيَّة المؤلمة والمربِكة هي التي تصيب عائلة المخطئ. فكما رأينا في حياة داود، يبدو أنَّ الخطيَّة الجنسيَّة عرّضت الجيل التالي لتجارب خاصة. لنسترجع البعض منها: (١) نصبَ أمنون بن داود فخًّا، ثم أجبر ثامار ابنة داود على ممارسة الجنس معه. (٢) لاحقًا، مارس أبشالوم الجنس مع بعض سراري داود عمدًا كي يُلحِق العار بداود.

ماذا يستطيع الوالدان أن يفعلا حتى يتجنّبا وقوع عواقب لا داعي لها على أبنائهم؟

في حالة أبناء داود، ربما ساهم غياب التواصُل من جانب داود في زيادة حجم المشكلة. يُبدِي الأبناء ردود أفعال مختلفة تجاه الخطايا الجنسيَّة التي يرتكبها والداهم – منها الخزي، أو الامتعاض، أو الغضب. لكنَّهم لا يبدون عادةً عدم اكتراث، وإن بدا أنَّهم غير مكترثين. لم يخبرنا النص عن شعور

أمنون أو أبشالوم حيال خطيَّة داود مع بثشبع، إنّما نقرأ فقط عن قصة خطيَّة داود المؤسفة، ثم قصة خطيَّة أمنون الأكثر سوءًا. هل زادت خطيَّة داود من جرأة أمنون على ارتكاب الخطيَّة؟ لا يخبرنا الكتاب المقدَّس عن هذا بصورة مباشرة.

لكن حين اغتصب أمنون ثامار، نقرأ أنَّ داود غضب بشدّة، وكذلك أبشالوم. لم يُخفِ داود غضبه، لكن يبدو أنَّ أبشالوم أخفاه. "وَلَمْ يُكَلِّمْ أَبْشَالُومُ أَمْنُونَ بِشَرٍّ وَلَا بِخَيْرٍ، لِأَنَّ أَبْشَالُومَ أَبْغَضَ أَمْنُونَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ أَذَلَّ ثَامَارَ أُخْتَهُ" (٢صموئيل ١٣: ٢٢).

وعلى الرغم من انزعاج داود الشديد من هذا الموقف، لا نجد في القصة ما يفيد بأنَّه حاول القيام بشيء سواء لمساعدة أمنون أو أبشالوم – أو حتى ثامار. فهو لم يتخذ أيَّ إجراء قانونيّ ضد أمنون. واعتنى أبشالوم بثامار أخته، وهذا يعني أنَّها ذهبت لتقيم في بيته. ولم يفعل داود شيئًا حيال هذا.

قد نتساءل كيف كانت الأحداث ستتغيّر لو تكلَّم داود مع أبشالوم في هذه المرحلة. ربما كان أبشالوم سيرفض الحديث، إذ كانت بغضته لأمنون شديدة. لكن لو دعا داود أبشالوم ليعبِّر عن مدى تأثير خطيَّة أمنون عليه، وشجَّعه على مواجهة غضبه وبغضته، وحثَّه على فتح قلبه المملوء مرارة للرَّب، هل كان أبشالوم سيتّخذ مسارًا مختلفًا؟

لكن في المقابل، نرى داود وأبشالوم ينوحان على الخسارة كلٌّ على حدة، ويسلكُان طريقَين منفصلَين في التعافي. ثم بعد ثلاث سنوات من موت أمنون، لان قلب داود نحو أبشالوم ثانية؛ لكن حين رتَّب يوآب أن يعود أبشالوم إلى البيت، صلَّب داود قلبه قائلاً: "لِيَنْصَرِفْ إِلَى بَيْتِهِ وَلَا يَرَ وَجْهِي" (٢صموئيل ١٤: ٢٤). وكأنَّ هذا كلَّه لم يكن كافيًا، ظلَّ داود يُبعِد ابنه عنه. "وَأَقَامَ أَبْشَالُومُ فِي أُورُشَلِيمَ سَنَتَيْنِ وَلَمْ يَرَ وَجْهَ ٱلْمَلِكِ" (عدد ٢٨).

ربما نستطيع تخمين دوافع داود، لكن لم يخبرنا بها الكتاب المقدَّس بوضوح. هل ظنَّ داود أنَّ قرار أبشالوم بأخذ الثأر بيده يستحق عقوبة؟ هل كان خائفًا من أبشالوم؟ هل كان يخشى أن يصارح أبشالوم بما في قلبه، فيكشف بهذا قدرًا زائدًا عن الحدّ من مكنونات قلبه؟ أم كان ببساطة، نظير كثيرين من الذكور اليوم، يخشى أن يُظهِره البوحُ بمشاعره ضعيفًا وهشًّا؟ لسنا نعلَم هذا. لكن من الواضح أنَّ الأسوار التي بناها داود استطاعت أن تهدمَ العلاقة التي كانت تربطه بأبشالوم. يبدو إذًا أنَّ مواقف داود وما نتج عنها من أفعال هي السبب وراء بعض العواقب التي قاستها عائلة داود.

ومع نهاية هاتين السنتين من الجفاء المتعمَّد بين أبشالوم وأبيه، كان أبشالوم قد بلغ بالفعل مرحلة الغليان: "لِمَاذَا جِئْتُ مِنْ جَشُورَ؟ خَيْرٌ لِي لَوْ كُنْتُ بَاقِيًا هُنَاكَ. فَالآنَ إِنِّي أَرَى وَجْهَ ٱلْمَلِكِ، وَإِنْ وُجِدَ فِيَّ إِثْمٌ فَلْيَقْتُلْنِي" (٢صموئيل ١٤: ٣٢).

بناءً على هذه القصة، نستطيع اقتراح بعض الإرشادات:

١. ينبغي أن يقيم الشخص الذي ارتكب الفجور الجنسيّ تواصلاً منفتحًا مع عائلته، وأن يحافظ عليه (ينبغي أن يتناسب مستوى الانفتاح بالتأكيد مع عمر الأولاد).
٢. لا تحلّ التوبة العلنيّة مكان التوبة الشخصيَّة أمام شريك الحياة والأولاد.
٣. سيعاني أولاد الشخص الذي ارتكب الفجور الجنسيّ صراعاتٍ نتيجة لهذا، ويلعب الوالدان دورًا أساسيًّا في المساعدة للتغلُّب على هذه الصراعات.
٤. يشمل جزءٌ من عمليَّة التغلُّب على هذه الصراعات السماح للابن بالتعبير لفظيًا عن مشاعره الدفينة؛ مثل الغضب، أو المرارة، أو البُغض (لست أدعو هنا إلى التنفيس عن المشاعر لمجرد التنفيس؛ لكنَّنا نادرًا ما سنتمكن من توجيه شخص غاضب إلى الغفران والإيمان ما لم نتحلَّ بالشجاعة أوّلاً كي نستمع إليه).

٥. إحدى الوسائل التي عيَّنها الله لنا لنتواصل مع أولادنا هي وقت ضيقهم (كما يتواصل الرَّب نفسه معنا في وقت آلامنا). فإن كانت خطيّتنا قد سبّبت الضيق والألم لأولادنا، ينبغي أن نتحلَّى بالشجاعة كي ندعوهم إلى التواصُل معنا.

٦. حين يستخدم أولادنا خطايانا كعذرٍ لتبرير خطاياهم، علينا ألّا نبني أسوارًا في علاقتنا بهم. فإنَّ المسافات تزيد من الغضب، بينما يستعيد الصدقُ والاتضاعُ والتوبةُ الصلة.

٧. علينا أن نكون منتبهين من جهة التوقيت المناسب للتحدُّث مع أولادنا. تتعلَّق المسألة أحيانًا بالعُمر – قد يكون الأولاد الصغار غير مستعدّين للاستماع إلى موضوعٍ ما، وقد يكون المراهقون أحيانًا غير مستعدّين للتكلّم عنه. لكن علينا أن نبني نوعًا من العلاقة المنفتحة مع أولادنا، وأن نحافظ عليها، حتى حين يحين الوقت المناسب يستطيعون التحدُّث معنا. كما نلاحظ في قصة أبشالوم، من الواضح أنّه أتى وقتٌ فات فيه أوانُ التكلّم. فبعد انقضاء سنتين من الجفاء المتعمَّد، كانت فرصة داود للتقرُّب من أبشالوم على الأرجح قد ولَّت. يأتي وقتٌ لا يكون فيه الأبناء مستعدين، ويأتي وقتٌ يكون الأوانُ فيه قد فات. وفي مكانٍ ما بين هاتَين النقطتَين، يوجد وقتٌ مناسبٌ للتكلّم.

٨. على رعاة الكنائس (أو مُعينين آخرين) أن يجتهدوا لتسهيل التواصل بين الآباء وأبنائهم. يستطيع راعي الكنيسة أن يشغل دورًا حيويًا في العائلات التي تحطَّمت فيها الثقة. بل وقد يملأ الراعي إلى حدٍّ ما فراغًا أحدثه أبٌ ارتكب الفجور الجنسيّ، لكنَّه لن يتمكن البتة من أن يحلَّ مكانه. وفي الحقيقة، على الراعي أن يَحذَر من محاولة أن يحلَّ مكان الأب. في حالة داود، تولَّى أخيتوفل دورَ مشير أبشالوم، الأمر الذي تسبَّب في ضررٍ أكبر في العلاقة.

ملخَّص

إنَّ مَن يُقتَنَص في الفجور الجنسيّ سيواجه عواقب. ويحتاج مَن يتوب توبةً حقيقيَّة إلى الكثير من الحكمة والنعمة حتى يُبدي ردود أفعال سليمة تجاه مواقف تحدث في الفترة التي تلي التوبة. وإنَّ القلب المنكسر، والمنفتح، والمتّضع، والصادق هو القلب الذي يكون على استعداد لأن يستجيب بشكلٍ سليم. وحين يُبدي مَن تاب عن الفجور الجنسيّ ردود أفعال سليمة، سيكتشف أنَّ العواقب فعليًّا تقرِّبه من الله؛ ويظلّ قلبه الليِّن كذلك طوال فترة الألم والصعوبات التي تلي فجوره. هذا الوقت سيكون بمثابة وقتِ نموّ، وشفاء، وإعادة بناء الثقة بينه وبين عائلته، وبينه وبين أعضاء كنيسته.

للمزيد من الدراسة:

١. ما هي الصراعات التي يواجهها الأولاد عادةً حين يكون أحد والديهم أو كلاهما قد ارتكبا الفجور الجنسيّ؟
٢. إن كان الوالد المذنب دفاعيًا أو يُبدي مرارةً تجاه كيفيّة تعامل الآخرين معه، كيف سيؤثر هذا على الأولاد؟
٣. اذكر بعض الوسائل العمليَّة التي يمكن أن يستخدمها الوالدان لتأسيس علاقة من الانفتاح والمصارحة مع أبنائهم.
٤. لنفترض أنَّ شابًا مراهقًا يُبدي غضبًا واضحًا تجاه ما فعله والداه، ويرفض التحدُّث معهما. اذكر بعض الأساليب التي تُمكِّن هذا الابن من مواجهة غضبه.
٥. ما هي بعض الأمور التي يجب ألّا يفعلها الوالدان؟

٦. ما هي النصائح التي تُقدِّمها لراعي كنيسة يرغب في المساعدة على إعادة بناء التواصل بين والدَين وابنهما المتباعد عنهما؟ وما هي الأخطاء التي على الراعي أن يتجنَّبها؟

٧. ما هي نتائج محاولة ممارسة الضغط على ابنٍ كي يعبِّر عن أفكاره ومشاعره قبل أن يكون مستعدًا للتكلّم؟

٨. كيف تبيِّن لنا قصة أبشالوم أن الله يحمِّل الأولاد البالغين المسؤولية، حتى إن كان والداهم قد أخفقا؟

٩. اذكر بعض الوسائل اللبقة التي يمكن استخدامها لتوجيه الأولاد البالغين نحو كيفيَّة مواجهة مسؤولياتهم حتى إن كان والداهم (غير المخلصَين) قد عرقلا عمليَّة التواصل.

١٠. ما هي المواقف السليمة التي ينبغي أن يتّخذها الأولاد البالغون تجاه والدَين غير مخلصَين؟

الفصل السابع

كيف نحيا طاهرين؟

"بِمَ يُزَكِّي ٱلشَّابُّ طَرِيقَهُ؟ بِحِفْظِهِ إِيَّاهُ حَسَبَ كَلَامِكَ.
بِكُلِّ قَلْبِي طَلَبْتُكَ. لَا تُضِلَّنِي عَنْ وَصَايَاكَ."

مزمور ١١٩: ٩ و١٠

نحن نعيش في عالمٍ ساقطٍ. ولطالما كانت الخطيَّة الجنسيَّة تمثِّل مشكلة، وستظل كذلك، بغض النظر عن الحضارة التي نعيش فيها. تُعدّ بعض الحضارات بالتأكيد أكثر رخاوة وتساهلًا في مقاييسها من غيرها، كما أنَّ الحضارات تتغيّر مع مرور الزمن. وعلى مدى سنوات عديدة، ظلّت الحضارة الغربيَّة تنحدر شيئًا فشيئًا نحو سدوم. ومع إزالة الستار الحديديّ في القرن العشرين، انضمت العديد من الدول الشيوعيَّة السابقة أيضًا إلى هذا الانحدار.

تستدعي الجديّةُ بشأن اتّباع الله في أي مجتمع وأيّ عصرٍ شجاعةً ومبادئ أخلاقيّة. والعيش بهذا الشكل في مجتمعٍ فاسدٍ يستلزم نعمةً خاصة. يخبرنا بطرس بأنَّ لوطًا كان "مَغْلُوبًا مِنْ سِيرَةِ ٱلْأَرْدِيَاءِ فِي ٱلدَّعَارَةِ. إِذْ كَانَ ٱلْبَارُّ، بِالنَّظَرِ وَٱلسَّمْعِ وَهُوَ سَاكِنٌ بَيْنَهُمْ، يُعَذِّبُ يَوْمًا فَيَوْمًا نَفْسَهُ ٱلْبَارَّةَ بِالأَفْعَالِ ٱلْأَثِيمَةِ" (٢بطرس ٢: ٧ و٨).

إليكَ السؤال العمليّ: كيف يمكن لشخصٍ تقيٍّ، رجلًا كان أو امرأة، أن يعيش طاهرًا في حضارة منحرفة أخلاقيًّا؟ فإلى جانب فكرة أنه "يُعذَّب" أو يكتئب روحيًّا بفعل الخطيَّة المحيطة به، كيف له أن يقف باستقامة، ويمشي باستقامة، ويعيش باستقامة يومًا بعد يوم بينما تحاول الضغوط من حوله أن تفسِد فكره وسلوكه الطاهرَين؟

تُقدِّم لنا رسالة بولس إلى أهل رومية مساعدة عمليَّة في هذا الشأن. "قَدْ تَنَاهَى ٱللَّيْلُ وَتَقَارَبَ ٱلنَّهَارُ، فَلْنَخْلَعْ أَعْمَالَ ٱلظُّلْمَةِ وَنَلْبَسْ أَسْلِحَةَ ٱلنُّورِ. لِنَسْلُكْ بِلِيَاقَةٍ كَمَا فِي ٱلنَّهَارِ: لَا بِالْبَطَرِ وَالسُّكْرِ لاَ بِالْمَضَاجِعِ وَالْعَهَرِ لاَ بِالْخِصَامِ وَٱلْحَسَدِ. بَلِ ٱلْبَسُوا ٱلرَّبَّ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحَ، وَلَا تَصْنَعُوا تَدْبِيرًا لِلْجَسَدِ لِأَجْلِ ٱلشَّهَوَاتِ" (رومية ١٣: ١٢-١٤).

من هذا النص الكتابيّ، سنناقش ثلاثة مبادئ عمليَّة تُساعدنا كي نعيش طاهرين.

ينبغي أن نسلك في النور

في الكتاب المقدَّس، يوضَع النور والظلمة بعضهما مقابل بعض باستمرار، ليس فقط حرفيًّا من جهة الليل والنهار، بل رمزيًّا كمقابلة بين الخير والشر. يقول يوحنا: "إِنَّ ٱللهَ نُورٌ وَلَيْسَ فِيهِ ظُلْمَةٌ ٱلْبَتَّةَ" (١يوحنا ١: ٥). كما أنَّنا مدعوّون، في اتّباعنا الله، إلى السلوك "فِي ٱلنُّورِ كَمَا هُوَ فِي ٱلنُّورِ" (١يوحنا ١: ٧). وإنَّ

كلمة الله "سراجٌ" يجلب "النور" إلى سُبُلِنا (انظر مزمور ١١٩: ١٠٥). وقال يسوع: "أَنَا هُوَ نُورُ ٱلْعَالَمِ. مَنْ يَتْبَعْنِي فَلَا يَمْشِي فِي ٱلظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ ٱلْحَيَاةِ" (يوحنا ٨: ١٢). كما أنَّه دُعي "ٱلنُّورُ ٱلْحَقِيقِيُّ ٱلَّذِي يُنِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ آتِيًا إِلَى ٱلْعَالَمِ" (يوحنا ١: ٩). ويقول بولس عنّا: "لِأَنَّكُمْ كُنْتُمْ قَبْلًا ظُلْمَةً، وَأَمَّا ٱلْآنَ فَنُورٌ فِي ٱلرَّبِّ"؛ ثم يضيف: "ٱسْلُكُوا كَأَوْلَادِ نُورٍ ... وَلَا تَشْتَرِكُوا فِي أَعْمَالِ ٱلظُّلْمَةِ غَيْرِ ٱلْمُثْمِرَةِ بَلْ بِالْحَرِيِّ وَبِّخُوهَا" (أفسس ٥: ٨، ١١). علاوة على ذلك، تلك المدينة السماوية التي نتوق إليها "لَا تَحْتَاجُ إِلَى ٱلشَّمْسِ وَلَا إِلَى ٱلْقَمَرِ لِيُضِيئَا فِيهَا، لِأَنَّ مَجْدَ ٱللهِ قَدْ أَنَارَهَا، وَٱلْخَرُوفُ سِرَاجُهَا. وَلَا يَكُونُ لَيْلٌ هُنَاكَ، وَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَى سِرَاجٍ أَوْ نُورِ شَمْسٍ، لِأَنَّ ٱلرَّبَّ ٱلْإِلَهَ يُنِيرُ عَلَيْهِمْ" (رؤيا يوحنا ٢١: ٢٣؛ ٢٢: ٥).

إذًا، حين يوصينا بولس بأن "نَخْلَعْ أَعْمَالَ ٱلظُّلْمَةِ"، و"نَلْبَسْ أَسْلِحَةَ ٱلنُّورِ"، نفهم أنَّه يتحدَّث عن الخير والشر. ينبغي إذًا أن نطرح عنّا الأفكار والأفعال الشريرة، ونلبس أفكار الحقّ والبرّ وأفعالهما. ما معنى هذا؟

١. **أن نَلبسَ "أَسْلِحَةَ ٱلنُّورِ" يعني أن نفعل الصواب وأن نُفكِّر في ما هو صوابٌ.** فهو يقول: "لِنَسْلُكْ بِلِيَاقَةٍ [أو بصورة مشرِّفة] كَمَا فِي ٱلنَّهَارِ" (رومية ١٣: ١٣). علينا إذًا أن نَعمَل كلَّ ما هو جديرٌ بالثناء، ولا يستدعي أي خداع أو إخفاء؛ أي أن نعمَل أمرًا لن نخجل إذا تمّ كشفه. فإنَّ الكلمة "لياقة" تعني اليوم ما هو "مبجَّل" أو "موقَّر".

إذًا، أن "نَسْلُك بِلِيَاقَةٍ" يعني أن نعاملَ الجنسَ الآخر باحترام. بالنسبة إلى الرجل، هذا يعني أن ينظُر إلى أية امرأة في وجهها، وليس أن يتفحَّص هيئتها. كما يعني أن يفكِّر فيها باعتبارها شخصًا لديه أفكار ومشاعر ومشاكل وأهداف، وليس باعتبارها فقط كائنًا جنسيًّا؛ وأن يفكِّر فيها كشخص ذي روح أبديّة، سيقف يومًا ما أمام الله، وليس كشيءٍ يمكن استغلاله لأجل متعة شخصيَّة.

أن "نَسْلُك بِلِيَاقَةٍ" يعني أن نحترمَ خصوصيَّة الآخرين، ونحافظ على حدودٍ سليمة في تعامُلنا مع الجنس الآخر. كما يعني أن نتجنَّب إجراء أحاديث حميميَّة

عاطفيًّا تُنشئ روابط سريّة؛ وأن نُعامِل النساء الأكبر سنًا كما قد نرغب في أن تُعامَل أمهاتنا، والشابات كما قد نرغب في أن تُعامَل أخواتنا، والفتيات الصغار كما قد نرغب أن تُعامَل بناتنا (انظر ١تيموثاوس ٥: ٢). يعني هذا أيضًا التحفُّظ من جهة التلامُس بين الجنسَين، جاعلين ممارسات التلامس، حتى داخل عائلاتنا الصغيرة أو عائلاتنا الأكبر، لائقة وملائمة لمستوى العلاقة، من دون أن تُنشئ حرجًا، أو تثير أفكارًا حِسِّية. كما يعني تنظيم نشاطات فترة المواعدة، ورَسْم حدودٍ للتلامُس في أثناء هذه الفترة وفي فترة الخطبة، حتى يتمكّن الطرفان من الحفاظ على طهارتهما، وكي لا يشوب حفلة زفافهما أيُّ خزي.

أن "نَسْلُك بِلِيَاقَةٍ" يعني أن يتجنَّبَ الرجلُ أو المرأةُ كشفَ جسدهما على نحوٍ يُثير الأفكار الشهوانيّة. كما يعني التحفُّظ في المزاح بين الجنسَين، والمرح بشكلٍ صحيٍّ ومستقيم. ويعني أيضًا أن يعامِلَ الآباء بناتِهم باحترام، وكذلك الشباب أمهاتِهم وأخواتِهم. ويعني أيضًا أن يحمي الوالدان براءة أطفالهما، وأن يوجِّها أولادهما المراهقين في أثناء نموِّهم الجنسيّ وألّا يغيظاهم بشأن علاقاتهم العاطفيّة، أو يمزحا معهم بشأن هويّتهم الجنسيَّة.

هذا السلوك يحمي أخلاقنا؛ فيصبح سلاح نور، أي وسيلة تُحافِظ على الاستقامة الأخلاقيَّة. قد يتعرّض الرجال والنساء الذين يسلكون هكذا للتجربة، ويواجهون ضغوطًا حتى يشاكلوا أنماط الحياة الشهوانيّة المحيطة بهم، إلا أنَّ احتمالات استسلامهم للتجربة تتناقص. فقد أصبحت أذهانهم مضبوطة على السلوك بشكلٍ مختلف، ولديهم الآن وسائل حماية من مقاييس أخلاقيَّة سامية. فإنَّ "درع البرّ" يحمي قلوبهم. هم ليسوا كاملين، ولا يتجوَّلون في تعالٍ وكأنّهم أفضل من الآخرين، لكنَّهم لا يخجلون من فعل الصواب، ومن التفكير في ما هو صائب، سواء كانوا بمفردهم أو برفقة آخرين.

٢. **أن نَلبسَ "أَسْلِحَةَ ٱلنُّورِ" يعني أن نكون صريحين ومنفتحين** بمعنى آخر، ينبغي أن نعيش حياةً مهيَّأة ومنفتحة أمام أي فحص في أي وقت. قال يسوع:

"وَأَمَّا مَنْ يَفْعَلُ الْحَقَّ فَيُقْبِلُ إِلَى النُّورِ لِكَيْ تَظْهَرَ أَعْمَالُهُ أَنَّهَا بِاللَّهِ مَعْمُولَةٌ" (يوحنا ٣: ٢١). يلزم على مَن تورَّط في الماضي في خطيَّة جنسيَّة، ثمّ التزم بأن يسلك في الطهارة، أن يولي اهتمامًا خاصًا للصراحة والانفتاح. يمكننا أن نفعل هذا "عن عمدٍ"، أي أن ندعو مؤمنين آخرين إلى مراقبة حياتنا بانتظام، وطرح أسئلة بشأن أفعالنا، ومعرفة ما يحدث في أيّ وقت من أوقات حياتنا.

يختلف هذا النوع من الانفتاح اختلافًا شاسعًا عن موقف التستّر أو الاختباء، الذي ينتهجه السالكون في الظلمة. قال يسوع عن هؤلاء: "لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ ٱلسَّيِّآتِ يُبْغِضُ ٱلنُّورَ، وَلَا يَأْتِي إِلَى ٱلنُّورِ لِئَلَّا تُوَبَّخَ أَعْمَالُهُ" (يوحنا ٣: ٢٠). فإنَّ إحدى علامات التوبة عن الخطيَّة الجنسيَّة الأكيدة، والالتزام بالسلوك في الطهارة، هو التحوُّل عن أنماط التستُّر واتّباع أنماط الصراحة والانفتاح. فحين نرغب حقًا في أن "نَخْلَعَ أَعْمَالَ ٱلظُّلْمَةِ"، وحين نكون قد اكتفينا بالفعل من العادة السريَّة، ومشاهدة المواد الإباحيَّة، والتودُّد، والخيانة الزوجيَّة، نسعى إلى أن "نسلُك في النور"، راغبين في أن تظهر أعمالنا أمام أولئك المهتمِّين بطبيعة قلوبنا الحقيقيّة، والأكثر تأثرًا بها. فإنَّنا حينئذٍ نرحِّب بالأسئلة، ونطلُب الفحص والتفتيش.

يُشكِّل السلوك في الضوء حماية روحيَّة لنا من أشراك الجسد، والعالم، والشرير. وكي تزدهر الخطيَّة، لا بدّ أن تتخطَّى، وتبتعد عن النور. أمّا التبريرات، والأكاذيب، والتظاهُر فتمنح الخطيَّة الجنسيَّة الحريّة حتى تتكاثر.

لكنَّ النور يقتل الخطيَّة. وكلّ مَن يتحلَّى بالجديّة بشأن التغيُّر من السلوك في الفجور إلى السلوك بالاستقامة عليه أن يتوقف عن إخفاء أفعاله، كاشفًا إياها. فإنَّ سلوكَه في النور، وعدم تغطية خطاياه، والترحيب بمعرفة الأشخاص المناسبين بما يفعله في أي وقت من النهار أو الليل، هذه جميعها تحميه من سطوة الخطيَّة، وتساعده على الانتقال من الخطيَّة إلى البِرّ.

في ما يلي بعض الطرق العمليَّة لتشجيع الصراحة والانفتاح:

- أن أطلب من صديق موثوق به أن يَطمئِنَّ على أحوالي بصورة منتظمة من خلال طرح بعض الأسئلة المفتاحيّة.
- أن أُخصِّص وقتًا للتحدّث مع شريك حياتي بشأن مشكلات تزعجني، وأدعوه إلى طرح أسئلة.
- أن أبلّغ عن أي وقت أقضيه في أماكن "تشكِّل خطرًا"، أو أن أطلب من شخصٍ معيَّن أن يرافقني (من الأمور التي تشكِّل خطرًا عليَّ: الذهاب إلى مكانٍ بعيد أو السفر بمفردي، أو استخدام الحاسوب).
- أن أطلب من العديد من الأصدقاء المقرَّبين أن يصلُّوا لأجلي بشأن مشكلات محدَّدة أواجهها، أو أن أنبِّهَهم إلى الأوقات التي قد أُجرَّب فيها.
- أن أتعهَّد بأنَّني إن أخفقتُ، سأعترف في اليوم ذاته لشريك حياتي أو للشخص الذي أخضع لمساءلته.
- أن أقرَّ بمشاكلي للكنيسة. "اِعْتَرِفُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ بِالزَّلَّاتِ، وَصَلُّوا بَعْضُكُمْ لأَجْلِ بَعْضٍ لِكَيْ تُشْفَوْا" (يعقوب ٥: ١٦).

أمّا الآن فسأطرح فكرة التوازن. لا يعني الانفتاح والصراحة أن نسكُب مكنونات قلوبنا أمام أيّ شخص سيصغي إلينا. كما أنَّ هذا لا يعني أن نتجوَّل في الأنحاء كاشفين قلوبنا للجميع. فبالنسبة إلى الصراحة والانفتاح، ولا سيما بشأن صراعات مع أفكار وأفعال غير طاهرة، يوجد مبدأ التكتُّم والحذر الذي يصنع توازنًا. نحتاج إلى أن نكون صريحين مع الأشخاص المناسبين، أي مع أشخاص موجودين في حياتنا تُمثّل لهم طهارتُنا الأخلاقيَّة أهميَّة. بالنسبة إلى الشباب، يعني هذا والديهم. وبالنسبة إلى شخص متزوج، يشمل هذا شريك حياته. وبالنسبة إلى عضو كنيسة، يعني هذا إخوته وأخواته – مرة أخرى، بما

يتناسب مع عمق العلاقة. ينبغي أن يكون الاعتراف العلني واضحًا كفاية كي يعلم الآخرون ما يُصلُّون لأجله، لكن في الآن ذاته يجب ألّا يكون مفصَّلاً لدرجة تلويث أذهانهم. فإنَّ بعض الأمور التي تحدث سرًّا "ذِكْرُهَا أَيْضًا قَبِيحٌ" في العَلَن (أفسس ٥: ١٢).

للمزيد من الدراسة:

١. اذكر بُعدَي "السلوك في النور".
٢. بطريقة عمليَّة، اذكر معنى أن يعاملَ الرجالُ النساءَ "بلياقة".
٣. بطريقة عمليَّة، اذكر معنى أن تعاملَ النساءُ الرجالَ "بلياقة".
٤. يظنّ الشباب أحيانًا أنَّ الجيل الأكبر سنًّا لم يكن منفتحًا بما يكفي، ويظنّ الجيلُ الأكبر سنًّا أحيانًا أنَّ الشباب منفتحون بشكلٍ زائدٍ عن الحدّ. كيف يمكن لكلٍّ منهما أن يكون محقًا؟
٥. ما هي قيمة الصراحة والانفتاح مع شخصٍ ما بشأن تجربةٍ وخطيَّة جنسيَّة؟
٦. ما هي معايير انتقاء الشخص الذي نودّ أن نصارحه بشأن تجاربنا وإخفاقاتنا الجنسيَّة؟
٧. بطريقة عمليَّة، صف ما لا بدَّ أن يعنيه "الانفتاح والصراحة" بالنسبة إلى كلٍّ من الأشخاص التالين: أ. شاب في الثامنة عشرة من عمره، يعيش في منزل والدَيه. ب. فتاة غير متزوجة تبلُغ من العمر خمسة وعشرين عامًا، وتعيش بمفردها. ج. أبٌ يسافر بمفرده كثيرًا. د. سيِّدة متزوجة يتَّسم زوجُها بالسلبيَّة والسطحية الروحيَّة، وتجد نفسها منجذبة إلى رجالٍ ناضجين روحيًّا. هـ. رجلٌ تستدعي وظيفته استخدام حاسوب فيه خدمة إنترنت. و. رجلٌ متزوج عانى في الماضي مشاهدةَ المواد الإباحيَّة وممارسةَ العادة السريّة.

٨. اختر شخصًا أو اثنين من المذكورين أعلاه، واذكر كيف يمكن للصراحة والانفتاح أن يتجاوزا الحدّ الصحيّ.

٩. لماذا يحتاج البعض إلى قدرٍ من الانفتاح والصراحة أكثر من آخرين في مجال حياتهم الجنسيَّة؟ في رأيك هل هذا عدلٌ أم ظلم؟

ينبغي أن "نَلبسَ" الرَّب يسوع المسيح

هذه هي الوصية الثانية التي أعطاها بولس في ختام الأصحاح الثالث عشر من رسالة رومية. ينبغي أن "نَلْبَس أَسْلِحَةَ ٱلنُّورِ" (عدد ١٢)، وينبغي أيضًا أن نلبس الرَّب يسوع المسيح (عدد ١٤). ما معنى هذا؟

كي نحيا طاهرين في مجتمعٍ فاسدٍ أخلاقيًّا، نحتاج إلى ربوبيَّة يسوع وحضوره. فلنبدأ بالنظر إلى ربوبيَّته.

بعد أن قام يسوع من الأموات بقوة الله، جلس عن يمين الله "فَوْقَ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ وَسِيَادَةٍ، وَكُلِّ ٱسْمٍ يُسَمَّى لَيْسَ فِي هَذَا ٱلدَّهْرِ فَقَطْ بَلْ فِي ٱلْمُسْتَقْبَلِ أَيْضًا" (أفسس ١: ٢١). وهو يحظى الآن بمكانة لا مثيل لها، ويملك سلطانًا لا مثيل له، ويحمل لقبًا لا مثيل له. فهو ربٌّ **فوق الكلِّ**.

حين كان يسوع يأمُر المرض بالرحيل، كان المرض يطيعه. وحين كان يأمر الرياح بالسكون، كانت تسكُن بالفعل. وحين كان يأمر المياه بالتحوُّل إلى خمر، كانت تتحوَّل على الفور. وحين كان يعلِن غفران الخطايا، كانت الخطايا تُمحَى. وحين كان يأمر الأرواح الشريرة بالخروج، كانت تخرُج صارخة. هذه هي الربوبيَّة وهي متأصلة في يسوع. فهو ربٌّ مطلق، ولا يمكن أن يكون غير ذلك.

لنفكِّر الآن في الخطيَّة. إنَّ إحدى سمات الخطيَّة هي أنَّها تستعبد الخاطئ. ويبدو أنَّ عبودية خطايا الجسد خاصة واستثنائيَّة؛ فهي تقتنص الذهن، آسرةً إيّاه،

وجاذبةً الخاطئ إلى العودة مرّة تلو الأخرى إلى ارتكاب الخطيَّة نفسها، حتى بعد أن يكون قد سئم منها. ولهذا يصلّي كاتب المزمور قائلاً: "ثَبِّتْ خُطُوَاتِي فِي كَلِمَتِكَ، وَلَا يَتَسَلَّطْ عَلَيَّ إِثْمٌ" (مزمور ١١٩: ١٣٣). فمن طبيعة الخطيَّة أن تتسلَّط، وتستعبد، وتسلب الخاطئ قوّتَه الأخلاقيَّة، فحتّى لو كان يدرك أنَّ ما يفعله مدمّرٌ، لكنّه ليس لديه قوّة للتغيُّر.

يحدث العتقُ من الخطيَّة الجنسيَّة من خلال ربوبيّة يسوع. هذه هي نصيحة بولس لنا: "ٱلْبَسُوا ٱلرَّبَّ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحَ"، أي أحيطوا أجسادكم بردائه. فهو ربٌّ، ولا يمكن أن "يَخضَعَ لأحد"، لأنَّه فوق الكلِّ. وحين تسود علينا ربوبيّته، حينئذٍ يقول الكلمة التي تكسر سطوة الخطيَّة. وحين يأمر، لا أحد يقاوم كلمته. وتعجز الخطيَّة عن السكنى (أو الإقامة) في القلب الخاضع تمامًا لربوبيّة يسوع.

كيف يحدث هذا؟

لا توجد أية معادلات يمكن أن نتبعها كي نخضع لربوبيّة يسوع. على القلب فقط أن ينكسر، ويستسلم استسلامًا من دون شروط، ومن دون حجب شيء. وحين نتّحد في قلوبنا بربِّ الكلّ، سيتمكن من كسر سطوة الخطيَّة على حياتنا. وقد يفعل هذا بطرقٍ مختلفة، مع أشخاصٍ مختلفين، وفي ظروفٍ مختلفة؛ لكنّه ربٌّ، وحتمًا ستستسلم الخطيَّة لسلطانه.

ظلَّ ريتشارد موماو مدمِنًا على شرب الكحول لسنوات كثيرة. وقد ترك زوجته بسبب هذه المشكلة. كان إدمانُه شديدًا حتى إنَّه لم يكن يستطيع أن يؤدي أي عمل من دون أن يُدخِل الكحول إلى جسده. وفي اليوم الذي قرر فيه أن يطلب المساعدة، توقَّف عند حانةٍ كي يشرب الكحول حتى يتمكن فقط من توقيع اتفاقيَّة في العمل في اللحظة الأخيرة. وبعد أسابيع عدة، وفي أثناء عمليَّة "التعافي"، طُلب من ريتشارد توقيع بيان يفيد باستسلامه التام للرّب يسوع. وإليك نسخة من هذا البيان:

تعهُّدي

يا ربّ، إنّني أتخلَّى عن خططي وأهدافي كافّة، وعن رغباتي وآمالي جميعها، وأَقبَل مشيئتك لحياتي. إنَّني أسلِّمك ذاتي، وحياتي، وكلَّ ما فيَّ، لأكون لك إلى الأبد. املأني بروحك القدوس، واستخدمني كما تشاء، وأرسلني حيثما تشاء، وتمِّم مشيئتك الكاملة في حياتي مهما كلّفني الأمر، الآن وإلى الأبد.

التوقيع: _____

التاريخ: _____

وإذ علم ريتشارد ما كان يعنيه توقيعُه على هذا البيان، حمل ذلك التعهد معه لأيام عدّة قبل أن يوقِّعه فعليًا. لكن في شهادته، قال إنَّ توقيع بيان الاستسلام هذا كان نقطةَ التحول الحاسمة في حياته. ومن ذلك اليوم فصاعدًا، تحرَّر من سطوة الشرب.[1]

إنَّ خطايا الجسد عاتية. فقد حوَّلت رجالاً أشداء كثيرين إلى أسرى ضعفاء، تسوقهم شهواتهم في كلِّ مكان. لكن ما زال سلطان الرَّب يسوع أقوى. وحين نلبسه، حتمًا ستستسلم له خطايا الجسد.

للمزيد من الدراسة:

١. لماذا نحتاج إلى ربوبيّة يسوع كي نهزم الخطيَّة؟ اذْكر أكبرَ عدد ممكن من الأسباب، داعمًا إجاباتك بنصوصٍ من الكتاب المقدَّس.
٢. قَدِّم مثالاً من العهد الجديد أظهَرَ فيه يسوع ربوبيّته. ما هو الشيء أو الشخص الذي استسلم لربوبيّته؟

1 From Richard Mummau's "Personal Testimony," given at Harmony Christian Fellowship, 1997. Cassette tapes available from Richard E. Mummau, 606 Connie Dr., Mount Joy, PA 17552.

٣. اقرأ ١كورنثوس ١٢: ٣. مَن الذي يقف على أهبة الاستعداد كي يمكِّننا من الاعتراف بيسوع ربًّا؟

٤. هل اعترفت بيسوع ربًّا على حياتك الجنسيَّة؟ هل هناك أيُّ جانب من أفكارك أو أفعالك الجنسيَّة ليس خاضعًا لربوبيّته؟ كي تتأكد من هذا، فكِّر في الجوانب التالية: الأفكار، المرح، ممارسات التلامُس، التحدث مع الجنس الآخر، عادات النظر، المظهر، الموسيقى، المقاطع المصوَّرة، البرامج الإذاعيَّة أو التلفزيونيَّة. إن كان أيٌّ من هذه المجالات يعثِرك باستمرار، كن صادقًا واذكر كيف، ثم اذكر ما يمكنك فعله حيال ذلك.

٥. اكتب إقرارًا بيسوع ربًّا على حياتك الجنسيَّة، طالبًا من الروح القدس أن يوجِّه كلماتك، ويُشير إلى مواطن ضعف محدّدة. ثم تابع مستخدمًا الخطوات التالية:

أ. اقرأ هذا الإقرار بشكلٍ يوميّ إلى أن تختبرَ تغييرًا.

ب. اطلب من يسوع أن يرشدَ طريقك، ودوِّن كلَّ ما يوصيك بأن تفعله، أو أيّة فكرة ملهِمة يعطيك إيّاها تُساهم في تشجيعك.

تنمية العلاقة مع الرَّب يسوع

كانت وصيّةُ بولس لنا أن "نلبس" الرّب يسوع. إنَّنا نُلبِس أجسادنا يوميًا، ويُعَدّ ارتداءُ الثياب جزءًا ثابتًا وطبيعيًّا من حياتنا. فإنَّنا لا نبدأ بأداء واجباتنا اليوميَّة من دون أن نرتدي ملابسنا.

يقول بولس إنّه ينبغي لنا أن نلبس الرّب يسوع، أي ينبغي أن يكون الرّب جزءًا ثابتًا وطبيعيًا من حياتنا. كيف نفعل ذلك؟

١. أن نلبسَ الرّب يسوع يعني أن نستقبِل منه يوميًا. يُشير تشبيه "ارتداء الملابس" إلى ضرورة أن يكون وجود الرّب يسوع في حياتنا شيئًا ثابتًا ومنتظمًا

وطبيعيًا، لكنّه لا يصف كيف يجب أن نتواصل معه. تُبيِّن تشبيهات أخرى من الكتاب المقدَّس هذا الجانب من علاقتنا بيسوع.

شبَّه الرّب علاقتنا به بالعلاقة القائمة بين الكرمة وأغصانها. إنَّنا متَّصلون به في وحدةٍ حيّة. وهو حياتنا، وغذاؤنا. ونحن نمتص باستمرار طاقةً روحيّةً منه. فإنَّنا نعمل كلَّ شيء في اتحادٍ معه، طالبين منه القوة، والشجاعة، والإرشاد، والحكمة. وحين نقف أمام اتّخاذ قرارٍ، نسأله. وحين تأتينا تجربة، ندعوه. وحين يُطلَب منّا فعل شيء، نتَّكل عليه. فإنَّنا نستقي من الرّب يسوع قوةً في كلِّ أمرٍ نفعله. وأمام أية مسؤوليّة، وفي كلِّ مكان، وكلِّ حين نحن نعي أنَّه معنا بحسب وعده: "إِنْ أَحَبَّنِي أَحَدٌ يَحْفَظْ كَلاَمِي، وَيُحِبُّهُ أَبِي، وَإِلَيْهِ نَأْتِي، وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلًا" (يوحنا ١٤: ٢٣). "لِأَنَّكُمْ بِدُونِي لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا" (يوحنا ١٥: ٥).

لقد قلّل البعضُ من شأن دور الإنسان، ربما بغرض التعظيم من شأن يسوع. على سبيل المثال، قال أحد كُتَّاب الترانيم إنَّنا "مجرَّد قنوات"، أي أنَّنا قنوات، أو أوعية، أو وسائل يعيش يسوع حياته من خلالها. لكن في هذا التشبيه لا يوجد أيُّ دورٍ للمؤمن أو لإرادته، أو فكره، أو أفعاله؛ بل وفي حقيقة الأمر، لا وجود لحياةٍ. فهو يرى نفسه مجرد قناة، في رغبة منه أن يتمِّمَ الرّبُّ يسوع كلَّ ما يريد من خلاله. قطعًا، في الحياة الواقعيّة، يُدرك معظم المؤمنين أنَّهم لا بدَّ أن ينطقوا بالكلمات، أو يقوموا بالأعمال التي يريدها الرّب. لكنَّ تشبيه الكرمة أفضل كثيرًا؛ فإنَّ الأغصان حيّة، وهي تَصنَع ثمارًا. صحيحٌ أنَّ حياتها وطاقتها نابعتان من الكرمة، إلّا أنَّها تلعب دورًا حيويًّا في حياتها وفي صنع الثمار. ويعني هذا بالنسبة إلينا أنَّه يجب ألّا نتوقّف عن التفكير، أو اتخاذ القرارات، أو وضع الأهداف، إنّما ينبغي أن نفعل هذه جميعها فيما تنبض حياةُ يسوع وحضورُه فينا.

يوجد تشبيهٌ آخر، أقرب لاختبارنا الفعلي، وهو تشبيه **الجسد**. الرَّب يسوع هو الرأس، ونحن أعضاء جسده. ويعني هذا أنَّ يسوع الحي فينا ينقل إلينا الحياة، ويمنحنا التوجيه والإرشاد، ويحثنا، ويُشرِكنا معه في حكمتِه وقوّتِه وقصدِه.

توحي هذه التشبيهات "الحيّة" بأنَّنا نحن أيضًا على قيد الحياة، ومُشاركون بشكلٍ إيجابيّ في الفعل والقول ووضع الأهداف. فإنَّ شركتَنا مع يسوع لا تلغي هويتنا. صحيحٌ أنَّها تختلف جذريًا عن حياتنا من دونه لدرجة أنَّ التغيير يشبَّه بأنَّه "ولادة جديدة"، إذ يموت "الإنسان العتيق"، ويقوم "الإنسان الجديد" الذي صار يسوع الآن حيًا بداخله؛ إلّا أنَّ هذا الإنسان الجديد مفعَمٌ بالحياة، وينمو ويتغيَّر ليصير عضوًا متفرِّدًا في جسد يسوع، بحسب مشيئته.

٢. **أن نلبسَ يسوع يعني أن نتحدَّث معه ونتفاعل معه.** كما توضَّح سابقًا، إنَّ علاقتنا بيسوع ليست مجرد علاقة تلقّي. فإنَّنا نأخُذ ونستقي منه باستمرار، لكن نُعطيه أيضًا في المقابل باستمرار. فنقدِّم له الشكر والتوقير والإكرام، ونعبِّر له بصوتٍ مسموع وفي أرواحنا عمّا يعنيه بالنسبة إلينا. كما أنَّنا نحمد أعمالَه، ونُعرِب عن تقديرِنا له، ونعبده.

يمكن أن نفعل هذا من خلال ترنيمة، أو ربما تخرج من أفواهِنا كلماتُ فرحٍ فنقول: "شكرًا يا يسوع!" وقد نُخبِر أيضًا آخرين عنه، أو نتأمَّل في صمت.

يمتلئ عالمنا بأشياء، وأشخاص، وأعمال، وانشغالات، ومواعيد، وذهاب، وإياب. وفي خِضَمِّ هذا كلّه، نحتاج إلى أن نُخصّصَ وقتًا للانفراد بيسوع، كما خصَّص هو نفسه وقتًا لينفرد بأبيه. في هذه الأوقات الهادئة، نستطيع أن نتأملَ في الجوانب الرائعة من علاقتنا معه، أي غفرانه لخطايانا، ووسيلة ذلك الغفران (أي موته)، وعمله الحالي لأجلنا في السماء، أو في بعض جوانب خدمته الأرضيّة. في ذلك الوقت الهادئ من التأمّل، نستطيع أن نعبدَه، ونشكرَه، وندع قلوبنا تمتلئ بالتوقير والإعجاب له، معبِّرين عن هذا الإعجاب إمّا بكلماتٍ وإمّا "بالروح" إن لم نستطع أن نعبّر بالكلمات.

فإنَّ تخصيصَ الوقت للشركة مع الرّب يسوع أمرٌ أساسيٌّ وضروريٌّ كي نلبسَ حضوره. والسير معه ليس مجرَّد عبارة روحيّة، بل المُراد أن يكونَ واقعًا حيًّا. فالرّب يسوع شخصيَّة حقيقيَّة، مفعمة بالحياة، ولذا يليق أن نُفكِّرَ فيه في

كلِّ مكانٍ نذهب إليه، ونتكلَّمَ معه ونستمعَ إلى صوته بغض النظر عمّا نفعله. هذا هو المؤمن؛ هو شخصٌ يتبع الرَّب يسوع، ويكون في شركةٍ مستمرّةٍ معه في الروح.

إنَّ مَن يلبسون الرَّب يسوع يكتشفون قوّته الهائلة ضدَّ الخطيَّة. وحين يتَّحدون معه، يكتشفون أنَّ الخطيَّة تفقد قوّتها. فتجارب الجسد قويَّة حين نكون بمفردنا، لكن حين ننمّي شركةً حيّة، وحقيقيَّة، ومستمرّة مع يسوع، حتمًا ستستسلم الخطيَّة. وحين تهاجمنا التجربةُ، يثور حضورُ يسوع رافعًا "لا" إلهيَّة أمام الخطيَّة. هذا الصوت ليس موجَّهًا ضدَّنا (إيّاك أن تجرؤ على أن تخطئ)، بل بالأحرى ضدَّ الخطيَّة، وضدَّ إبليس، وضدَّ العالم، قائلًا: "لن يحدث هذا! اغربي عن وجهي!" وأولئك الذين يعيشون متَّحدين مع يسوع، ويختبرون هذه "الثورة" الإلهيَّة بداخلهم حين يجرَّبون، يمتلئون بهجةً وبركة.

الرجل الذي يسير في شركة مع يسوع (أي يحمده في روحه، ويشكره لأجل شخصه، ولأجل ما فعله، ويستقي منه الحكمة) بالتأكيد لن يسمو تمامًا فوق التجربة. قد يرى امرأةً جميلة، مرتديةً ثيابًا جذابة وغير محتشمة، فيثير هذا الرغبةَ فيه، لكن فجأة، يشعر بالقداسة تثور وتنهض بداخله. فلديه سلطة إلهيَّة تقول: "بالطبع لا! هذه المرأة ليست لكَ." وفي الحال، يتمكن هذا الرجل من أن يراها كشخص، أي امرأة لديها احتياجات مثل أي إنسان آخر، ستقف يومًا ما أمام ربِّ كلّ الأرض لتعطي حسابًا عن حياتها. فلا يختبر هذا الرجل "لا" إلهيَّة ضد الخطيَّة فحسب، بل يتمكّن أيضًا من رؤية البشر كما يراهم يسوع.

يقول بولس: "البسوا الرَّبَّ يسوع!" لا تواجهوا يومًا واحدًا، أو ظرفًا واحدًا، أو تجربةً واحدة، أو مسؤوليَّةً واحدة، من دونه.

للمزيد من الدراسة:

١. ماذا نتلقّى عندما نتّحد روحيًّا مع الرَّب يسوع؟

٢. ماذا نعطي في المقابل عندما نتّحد مع الرَّب يسوع؟

٣. صِف الفارق بين مفهوم أنَّنا "مجرد قنوات" في علاقتنا مع الرَّب يسوع ومفهوم تشبيه "الكرمة والأغصان". برأيك، كيف يؤثر المفهوم الأخير على نظرتنا ليسوع؟ وكيف يؤثر على نظرتنا لأنفسنا؟

٤. صِف الـ"لا الإلهيَّة" التي تثور ضدَّ الخطيَّة (انظر أيضًا إلى تيطس ٢: ١١- ١٣). هل تستطيع أن تتذكر موقفًا اختبرتَ فيه قوّة يسوع ضدَّ الخطيَّة؟

٥. اذكر بعض الوسائل العمليَّة التي بها "نلبس" يسوع.

٦. اذكر بعض المعوّقات التي قد تمنعنا من أن نلبس يسوع. كيف يمكن أن يساعدنا فهمُنا لهذه المعوقات؟

ينبغي ألاّ نصنع تدبيرًا للجسد

هذه الوصية الثالثة من وصايا بولس في الأصحاح الثالث عشر من رسالة رومية: "وَنَلْبَسْ أَسْلِحَةَ ٱلنُّورِ... ٱلْبَسُوا ٱلرَّبَّ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحَ، وَلَا تَصْنَعُوا تَدْبِيرًا لِلْجَسَدِ لِأَجْلِ ٱلشَّهَوَاتِ" (رومية ١٣: ١٢، ١٤).

إنَّ رغبات الجسد قويّة، وحين تتغذَّى بطريقةٍ خاطئة – أي حين ننتهك إرشادات الله لإشباع الرغبات والغرائز الجسديّة – تزداد قوة تلك الرغبات لدرجة أنَّها تسيطر على الذهن والإرادة. إلّا أنَّ الخضوع لربوبيَّة يسوع يكسر سطوة الغرائز والرغبات الجسديّة التي جمحت.

لكن، نظلّ في حاجةٍ إلى اتخاذ الاحتياطات اللازمة. فبقوة يسوع، يمكن تجريد الجسد من قوته؛ ولكن، يظلّ احتمال عودته إلى الحياة قائمًا دائمًا، إن استسلمنا لرغباته. علينا ألّا نصنع البتة أي تدبير لإشباع تلك الغرائز والرغبات بالطرق القديمة.

يستدعي هذا بعض الإجراءات الوقائية.

لا توجد مجموعة شاملة من الإجراءات الوقائيَّة ضدّ جميع الشهوات الجسدية، لكنَّ بعض الأمور تشكِّل خطرًا على أيِّ شخص. في ما يلي قائمة ببعض الطرق التي ينساق بها الرجال إلى ارتكاب الخطايا الجنسيَّة مع النساء:

١. الاستماع إلى لغة بذيئة، أو استخدامها، أو إطلاق دعابات بذيئة.
٢. التطلُّع إلى نساء غير محتشمات في ملابسهن (أو عاريات)، سواء في المجلات أو في الحقيقة.
٣. قراءة (أو مشاهدة) أمور تتعلَّق برغبات المرأة وعواطفها.
٤. ائتمان امرأة على الأسرار، أو السماح لامرأة بائتمانه على أسرارها.
٥. تأسيس علاقة عمل وثيقة مع امرأة.
٦. إرسال رسائل نصيّة، أو رسائل إلكترونيّة، أو خطابات شخصيَّة إلى امرأة.
٧. الاشتراك في وسيلة نقل واحدة بشكلٍ مستمر مع امرأة.
٨. تقاسُم ممتلكات شخصيَّة مع امرأة (مثل كوب قهوة، أو أدوات تناول الطعام، أو سترة).
٩. الإفراط في المزاح مع امرأة.
١٠. التلامس اللعوب أو المثير.
١١. المُزاح مع امرأة.
١٢. الإسراف في امتداح امرأة.

١٣. السماح باتساع المسافة العاطفيَّة بينه وبين زوجته.

١٤. دخول زوجَين أو أكثر في علاقات مكثفة وحصرية بينهم.

١٥. السفر بمفرده.

١٦. تكريس كلّ ما عنده (من جهد، ووقت، وفكر) للعمل.

بالنسبة إلى المرأة، قد تشكِّل العديد من الأمور السابقة خطرًا مساويًا، لكنَّ بعض المخاطر ستكون بالنسبة إلى المرأة جزءًا مقابلاً لما أعلاه. على سبيل المثال، قد تنساق إلى ارتكاب الخطيَّة الجنسيَّة من خلال مظهرها المثير أو تصرفها بطريقة مثيرة – مستخدمةً عينيها أو جسدها أو ضحكتها كي تجذب انتباه الرجال. أو ربما تُظهِر حاجةً ما (ربما تعاني مشكلة ما تسبِّب لها الضيق، أو ربما تختلق مشكلة) أمام رجل يثير إعجابها، منتظرة منه أن يساعدها على حلِّها.

يُعَدّ وضع معايير سليمة للسلوك والكلام والتعامل مع الجنس الآخر، بالنسبة إلى مَن يرغب في أن يعيش حياة الطهارة الأخلاقيَّة، أمرًا لا غنى عنه في عدم التدبير للجسد. لا بدّ أن نحمي أنفسنا عمدًا مِن التجربة.

بالإضافة إلى ذلك، إنَّ الشخص، سواء كان رجلاً أو امرأة، الذي كان متساهلاً في حياته الجنسيَّة، لديه مواطن ضعف معيّنة وسيجتاز أوقات ضعف معيّنة، وستكون بعض الظروف المعيّنة محفوفة بالمخاطر. من ثَمَّ، قبل أن يضع إجراءات وقائيَّة، سيكون من الحكمة أن يُحدِّد تلك السبل الخاصة التي أسقطته في الخطيَّة. وفي أثناء فحص هذه السبل، لا بد أن يدرك أنَّ ما قد يشكل خطرًا له قد لا يشكّل خطرًا لآخر. لا بدّ أن نفهم أيضًا أن تلك الإجراءات الوقائيَّة، التي تخص مَواطن الضعف المعيّنة، لا تفصل بين الصواب والخطأ، بقدر ما تفصل بين ما هو آمن وما هو غير آمن؛ بمعنى آخر، الشيء الذي قد يكون مقبولاً وحسنًا تمامًا يمكن أن يصير غير آمن بالنسبة إلى الشخص الذي أخطأ من قبل.

مثالٌ شائعٌ عن هذا هو شخص سكير اعتاد الذهاب إلى حانة معيَّنة. فبعد أن يُعتَق من إدمان المشروبات الكحوليَّة، قد يضع إجراءً وقائيًّا لنفسه وهو ألّا يقود سيارته في ذلك الشارع بالتحديد. فإنَّ قيادة السيارة في ذلك الشارع ليس خطيَّة في حد ذاتها، إنّما تشكل خطرًا لذلك الرجل بالذات. قد يعبر آخرون ذلك الشارع نفسه من دون أن يجرَّبوا، لكنَّ هذا لا ينطبق على الرجل الذي مرَّ كثيرًا بتلك الحانة بالتحديد. هكذا أيضًا، إذا جُرِّب أحدهم بممارسة العادة السريَّة بدرجة أشد في وقت معيَّن من اليوم، أو في مكان معيَّن، أو في ظروف معيَّنة، أو تحت تأثير حالة ذهنيَّة معيَّنة أو مزاج معيَّن، فإنَّه سيختار بحكمة نوع الإجراءات الوقائيَّة التي ستُساعده على تجنُّب إثارة تلك التجربة. كما يقول ألكورن: "**إذا وضَعنا أنفسنا عن عمد في وضع يزيد من احتماليَّة ارتكابنا الخطيَّة، فهذا يُعَدّ خطيَّة**".[٢]

من الجدير بالذكر هنا أنَّنا لن نستفيد من أيّة إجراءات وقائيَّة إن لم ننتبه جيّدًا إلى وصيَّتَي بولس الأولى والثانية. فحين لا يكون القلب عازمًا تمامًا على فعل الصواب (أي أن نلبس أسلحة النور)، أو حين لا تكون قوّة الرَّب يسوع حاضرة معنا (أي أن نلبس الرب يسوع)، فإنَّ وضع إجراءات وقائيّة سيزيد فقط من دهاء الجسد ومكره ، ومن عزمه على فعل ما يحلو له. فإنَّ قوة الإنسان لا تكفي لترويض رغبات الجسد المتَّقدة. والقواعد الخارجيّة عاجزة عن التحكُّم في شهوات اعتادت الحصول على ما تريد. "لَا تَمَسَّ! وَلَا تَذُقْ! وَلَا تَجُسَّ!" ... ٱلَّتِي لَهَا حِكَايَةُ حِكْمَةٍ، بِعِبَادَةٍ نَافِلَةٍ، وَتَوَاضُعٍ، وَقَهْرِ ٱلْجَسَدِ، لَيْسَ بِقِيمَةٍ مَا مِنْ جِهَةِ إِشْبَاعِ ٱلْبَشَرِيَّةِ"؛ أو كما تصيغها ترجمة NIV الإنكليزية: "تلك القواعد التي لها

2 See Alcorn, especially Chapter 3, "Getting Radical."
وفي حديث ألكورن عن التخلّي عن أشياء من قبيل التلفاز، أو جهاز البث عبر الأقمار الصناعيّة، أو القراءة الحسيّة، يطرح السؤال التالي: "حين يكون الشرّ هو متعتنا أو تسليتنا، فكيف عسانا نبغضه؟ (ص. ٦٣). ولاحقًا، يضع الأمور في منظور أوضح: "قاسى أتباع يسوع العذاب، وضحوا بحياتهم كي يطيعوه. هل نتذمر نحن اليوم بشأن التخلّي عن جهاز؟ (ص. ٦٨ و٦٩).

مظهر الحكمة، في عبادة مفروضة ذاتيًّا، واتضاع زائف، ومعاملة قاسية للجسد، لكن ليس لها قيمة من جهة كبح جماح الشهوات" (كولوسي ٢: ٢٣).

لكن حين يكون القلب مستقيمًا، وحين يكون الرَّب يسوع حاضرًا، حينئذٍ سنتمتّع بالحكمة في اتّخاذ الاحتياطات اللازمة ضدّ الرغبات الجسديَّة، ولا سيّما تلك التي تَساهَلنا معها في الماضي. وكلُّ شخصٍ يدَّعي أنّه أُعتِق من سطوة الرغبات الجسديَّة المتّقدة، بينما لا يكترث بشأن الأشباح القديمة للخطيَّة، أو يتجرَّأ على وضع نفسه في مرمى خطايا سابقة، هو في خطر. ابتهج بالعتق! وافتخر بسلطان الرَّب يسوع! لكن انتبه جيّدًا إلى تحذير بولس: "**لَا تَصْنَعُوا تَدْبِيرًا لِلْجَسَدِ لِأَجْلِ ٱلشَّهَوَاتِ**".

في ما يلي بعض الأمثلة عن إجراءات وقائيّة شخصيَّة ضد الخطايا الجنسيَّة:

١. لن أذهب إلى مكانٍ ما بمفردي (أو حين أذهب، سأُقدِّم تقريرًا دقيقًا لشريك حياتي بشأن الأماكن التي ذهبتُ إليها، وما فعلتُه).
٢. لن أسافر بمفردي.
٣. لن أتحدَّث مع شخص من الجنس الآخر على انفراد (أو مع شخص معيَّن على انفراد).
٤. لن أحمل هاتفًا محمولاً.
٥. لن أستخدم الحاسوب إلّا في وجود أفراد من عائلتي.
٦. لن أتَّصل بمنزل _____.
٧. لن أذهب إلى هذا المتجر المعيَّن.
٨. حين أجد نفسي غاضبًا (أو مصابًا بالإحباط)، سأتصل بـ _____ .
٩. لن أستلم البريد بنفسي، بل سأُكلِّف أحدهم بتنقيته أوّلاً من المنشورات الإعلانيَّة قبل اطلاعي عليه.

١٠. لن أقرأ كتبًا للمؤلِّف _____ (أو سأُكلِّف أحدهم بفحص الكتب التي أقرؤها، والموافقة عليها).

١١. لن أحمل سوى كميّة محدودة من النقود السائلة، ولن أستخدم بطاقة ائتمان إلاّ بعد موافقة _____ .

١٢. لن أشارك امرأةً بوسيلة نقل.

١٣. لن أمتلك تلفازًا في منزلي.

١٤. لن نذهب في عطلة حيث يوجد مكان استحمام مشترَك.

تُكَلَّل هذه الإجراءات الوقائيَّة بالنجاح بأفضل صورة حين يكتبها المحتاج إليها (أو حين تُكتَب بطلب منه)، في حين أنَّها لا تنجح حين تُفرَض عليه. فلا بدّ أن تكون هذه نابعة من قلبٍ عازم على فعل الصواب، واتِّباع يسوع، وليس مجرّد رغبات أصدقاء أو أفراد من العائلة. من ناحية أخرى، قد يختار الشخص الذي يحاول إعادة بناء الثقة بينه وبين أفراد عائلته أو أعضاء كنيسته طواعيةَ الخضوع لإجراءات وقائيَّة قد لا يرى داعيًا لها، لكنَّه يُدرك أهميَّتها لدى الآخرين. وبخضوع هذا المخطئ بسرورٍ لاهتمامات الآخرين، يزداد احتمال نجاحه ليس فقط في أن يُعيد بناء الثقة، بل أيضًا في أن يحمي نفسه من خطر ربما لم يكن واعيًا به تمامًا. أحيانًا يعلم المحيطون بنا ضعفاتنا أفضل ممّا نعرفها نحن وكذلك خداع الجسد.

وكما يتبيَّن من قائمة الإجراءات الوقائيَّة، تتعلَّق بعض المخاطر بالجانب الماديّ أو الجسديّ – أي بأماكن، وأشخاص، وأنشطة؛ بينما يتعلَّق البعض الآخر بجانب مشاعرنا غير المنظور. يكون بعض الأشخاص عرضةً للخطايا الجنسيَّة بصفة خاصة حين يجدون أنفسهم في حالة مزاجيّة أو ذهنيّة معيّنة، مثل الغضب، أو الإحباط، أو الشعور بالوحدة. آخرون يضعُفون حين يمتدحهم الآخرون، أو يُشعرونهم بأهميّتهم. فكي نصون أنفسنا من شهوات الجسد، ينبغي أن نعلم

متى وأين تُثار تلك الشهوات، وما هي الوسائل التي تُثيرها. حينئذٍ سنتمكّن من اتّخاذ الإجراء الملائم.

لا تُقدِّم أيّة مجموعة من الإجراءات الوقائيّة ضمانًا كاملًا. بمعنى آخر، لا تكفلُ الإجراءات الوقائيّة النصرة على الجسد، لكنَّها تستطيع أن تُساعد في تجنُّب التجربة.

ملخَّص

إنَّ حياة الطهارة الأخلاقيَّة هي حياة جديرة بأن تُعاش. يريد لنا إبليس، والعالم، والجسد أن نظنَّ عكس ذلك، ونظنّ أنَّنا نُفوِّت علينا المرح والإثارة. هذا "المرح والإثارة" دائمًا يتبعه وجع شديد في القلب (ينجح في محو تأثير أيّة لذة سابقة). لكن، مَن يسلك بالاستقامة الأخلاقيَّة يختبر الفرح الذي ينبع من فعل الصواب، وموافقة الضمير الشديدة والعميقة، والاحترام الآتي من المحيطين به، و"نَعِمًا" صادرة من الله نفسه. صرخ يسوع: "طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ ٱلْقَلْبِ، لِأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ ٱللهَ" (متّى ٥: ٨).

للمزيد من الدراسة:

١. اذكر الوصايا الثلاث التي أعطاها بولس لعيش حياة تسمو فوق خطايا الجسد.
٢. ما هي المخاطر المصاحبة لاتِّباع الوصيَّتَين الأولى والثانية، وإهمال الثالثة؟
٣. ما هي المخاطر المصاحبة لمحاولة تنفيذ الوصيَّة الثالثة من دون اتِّباع الوصيَّتَين الأولى والثانية؟

٤. لماذا يُعَدّ من الأفضل أن يضع الشخص الذي يحتاج إلى الإجراءات الوقائيَّة هذه الإجراءات بنفسه (أو أن يُشارك في وضعها)، بدلاً من أن يفرضها آخرٌ عليه؟

٥. اذكر بعض الإجراءات الوقائيَّة (سواء من القائمة أو أخرى) التي احتجتَ أن تضعها لنفسك حتى تتجنّب الاستسلام للتجربة الجنسيَّة.

٦. ما سبب أهميَّة طلب تدخُّل آخرين في وضع الإجراءات الوقائيَّة؟

٧. إن كنت قد استُعبدتَ في الماضي لخطيَّة جنسيَّة معيَّنة، حدِّد بأقصى وضوح ممكن الأماكن، أو الأشخاص، أو المواقف، أو الأنشطة، أو الحالات المزاجيَّة التي تكون فيها ضعيفًا.

٨. في ضوء مواطن الخطر هذه، ضع قائمة بالإجراءات الوقائيَّة. افعل هذا مع الشخص (أو الأشخاص) الذي ستكون مسؤولاً أمامه.

٩. لنفترض أنَّ زوجةً تظنّ أنَّ إجراءً وقائيًا معيّنًا ضروريٌّ لزوجها، بينما لا يوافقها زوجها رأيها. كيف يمكن حلُّ هذا؟ وما هي الفوائد التي قد يجنيها الزوج حين يحترم قلقَ زوجته؟

١٠. ما هي محدوديات الإجراءات الوقائيَّة – أي ماذا تستطيع أن تفعل، وما الذي تعجز عن فعله؟

الملحق (أ)

مشكلة العادة السريَّة

"لِأَنَّ هَذِهِ هِيَ إِرَادَةُ ٱللهِ: قَدَاسَتُكُمْ –
أي انفصالكم وانفرازكم لحياة الطهارة والقداسة.
أَنْ تَمْتَنِعُوا عَنِ ٱلزِّنَا، أَنْ يَعْرِفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ أَنْ يَقْتَنِيَ
[أي يتحكَّم في، أو يدير] إِنَاءَهُ (في طهارة،
وانفصال عن الأمور الدنسة، و) بِقَدَاسَةٍ وَكَرَامَةٍ،
لَا [أن يُستخدَم] فِي هَوَى شَهْوَةٍ كَالأُمَمِ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ ٱللهَ الحقيقيّ، ولا مشيئته."

١تسالونيكي ٤: ٣- ٥

قرّرتُ أن أتناول موضوع العادة السريَّة في ملحقٍ للكتاب لأنّه موضوعٌ يمثِّل إلى حدٍّ كبير مشكلة لدى البعض وليس الجميع؛ ولذا، لن يهتم جميع القارئين بقراءة محتواه.

سأبدأ حديثي بطرح العديد من الأفكار التمهيديَّة عن هذا الموضوع، مقدِّمًا الأسباب التي تدعوني إلى الاعتقاد بأنَّ العادة السريَّة خطأ، ثم سأتناول بعض المشكلات المصاحبة للعادة السريَّة، وأُقدِّم بعض المساعدة العمليَّة للتغلُّب على هذه المشكلة. لنبدأ إذًا ببعض التصريحات الافتتاحيَّة.

١. هذا الموضوع مثيرٌ للجدل

لا يعتبر البعض، ومن بينهم معلِّمين مؤمنين مؤثِّرين، أنَّ العادة السريَّة هي خطيَّة، أو مشكلة خطيرة. هذا لا يعني أنّهم يشجعون الآخرين على ممارستها، لكنَّهم يفترضون أنَّ الكثيرين، ولا سيَّما المراهقين، سيمارسونها بالفعل. لا يرون أنَّها تُسبِّب أيَّ ضرر جسديّ أو روحيّ، وإذًا لا يعتبرونها مشكلة.

يعتبر آخرون أنَّ العادة السريَّة خطيَّةٌ، وفعلٌ مخالفٌ لقصد الله؛ ثَمَّ، يقولون إنَّه حين يُثير أحدُهم نفسَه جنسيًا، فإنَّه بهذا يرتكب خطيَّة؛ ويؤمنون بأنَّ ردّ الفعل السليم لمؤمنٍ يمارس هذا الفعل هو التوبة.

٢. العادة السريَّة ليست مشكلةً ذكوريَّة فحسب، لكن الاختلاف بين الرجل والمرأة عادة ما يكون في المشكلات المحيطة بالممارسة

مع أنَّه يبدو أنَّ الرجال يصارعون مع العادة السريَّة أكثر من النساء، إلا أنَّ بعض النساء أيضًا يمارسن العادة السريَّة. وإنَّ أكثر مَن يواجه مشكلةً مع العادة السريَّة هم على الأرجح الشباب غير المتزوجين، لكن يصارع معها أيضًا بعض الرجال المتزوجين، وبعض الرجال الأكبر سنًا. بين النساء، تُعَد العادة السريَّة أكثر شيوعًا بين غير المتزوجات، لكن تصارع النساء المتزوجات معها أيضًا، ولا سيما حين تكون علاقاتهنَّ بأزواجهنَّ غير مُشبِعة.

بالنسبة إلى الرجال، تكون العادة السريَّة عادةً مدفوعةً بالرغبة الجنسيَّة. إذًا، يحتاج الرجل الذي يرغب في التغلُّب على العادة السريَّة أن يتعلَّم كيف يتعامل مع رغبته الجنسيَّة. أمّا بالنسبة إلى المرأة، فقد تلعب الرغبة الجنسيَّة أيضًا دورًا، لكنَّ المشكلة الأعمق تكون عادةً مشكلة علاقاتيَّة. فهي تتوق إلى التقارُب، والتفهّم، والأمان؛ ولهذا تصير العادة السريَّة وسيلة لتسكين ألم هذا الفراغ العلاقاتيّ. ويكون الرجل أكثر ضعفًا أمام ممارسة العادة السريَّة بتراكم السائل المنوي، ومن خلال مشاهد، أو أفكار، أو ذكريات تثير فيه الرغبة الجنسيَّة. أمّا المرأة فهي تكون أكثر ضعفًا أمام هذه الممارسة حين تشعر بالوحدة، أو حين لا تجد شبعها في علاقةٍ ما. وإذا تعلَّمَت استخدام العادة السريَّة كي تسكِّن ألمها، فستصبح في النهاية وسيلة تخفيف ضغوط أخرى أيضًا.

هذه الفروق ليست عامة؛ ففي بعض الأحيان يمارس الرجال العادة السريَّة أيضًا لتخفيف الضغوط، وأحيانًا تغذِّي النساء رغباتهنَّ الجنسيَّة إلى أن تخرُج عن السيطرة أو إلى أن تُحكِم قبضتها عليهنَّ. لكن يمكن أن يُساعدنا فهمنا لهذه الاختلافات الأساسيَّة بين الرجال والنساء على إيجاد وسائل فعَّالة للسيطرة على الرغبات والأفعال الجنسيَّة.

٣. لا توجد في الكتاب المقدَّس أيّة إشارة خاصة إلى العادة السريَّة

يتحدَّث الكتاب المقدَّس عن الأفكار الشهوانيّة، والرغبات الشريرة، والزنا، والخيانة الزوجيَّة، والبهيميّة، والتودُّد، وعدم الاحتشام، لكن لا توجد فيه أية إشارة مباشرة إلى العادة السريّة. ظنَّ بعض قارئي ترجمة KJV الإنكليزية أنَّ تعبير "مُضَاجِعُو ذُكُورٍ" (الذي ورد في الترجمة الإنكليزيّة كالتالي: مضاجعو أنفسهم مع الجنس البشري) الذي كتبه بولس في ١كورنثوس ٦: ٩ يُشير إلى العادة السريَّة. لكن فعليًّا هذه إشارة إلى ممارسات مِثليَّة.

وعلى الرغم من عدم تناوُل الكتاب المقدَّس لموضوع العادة السريَّة بصفة خاصة، لكنَّه يقدِّم لنا بعض التوجيه من جهتها. فالعادة السريَّة، كما ذكرنا قبلاً، هي وسيلة تعبير عن الرغبة الجنسيَّة، ويحفل الكتاب المقدَّس بالإرشادات التي تتعلَّق برغباتنا الجنسيَّة.

هل تُعدّ العادة السريَّة مشكلةً أخلاقيَّة؟

في القديم، كان كبار السن يُخبِرون المراهقين بأنَّ العادة السريَّة ممارسةٌ ضارةٌ بالصحة. وقد امتنع شبابٌ كثيرون عن ممارسة هذه العادة خوفًا من التشوُّهات الجسدية، ومن ألا يصيروا أشخاصًا بالغين أصحَّاء، بل ومن خسارة قدراتهم الذهنيَّة. وعلى الرغم من تصديق هذه المعلومات الخاطئة على نطاق واسع، إلا أنَّ هذه التحذيرات ببساطة غير صحيحة. لا تسبِّب العادة السريَّة أيَّ ضرر جسديّ أو عقليّ معروف.

لكنَّني مع ذلك، أومن بأنَّ العادة السريَّة خطأ، لعدّة أسباب:

١. العادة السريَّة تَستخدِم الميول الجنسيَّة على نحو يُخالف تصميم الله وقصده. فقد صمَّمَنا الله كائنات جنسيَّة؛ وتعلِّمنا كلمته بوضوح أنَّ ممارسة الجنس هي وسيلة تعبير عن المحبَّة الزوجيَّة (انظر نشيد الأنشاد ٤، وأمثال ٥: ١٥- ٢١). لكنَّ العادة السريَّة في المقابل تُخرِج ممارسة الجنس من إطار المحبَّة داخل التزام لمدى الحياة في علاقة الزواج.
٢. العادة السريَّة لا تُعطِي ولا تتقاسم، بل تركِّز على الذات. صمّم الله للرجل أن يُثار جنسيًّا عن طريق امرأة (وأن تثار المرأة عن طريق رجل)، داخل سياق المحبَّة الزوجيَّة. لكنَّ العادة السريَّة هي إثارة المرء لنفسه جنسيًّا، وهي أخذ من دون عطاء. فإنَّ من يمارسها لا يخرج خارج ذاته، بل يتمحور فقط حول نفسه. وفي هذه الممارسة

لا يوجد آخرٌ يستفيد، أو يُخاطَب، أو يُخدَم، أو يُحَب، أو يُعتنَى به، بل إنَّ الذات تُرضي نفسها.

٣. العادة السريَّة تترك داخل المرء شعورًا بالخواء. فإنَّنا نعرِف من خلال تعليم الكتاب المقدَّس ومن خلال المراقبة أنَّ مَن يعيشون لأنفسهم لا يختبرون السعادة أو الشبع، بل الفراغ. فإنَّ العادة السريَّة ممارسةٌ فارغة لأنَّ الذات هي محورها. علاوة على ذلك، تُضاعف هذه الممارسة من الخواء لأنَّ ممارسة الجنس صُمِّمت كي تكون تفاعليّة. فإن أنفق أحدُهم جميع أمواله على نفسه، تصير حياته خاوية. لكنَّ العادة السريَّة أسوأ من إنفاق المال على النفس، بل هي تشبه محاولة أحدهم لعب الكرة بمفرده – مكوِّنًا فريقًا بمفرده، وشاغلاً الفريق المنافس بشخصيّات خياليَّة. تَخيَّل معي شخصًا يَقذِف الكرة، ويضربها، ويطاردها، ويلقي بها، ويركض سريعًا، ويحرز هدفًا – بمفرده تمامًا. يا لها من مباراة موحشة ومخيِّبة للآمال! فإذ صُمِّمت ممارسة الجنس كي تكون تفاعليّة، تُصبح العادة السريَّة فارغة وغير مشبِعة.

٤. العادة السريَّة لا تُشبِع الجوع الجنسيّ بل تزيده. قد يختبر مَن يمارس العادة السريَّة إثارةً جسديّة وتنفيسًا جنسيًّا، لكنَّه لن يختبر البتة الاتحاد الجنسيّ أو فرح المحبَّة المتبادَلة. فإنَّ هذه الخبرة أحادية الجانب، وتتمحور فقط حول الذات، وتُسلِّط الضوء على حقيقة أنّها ليست متعة جنسيَّة حقيقيَّة، بل تخيُّل لهذه المتعة. وإذ تترك العادة السريَّة القلبَ غير راضٍ، تزيد من جوعه إلى ما لم يختبره.

٥. من المستحيل ممارسة العادة السريَّة من دون أفكار شهوانيَّة. تُثير هذه العادة فينا رغبةً في ما ليس مسموحًا لنا أن نحصل عليه. يتخيَّل الرجل عادةً في ذهنه صورًا لامرأة (أو يستخدم صورًا) كي يثير رغباته. أو ربما يحاول الرجل (أو المرأة) تمثيل مشهدٍ في خياله أو استكمال مشهدٍ لموقف مرَّ به مع امرأة. في جميع الأحوال، هذا الطرف الآخر

الموجود في خياله ليس شريك حياته الشرعي. قال يسوع: "وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى ٱمْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ" (متّى ٥: ٢٨). (ملحوظة: يكتشف بعض الأطفال متعة العادة السريَّة كفعل غير جنسيٍّ. لكن في أثناء نموِّهم جنسيًا، من الطبيعي أن تصبح العادة السريَّة بالنسبة إليهم فعلاً جنسيًا؛ فيتعلَّمون أنَّ التعامل مع الجنس الآخر، والتخيُّلات عنه شيءٌ أساسيّ في هذه الممارسة).

٦. تُدخِل العادة السريَّة المرء إلى عالمٍ غير واقعي، وتبني لديه آمالاً غير واقعيَّة. أحد تأثيرات العادة السرِّيَّة الضارة هي أنَّ المرء يُكوِّن بالتدريج طريقة تفكير وتصرُّف جنسيّة، بعيدة عن التعامل الحقيقيّ والمُحب مع شريك حياة حقيقيّ. حين يُنمّي أحدهم هذه العادة، لا يتوقَّف الأمر عند كون الذات هي محور العالم الخيالي للممارسة الجنسيَّة، بل يكون هذا العالم أيضًا غير واقعي. فإنَّ الشريك الجنسيّ يتحرك، ويتحدَّث، ويتجاوب (داخل عقله) وفقًا لما تمليه عليه رغبات الآخر الجنسيَّة. ويبني هذا آمالاً يصعُب على شريك الحياة الزوجيَّة الحقيقيّ أن يحقّقها.

٧. العادة السريَّة تُخلِّف لدى المرء شعورًا بالقذارة والوضاعة. كما ذكرنا قبلاً، تأخذ العادة السريَّة شيئًا كان الهدف منه أن يكون وسيلة تعبير عن المحبَّة الزوجيَّة، وتحوِّله إلى ممارسةٍ محورها الذات. ثَمَّ، فهي انحراف عن غرض ممارسة الجنس الأساسيّ. ولهذا، تحمل الممارسة في طياتها خزيًا متأصلاً. فإنَّ الزوج والزوجة اللذين يُمارسان الجنس معًا قطعًا يرغبان في السريَّة والخصوصيَّة، لكنّهما لن يخجلا ممَّا يفعلانه طالما كانت العلاقة شريفة؛ بفعل التعقُّل، ومراعاة المشاعر، والحنوّ، والالتزام وضبط النفس. إلا أنَّ مَن يمارس العادة السريَّة لا يُظهِر أيًا من هذه الصفات. فهو لا يقوم بالجهد اللازم لبناء علاقة، أو التضحية أو الاحتفاظ بنفسه لأجل آخر، أو الحفاظ على الإخلاص. فبالنسبة إليه،

ممارسة الجنس ليست المكافأة التي لا تقدَّر بثمن في علاقة بُنيت بعناية؛ بل هي شيء متاحٌ له في أيِّ ركنٍ مظلم. وبهذا، تصير ممارسة الجنس بالنسبة إليه شيئًا بخسًا؛ وهذا الشيء البخس مخزٍ. كثيرًا ما شاهدتُ نظرة الألم والعذاب على وجوه أولئك المقتنَصين في العادة السريَّة. قد يشكِّل الخزي من التحدُّث عن الأمر صعوبةً، لكنَّ الصعوبة الأكبر تأتي من الخزي المؤلم والموحش من البقاء تحت نير العبودية.

٨. العادة السريَّة تُتلِف تدريجيًّا الرجولة والأنوثة الحقيقيّة. فهي لا تُنشئ لدى المرء احترامًا لذاته. فإنَّ مَن يمارس العادة السريَّة لا يعتني بتلك السمات التي تُشكِّل الرجولة والأنوثة الحقيقيَّة. فإنَّ المرأة لا تنبهر برجلٍ يمارس العادة السريَّة بانتظام، ولا تثير شخصيَّته وأخلاقه إعجابها، والعكس صحيح. فإنَّنا كبشرٍ ننفر من الأنانيَّة. ويبدو أنَّ الأنانيَّة التي يُعبَّر عنها في ممارسة الجنس (وتظَهر من خلال كلمات، أو دعابات، أو تصرّفات، أو لغة الجسد) منفِّرة بشكلٍ خاص، ولا سيَّما لأنّها تُشكِّل المرء لسنوات. فإنَّ الرجل الذي يقضي حياته في سعيٍ أنانيّ وراء المتعة الجنسيَّة لا يُثير إعجاب النساء. والمرأة التي تقضي حياتها في التودُّد، والاشتهاء، وإثارة جسدها تصير أقل جاذبيّة كامرأة. فإنَّ الأنانيَّة الجنسيَّة (التي تشمل ممارسة العادة السريَّة إنّما لا تقتصر عليها) تُضعِف من الرجولة والأنوثة الحقيقيَّة.

ولهذا أومن بأنَّ العادة السريَّة خطأ. فهي أنانيَّة في طبيعتها، ومخالفة لقصد الله لحياتنا الجنسيَّة؛ ونظير أية خطيَّة أخرى، إنّها تحوِّل الخاطئ إلى عبد بائسٍ. لستُ أعتقد أنَّ العادة السريَّة هي أسوأ الخطايا على الإطلاق (مع أنَّها يمكن أن تبدو كذلك في نظر الشخص المُستعبد لها)، لكنَّني أومن أنَّنا حين ننظر إليها بمثابتها خطيَّة، سنتمكن من تطبيق المبادئ الكتابيَّة اللازمة لأجل تحقيق النصرة. وبالتالي سنختبر العتق!

أُقدِّم المساعدة التالية لمَن يرون أنَّ العادة السريَّة خطأ، ويتحلُّون بالجدية حيال تعلُّم كيفيَّة التحكُّم في رغباتهم الجنسيَّة.

كيف يمكن كسر العادة السريَّة؟

إنَّ الإجابات عن هذا السؤال كثيرة. طبعًا، قد يختلف تطبيقها من شخص إلى آخر، لكنَّها مشترَكة بين جميع الخطايا. سنبدأ ببعض المبادئ الأساسيَّة، ثم نتناول قائمة من الإرشادات العمليَّة.

١. يلزم أن نكون راغبين في العتق

مع أنَّ الإرادة البشريّة وحدها غير كافية لكسر سطوة الخطيَّة الجنسيَّة، لكنّنا لن نحظى بالعتق ما لم نرغب فيه حقًّا. أوضح الرسول بولس أنه قد يوجد صراع في داخلنا: "فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ سَاكِنٌ فِيَّ، أَيْ فِي جَسَدِي، شَيْءٌ صَالِحٌ. لِأَنَّ ٱلْإِرَادَةَ حَاضِرَةٌ عِنْدِي، وَأَمَّا أَنْ أَفْعَلَ ٱلْحُسْنَى فَلَسْتُ أَجِدُ. لِأَنِّي لَسْتُ أَفْعَلُ ٱلصَّالِحَ ٱلَّذِي أُرِيدُهُ، بَلِ ٱلشَّرَّ ٱلَّذِي لَسْتُ أُرِيدُهُ فَإِيَّاهُ أَفْعَلُ" (رومية ٧: ١٨ و١٩).

إن كنّا صادقين، فسنُقرّ حتمًا بأنَّنا في بعض الأحيان لا نرغب في التحرُّر من الخطيَّة الجنسيَّة. فإنَّنا نحبُّها. وهي تُشعرنا بالذنب، ولهذا لا نرغب في أن تتحكَّم في حياتنا. لكنَّنا في الآن ذاته لا نريد أن نبتعد عنها؛ وفي أعماقنا، نشعر بالسعادة حين تعود.

فالتحرُّر من الخطيَّة الجنسيَّة يستدعي أكثر من مجرّد قرار يُتَّخذ مرّة واحدة، بل لا بدَّ أن تتماشى إرادتنا مع مشيئة الله المقدَّسة؛ "لِأَنَّ هَذِهِ هِيَ إِرَادَةُ ٱللهِ: قَدَاسَتُكُمْ. أَنْ تَمْتَنِعُوا عَنِ ٱلزِّنَا، أَنْ يَعْرِفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ أَنْ يَقْتَنِيَ إِنَاءَهُ بِقَدَاسَةٍ وَكَرَامَةٍ" (١ تسالونيكي ٤: ٣ و٤). إذًا، لا بدّ لمَن يرغب في التحرُّر أن يضع هذا في قلبه: أتعهّد بالكامل أن أسلكَ في طهارة أخلاقيَّة، وأن أقود جسدي بقداسة.

٢. يلزَم أن نعترف بخطايانا أمام الله حتى نختبر تطهيرًا للقلب

يؤكّد لنا الرسول يوحنا أنَّنا "إِنِ ٱعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ" (١ يوحنا ١: ٩). الاعتراف ببساطة يعني أن نقول الحقّ. فعلى الرغم من أنَّ الاعتراف لأجل التطهير هو قانونٌ روحيٌّ أساسيٌّ، إلّا أنّنا أحيانًا نتغافل عن أهميَّته، فنُدلي باعترافات سريعة وعامّة، متوقّعين تطهيرًا فوريًّا وكاملاً.

إذًا، مَن يرغب في التحرُّر من العادة السريَّة يحتاج إلى أن يبدأ العمل من قلبٍ طاهرٍ. وهذا يفوق مجرد قول: "يا الله، لقد فعلتُها ثانية، وأعتذر."

تطهير القلب

إذا لم تُجرِ من قبل عمليَّة تطهير شاملة ودقيقة لقلبك من تورُّطه في الفجور، فإليك دليلٌ إرشاديٌّ. في ما يلي قائمة تحوي طرقًا ينتهك بها البعض حياة الطهارة. ضع علامة (أو اكتُب في ورقة منفصلة) بجانب الأخطاء التي تجد نفسك مذنبًا بارتكابها:

١. _____ التحديق عن عمدٍ في جوانب جنسيّة من جسد الجنس الآخر (ولا سيّما في أوضاع معيَّنة، أو حين تكون ملابس الجنس الآخر غير محتشمة).

٢. _____ الانغماس في تخيُّلات بشأن امرأة معيّنة أو رجل معيّن.

٣. _____ قراءة قصص صريحة جنسيًا.

٤. _____ مشاهدة مقاطع مصوَّرة أو برامج صريحة جنسيًا أو إيحائيّة.

٥. _____ التطلُّع إلى صور، أو مجلات، أو برامج إعلاميّة تعرض مشاهد عُريٍ.

٦. _____ تصفُّح مجلات، أو قواميس، أو موسوعات طبيّة بهدف الإثارة الجنسيَّة.

٧. _____ التعدِّي البصري على خصوصيّة الجنس الآخر (كما شاهد داود بشبع وهي تستحمُّ).

٨. _____ ملامسة أشخاص من الجنس الآخر، أو الاصطدام والاحتكاك بأجسادهم.

٩. _____ ترتيب لقاءات سريّة.

١٠. _____ إرسال رسائل سريّة (رسالة صغيرة مكتوبة أو إلكترونيّة).

١١. _____ استخدام لغة إيحائيَّة، وإلقاء الدعابات البذيئة.

١٢. _____ الظهور بمظهر يجذب الانتباه إلى الجسد.

١٣. _____ التعبير عن النفس للآخرين.

١٤. _____ ارتياد حانات غير لائقة، أو الذهاب إلى أماكن "الترفيه للبالغين".

١٥. _____ شراء أدوات أو ألعاب مثيرة للشهوة.

١٦. _____ نشر رسائل، أو صور، أو دعابات حسيَّة كي يراها الآخرون.

١٧. _____ المغازلة (الغمز، أو التلويح، أو السعي إلى جذب انتباه الجنس الآخر).

١٨. _____ المزاح مع الآخرين بطريقة حسيَّة أو إيحائيَّة.

١٩. _____ تشجيع الآخرين على ممارسة الجنس.

٢٠. _____ العبث بملابس الجنس الآخر.

٢١. _____ ارتداء ملابس الجنس الآخر.

٢٢. _____ تقاسُم أدوات شخصيَّة (مثل مرطب الشفاه، أو أكواب القهوة، وإلخ) بهدف الإثارة.

٢٣. _____ البوح بمعلومات شخصيَّة، وبالأخص معلومات ذات طبيعة حسيّة، لإثارة شخص آخر أو لإثارة الذات.

٢٤. _____ إثارة المرء لنفسه جنسيًا.

٢٥. _____ استخدام الحيوانات بهدف المتعة الجنسيَّة، أو إثارة الحيوانات جنسيًا.

٢٦. _____ ممارسة فعل الزنا أو الخيانة الزوجيَّة.

٢٧. _____ تبادل الأزواج لممارسة الجنس.

٢٨. _____ تعريف الأطفال بممارسات جنسيَّة.

٢٩. _____ ارتكاب زنا المحارم (أي ممارسات جنسيَّة مع أفراد من العائلة).

٣٠. _____ ممارسات مثليَّة بين الذكور أو بين الإناث (التلامس الحسي، أو تبادُل القبلات، أو ممارسة علاقات جنسيَّة مع شخص من الجنس نفسه).

٣١. _____ عرض تقديم خدمات جنسيَّة مقابل أجر.

٣٢. _____ دفع المال لأجل الحصول على خدمات جنسيَّة.

٣٣. _____ التواصل الجنسيّ عبر الإنترنت أو الهاتف.

٣٤. _____ إعادة لقاءات ماضية مع الجنس الآخر في الذهن.

٣٥. _____ أخرى: _____ .

بعد أن تُحدِّد خطاياك بدقة، ضع القائمة أمام الرَّب، وانطق بالحق (أي اعترف). بوسعك أن تفعل هذا بمفردك، أو مع شخص آخر، يمكن أن يكون مرشدك الروحيّ. اطلب من الله تطهيرًا كاملاً لقلبك، وأعرِب عن رغبتك في ترك هذه الخطايا والتوجّه نحو حياةٍ تُكرِم إرادته من جهة جسدك. قد يجد البعض أنَّ تدوين الصلوات أمرٌ مُساعدٌ لهم، كما فعل داود في المزمور الحادي والخمسين.

بركات الاعتراف

لهذا النوع من الاعتراف قيمةٌ ثُنائيَّة. أوَّلًا، لا يُتيح الاعتراف الدقيق والشامل للخطيَّة أيَّ غطاء تستطيع أن تختبئ تحته. فكما تحدَّثنا في الفصل السابع، هذا هو معنى أن "تسلُك في النور". وإنَّ أحد مخاطر الخطيَّة الجنسيَّة هو أنَّه بسبب المتعة المفرطة التي تمنحه هذه الخطيّة، سيرغب "جسدنا" في إخفائها. وعدم صدقنا مع أنفسنا يعني أنَّنا متعلِّقون بإثمٍ سريٍّ، ولا نزال نرغب في الاحتفاظ به، حتى إن كان الجانب الروحيّ منّا يريد في الآن ذاته الانتصار عليه. يقول كاتب المزمور: "إِنْ رَاعَيْتُ إِثْمًا فِي قَلْبِي [أي تعلَّقت به في الخفاء] لَا يَسْتَمِعُ لِيَ ٱلرَّبُّ" (مزمور ٦٦: ١٨). ولهذا، يفضح الاعترافُ الكامل والدقيق تلك الجوانب الخفيّة التي تمنعنا من أن نكون صادقين مع الله.

البركةُ الثانية التي تأتي من اعتراف دقيق وشامل هي الحرية المنعِشة التي يختبرها قلبٌ نقيٌّ. فإنَّنا لا ندرك كم كانت الخطايا (حتى تلك السريَّة و"البسيطة") ثقيلة إلى أن نتطهَّر بدم يسوع. يكشف الاعتراف الدقيق والشامل نجاسة الجسد أمام نور الله، وفي الحال يَرُش الله دمَ يسوع للتطهير. هذا التطهير الشامل يمنح المرء حريّة روحيَّة – إذ يختبر راحةً من أثقالٍ لم يكن يعلَم حتى أنّه كان يحملها، ويختبر حريّة النظر إلى الآخرين في أعينهم، والفرح الغامر النابع من استجابته لذاك الشخص الذي يغفر الخطايا.

هذا "القلب النقي" (الذي يتحدَّث عنه داود في مزمور ٥١) كَنزٌ نرغب قطعًا في الاحتفاظ به. فإنَّ حريّة قلبٍ تنقَّى بالحقيقة، تُنشِئ فينا عزمًا على عدم العودة إلى الخطيَّة، وتُشكِّل حافزًا قويًا لمواصلة السلوك في البِرّ.

٣. ينبغي أن نملأ فراغات حياتنا بطريقة صحيحة

قال يسوع: "إِذَا خَرَجَ ٱلرُّوحُ ٱلنَّجِسُ مِنَ ٱلْإِنْسَانِ يَجْتَازُ فِي أَمَاكِنَ لَيْسَ فِيهَا مَاءٌ، يَطْلُبُ رَاحَةً وَلَا يَجِدُ. ثُمَّ يَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي ٱلَّذِي خَرَجْتُ مِنْهُ. فَيَأْتِي وَيَجِدُهُ فَارِغًا مَكْنُوسًا مُزَيَّنًا. ثُمَّ يَذْهَبُ وَيَأْخُذُ مَعَهُ سَبْعَةَ أَرْوَاحٍ أُخَرَ أَشَرَّ مِنْهُ، فَتَدْخُلُ وَتَسْكُنُ هُنَاكَ، فَتَصِيرُ أَوَاخِرُ ذَلِكَ ٱلْإِنْسَانِ أَشَرَّ مِنْ أَوَائِلِهِ!" (متّى ١٢: ٤٣- ٤٥).

يعكس تعليم يسوع هذا أمورًا عدَّة بشأن القلب البشريّ: يشعر هذا القلب بالانزعاج حين يكون خاويًا؛ وفي تلك الحالة، يكون أكثر عرضة لأن يمتلئ بأشياء خاطئة. ثمَّ، إنَّ هذا القلب الذي أُفرِغ من الشرّ ينبغي أن يُملأ بشيء أفضل، وإلا انتقل المرء بسهولة من شرٍّ إلى آخر، فتصير أواخرُه أشرَّ من أوائله.

إنَّ غرض الله من إخلاء القلب من الخطيَّة يتعدَّى مجرد الغفران والتطهير، بل والسلوك بطريقة فضلى؛ بل يريد الله أن يسكُن في هذا القلب الذي تَطهَّر، أي يقيم إقامة دائمة. أشرنا إلى هذه الفكرة بالتفصيل في الفصل السابع ("البسوا الرَّب يسوع المسيح")؛ لكن من جهة العادة السريَّة، يلزَم أن نطرح بعض الأفكار الأخرى.

إنَّ العادة السريَّة، وما يصاحبها من ممارسات (مثل التخيُّلات، ومشاهدة المواد الإباحيَّة) يمكن أن تُسبِّب الإدمان. تستعبد هذه الخطايا المرءَ بشدة، جاذبةً إياه كي يعود مرارًا وتكرارًا إلى الخطيَّة، حتى بعد مجيء العواقب، وبعد إدراكه جيّدًا أنَّه يُفسِد أشياء ثمينة جدًا مثل زواجه، وعائلته، وشهادته أمام الآخرين، وخدمته الروحيّة، بل ونفسه أيضًا. فإنَّه يَعلَق بشدّة حتى إنَّ عينيه، بحسب كلمات الكتاب المقدَّس، تصير "مَمْلُوَّةٌ فِسْقًا"، و"لَا تَكُفُّ عَنِ ٱلْخَطِيَّةِ" (٢بطرس ٢: ١٤).

علينا أن نفهم مبدأً هامًا يخص جميع أنواع الإدمان: ينشأ الإدمان ويستمرُّ بسبب الخواء. في حين ينطبق هذا بصفةٍ خاصة على النساء اللواتي يصارعن مع العادة السريَّة، لكنَّه ينطبق أيضًا على الرجال. ولذا، قبل أن نتحدّث عن رغبة الله في الإقامة في قلوبنا، حريٌّ بنا أن نسمح له بفحص حالة قلوبنا الحقيقيّة. ونكتشف عادةً، في أثناء هذا الفحص، مناطق خواء – أي مواضع رغبات دفينة، أو خيبة أمل شديدة، أو علاقات محطّمة، أو احتياجات غير مسدَّدة.

تُشبه مناطق الخواء هذه صوبة زجاجيّة تنمو الرغبات في داخلها. فإنَّنا نرغب في نَيل الاستحسان، أو القبول، أو التقدير، أو الحُب، أو في أن نُلاحَظ من الآخرين. وأحيانًا يكون بداخلنا توقٌ إنّما لا نعرف ببساطة ماهيَّته. يقول سفر الأمثال: "ٱلرَّجَاءُ ٱلْمُمَاطَلُ يُمْرِضُ ٱلْقَلْبَ، وَٱلشَّهْوَةُ ٱلْمُتَمَّمَةُ شَجَرَةُ حَيَاةٍ" (أمثال ١٣: ١٢). فإنَّنا لن نبلي بلاءً حَسَنًا، أو لن ننمو جيِّدًا، إن لم تتحقق توقُّعاتٍ نريدها بشدّة. وفي هذه "الصوبة الزجاجيَّة"، قد تنمو الرغبات المشروعة أيضًا بسرعةٍ شديدة. لكنَّها، نظير النباتات التي تُترَك لفترة أطول من اللازم داخل الصوبة، تنمو بشكلٍ مفرط فتصير هزيلة ونحيفة، وفي النهاية تَذبُل وينتهي أمرها.

من المؤسف أنَّ الحياة المدفوعة برغبات غير مسدَّدة غالبًا ما تلجأ إلى أشياء خاطئة بحثًا عن الشبع. فيتَّجه البعض إلى المال، أو الشهرة، أو المتعة، أو المقتنيات، أو الانغماس في الشهوات حتى يملؤوا الفراغ الموجود في الداخل. لا عجب إذًا أنَّ الناس، في هذا المجتمع الخاوي بحقٍّ، "عالقون" في جميع الخطايا التي يمكن تخيُّلها.

لكنَّ البشارة السارة هي أنَّ الله قادرٌ تمامًا على إشباعنا في أعمق مواضع خوائنا. وبالتالي، بوسعه أن يكون أبًا لليتيم، وزوجًا للأرملة، وصديقًا للمتروكين، وشافيًا للمجروحين، وماءً للعطشان، وطعامًا للجائع، وهويةً للنكرة، وراعيًا للضالّين، وحاميًا لمن هم من دون حماية، وصخرةً لمَن يعج عالمهم بالاضطرابات. فإنَّ قدرته مدهشة، وهو يرغب في سدّ احتياجات البشر مهما كانت.

لكن، علينا أن نتذكر أنَّ الله هو **أكثر من مجرد** إله يُدرك احتياجات البشر ويستجيب لها. فنجده كثيرًا في القصص الكتابيَّة، يسدّ أشدّ احتياجات البشر.

إذًا، بينما نعالج موضوع ممارسة العادة السريَّة، ولا سيما إذا كانت متوغّلة بعمق، ينبغي أن نبحث بحقٍّ، وبتمييزٍ وفطنة، عن الخواء الكامن وراءها. بالنسبة إلى السيّدات، يدور عادةً هذا الخواء حول التعطّش إلى العلاقات؛ أمّا بالنسبة إلى الرجال، فيتمحور الأمرُ عادة حول توقٍ إلى القبول أو التقدير. وتعكس هذه التعطُّشات أحيانًا أشواقًا مشروعة يمكن تفهُّمها (مثلاً إذا نشأ أحدهم في جوٍّ من سوء المعاملة أو الاستنكار المستمر من الوالدَين)، بينما تعكس ببساطة أحيانًا أخرى أنانيَّتنا وكبرياءنا (على سبيل المثال، إنَّنا نخشى الرفض، ونسعى إلى نَيل الاستحسان بطريقةٍ خاطئة ومن الأشخاص غير المناسبين).

في ما يلي بعض الطرق التي قد ينشأ الخواء من خلالها:

١. التعرُّض للرفض في علاقة صداقة عميقة.
٢. خيبة أمل شديدة في العلاقة بالوالدَين.
٣. تعرُّض المرء إلى الإساءة الجسديّة خلال نشأته.
٤. يشتهر أحد الوالدين بأمرٍ مخزٍ (السكر، أو الفجور، أو سوء الإدارة، وإلخ).
٥. التعرُّض للإغاظة، أو الاستهزاء، أو الرفض من العائلة أو الأقران.
٦. الخوف من الرفض بسبب اختلاف واضح بين عائلة المرء والعائلات المحيطة به (على سبيل المثال، العائلة فقيرة، أو تتَّبع قواعد صارمة ومتشدِّدة تفرزها عن العائلات الأخرى).
٧. تشوُّه جسمانيّ أو إعاقة جسديّة تجعل المرء مختلفًا عن الآخرين، أو تمنعه من الاستمتاع بما يختبره الآخرون (مثل المشي، أو النظر، أو الزواج).

٨. يظنّ أحدُهم أنَّ شكله قبيح (أو يخشى أن يكون كذلك)، ففي مجتمع يُركِّز بشدَّة على الجاذبيَّة الجسديَّة، يخشى حتى الجذَّابون جسديًا ألّا يكونوا هكذا.
٩. النشأة في بيئة تركِّز على السلوك المتشدِّد والمدقّق، فيشعر المرء بالذنب باستمرار. قد يحدث هذا في المنزل أو في الكنيسة.

من جهة هذه القائمة، علينا أن نحذر من مخاطر عدّة. الخطر الأول الذي يهدِّدنا هو إلقاء اللوم من جهة مشكلاتنا على الآخرين. صحيحٌ أنَّ الخواء هو التربة التي تنمو فيها الرغبات التي تسوقنا، لكنَّنا نخطئ إن اعتقدنا أنَّ خواءنا هو السبب الوحيد لمشكلاتنا وخطايانا، ملقين بالتالي اللوم على المسؤول عنه أيًّا كان. هذا ميلٌ بشريّ قديم للغاية؛ نحن لا نريد أن نتحمّل مسؤوليَّة أفعالنا.

فإن قُمنا بفحص الخواء الموجود في داخلنا بهدف إيجاد مَن نلومه عليه – أو إن حدث ووجدنا المسؤول، وألقينا باللوم عليه –سرعان ما سنعرِّض أنفسنا لكثرة من المشكلات الشخصيَّة والعلاقاتيَّة. للأسف، روَّج علم النفس لهذا التوجُّه، وقَبِلَه وأيَّده أيضًا كثيرون من المشيرين المسيحيّين. فإنَّ الوالدَين في هذه الأيام يتلقيان اللوم على كلّ مشكلة يواجهها الأولاد (وقطعًا، علينا أن نتجنّب إبداء رد فعل تجاه عقليَّة اللوم السيِّئة هذه، رافضين أن يكون للوالدين أية علاقة بمشكلات أولادهم).

في الواقع، يُهمِل الآباء والأمهات أولادهم، ويسيئون معاملتهم، ويفسدونهم؛ هذا ليس بالأمر الجديد، على الرغم من تفاقُم المشكلة بسبب الظروف المحيطة بنا اليوم. يشعر الكثير من الأولاد بفراغٍ في قلوبهم، من ثَمَّ يلجؤون إلى التخريب المتعمَّد للممتلكات، وتَعاطي المخدرات، وملاحقة المتعة، والخطايا الحسيَّة حتى يملؤوا هذا الفراغ. على الآباء والأمهات أن يقبلوا تحمُّل المسؤوليّة عن هذا الإهمال، وعلى الأولاد أيضًا أن يقبلوا تحمُّل المسؤوليّة عن ردود أفعالهم الخاطئة.

الفكرة التي أحاول توضيحها هنا هي أنَّنا إذا واجهنا الفراغ بهدف إيجاد مَن نلومه عليه، سنتعثر ونسقُط. فحين نركِّز على مسؤوليَّة "الآخرين" (بغض النظر عمَّن هم)، تغيب عنّا حقيقة أنَّنا مسؤولون، ونخسر الفرصة المتاحة لنا كي نختبر ملء الله في مكان الفراغ، وكي نختار، في المسيح، ردود أفعال جديدة وفضلى تجاه من آذونا أو خيَّبوا آمالنا. بعض الأشخاص الذين يكتشفون من هو المُلام على خوائهم لا يتعافون البتة، إذ يحمِّلون الآخرين المسؤوليّة، فيتمادون في إفساد علاقتهم بوالديهم، أو بأفراد عائلاتهم، أو بأصدقاء سابقين، أو بكنيستهم أو قادتِها.

الخطر الثاني الذي يهدِّدنا ونحن بصدد مواجهة الخواء الذي يُثير مشكلات من قبيل العادة السريَّة هو أن نفترض أنَّ الحلَّ يكمُن في فهم المشكلة. مرة أخرى، نجد هذا الميل في كلٍّ من علم النفس الحديث والكثير من المشورة المسيحيّة. فإنَّنا نميل على ما يبدو إلى تفسير السلوك الخاطئ، وأسبابه، وأعراضه، مفترضين ضمنًا أنَّ مجرد فهم المشكلة سيُصحِّح الخطأ. يعفي هذا الافتراض غير الموفَّق الكثير من علماء النفس والمشيرين من الاضطرار إلى تفسير سبب عدم فاعليّة مشورتهم. فإذ يقدِّمون وصفًا معقَّدًا بل ودقيقًا أحيانًا لمشكلاتنا، يروِّجون للفكرة التي تفيد بأنَّ التفسير هو الحل. ويلهي هذا مَن يصارع مع المشكلة عن رغبته في التغيير إذ يركِّز في المقابل على تفسير المشكلة وتوضيحها. مرة أخرى، يصير هذا وسيلةَ هروبٍ من تحمُّل مسؤوليَّة شخصيَّة عن الأفعال.

لكن نادرًا ما يثير هذا انبهار المتفرّجين؛ فهم يسمعون التفسير، ويفكِّرون في أنفسهم: "حسنًا، لكنَّكَ لم تصبح بهذا التفسير أفضل حالاً ممّا كنت عليه في البداية." لكن يبدو أنَّ صاحب المشكلة (وتفسيرها المعقَّد) هو الوحيد الذي لا يدرك هذا.

وقد كانت فكرة التفسير لتجنُّب المواجهة موضوع العديد من الدعابات. على سبيل المثال، ذهب رجلٌ إلى طبيبه النفسي، قائلاً له: "أيها الطبيب، أخبرني بكلمات واضحة بطبيعة مشكلتي."

نظر إليه الطبيب وأجاب: "مشكلتك هي أنك كسولٌ."

أجابه الرجل: "حقًا؟ هل تستطيع أن تصيغ هذه المشكلة بمفردات طبيّة، حتى أتمكّن من إخبار زوجتي بها؟"

ليس الهدف من مواجهة خوائنا هو إلقاء اللوم على الآخرين، أو تفسير سلوكنا الخاطئ، بل الهدف هو أن نتَّجه إلى الله بشكلٍ صحيح.

إنَّ مصدر أية مشكلة بشريّة هو نوعًا ما انصرافنا عن الله؛ أمّا الحل فهو حتمًا رجوعنا إليه. فإن ابتُلينا بممارسة العادة السريَّة، وصرنا مستعبَدين لها، حريٌّ بنا أن نصرف بعض الوقت لتحديد موطن الخواء الذي نمت فيه رغبتنا الجنسيَّة حتى بلغت نسبًا غير سليمة. قد نجد عندئذٍ توقًا شديدًا إلى القبول، أو التقدير، أو التقارُب، وإلخ. ونستطيع بعد هذا أن نأتي بردود أفعالنا الخاطئة هذه إلى الله في توبة – ليس عن الخطايا الناتجة (مثل العادة السريَّة)، بل عن استخدام طرق خاطئة لسداد رغباتنا.

عندما لا نأتي إلى الله أوّلاً، نكون قد "عملنا شرَّين"، كما قال الله عن شعبه في الماضي. "تَرَكُونِي أَنَا يَنْبُوعَ ٱلْمِيَاهِ ٱلْحَيَّةِ، لِيَنْقُرُوا لِأَنْفُسِهِمْ أَبْآرًا، أَبْآرًا مُشَقَّقَةً لَا تَضْبُطُ مَاءً" (إرميا ٢: ١٣).

يقف الله على أهبة الاستعداد كي يملأ فراغَ مَن لجؤوا إلى ينابيع خاطئة وزائفة منتظرين أن تروىَ عطشَ قلوبهم. قد تسكِّن العادة السريَّة بصورة مؤقتة ألم الرفض، وصرخة قلب يشعر بالوحدة، والغضب من سوء المعاملة، ومرارة شخص لن يتمكن البتة من الزواج، لكنَّها لن تستطيع البتة أن تملأ قلبًا بالسلام. فإنَّ من يلجؤون إلى المتعة الجنسيَّة كي يخفِّفوا من ضغوط داخليّة ينقرون

بئرًا مشققًا من الأساس، لن يضبط ماءً. وهذا يترك القلب أكثر خواءً، وعطشًا، وأقلَّ شبعًا.

يدعونا الله إلى أن نأتي بخوائنا إليه. فهو ينادي قائلاً: "أَيُّهَا ٱلْعِطَاشُ جَمِيعًا هَلُمُّوا إِلَى ٱلْمِيَاهِ، وَٱلَّذِي لَيْسَ لَهُ فِضَّةٌ تَعَالَوْا ٱشْتَرُوا وَكُلُوا. هَلُمُّوا ٱشْتَرُوا بِلَا فِضَّةٍ وَبِلَا ثَمَنٍ خَمْرًا وَلَبَنًا. لِمَاذَا تَزِنُونَ فِضَّةً لِغَيْرِ خُبْزٍ، وَتَعَبَكُمْ لِغَيْرِ شَبَعٍ؟ ٱسْتَمِعُوا لِي ٱسْتِمَاعًا وَكُلُوا ٱلطَّيِّبَ، وَلْتَتَلَذَّذْ بِالدَّسَمِ أَنْفُسُكُمْ" (إشعياء ٥٥: ١ و٢).

مواجهة الخواء

١. في ضوء قائمة الظروف السابقة التي ينشأ فيها الخواء، اذكر الرغبة أو الرغبات التي يمكن أن تنمو في كلِّ ظرف لتصير قوة محرِّكة ودافعة (رغبة في القبول، أو في التقدير، وإلخ).
٢. إذا رأيتَ أنَّك كنتَ مدفوعًا بالخواء، صِف بأقصَى دقة ممكنة الظروف التي نشأ فيها خواؤك.
٣. اذكر الرغبة أو الرغبات التي نشأت نتيجة لتلك الظروف.
٤. صِف بأمانة كيف شكَّلت تلك الرغبات مواقفك.
٥. صِف كيف أثّرت تلك الرغبات على سلوكك.
٦. اقضِ بعض الوقت في الصلاة، وتأمَّل في قدرة الرَّب على سدِّ رغباتك. قد يستغرق هذا بعض الوقت. فكِّر في أمثلة من الكتاب المقدَّس عن أناس واجهوا ظروفًا ومواقف مشابهة – ماذا يمكنك أن تتعلَّم منهم؟ وكيف وجد هؤلاء (أو فاتهم إيجاد) الله في وسط ضيقهم؟ يمكنك أيضًا أن تبحث عن نصوص متَّصلة برغبتك الخاصة. ادرس هذه الأمثلة والنصوص الكتابيَّة إلى أن تحصُل على صورة واضحة عن قدرة الله على سداد احتياجاتك.

٧. ابدأ في كتابة يوميَّات أو سجلٍّ لما تتعلَّمه في رحلتك مع الله. يمكنك أيضًا تسجيل صراعاتك والبركات التي تنالها. ابدأ في وضع قائمة بالنصوص الكتابيَّة التي تتكلّم عن صفات الله التي تؤثِّر بكَ بشكلٍ خاص.

٨. في أثناء هذه الدراسة، قد ترغب في وضع قائمة بردود الأفعال السليمة والتي تُمجِّد الله تجاه الظروف (أو الأشخاص) التي نشأ فيها خواؤك. بمعنى آخر، حين ترى ردود أفعالك الخاطئة (استياء، وسخط، ويأس، ولوم، ورثاء للذات، وتساهل حسي، وإفراط في تناول الطعام، وممارسة العادة السريَّة، وإلخ)، اطلب من الله أن يُبيِّن لك ردود الأفعال السليمة تجاه هذه الظروف وهؤلاء الأشخاص، وكيف يريد لك أن تنظر إلى هذه الأشياء، وتستجيب لها. تصير هذه القائمة من ردود الأفعال أكثر أهميَّة حين تنبع من فهمك لله نفسه، ومعرفتك به. فعلى الرغم من اكتراث الله بسلوكنا، إلّا أنَّه مهتمٌّ أكثر بأن نتعلَّم كيف نعرفه. فهو ليس قلقًا حيال توقُّفنا عن ممارسة العادة السريَّة بقدر ما هو قلق حيال محاولتنا إيجاد الشبع بعيدًا عنه. بمعنى آخر، يجب أن تكون معرفتنا به هي الأساس الذي نكسر به عاداتنا الخاطئة.

٩. راجع الإرشادات الواردة في الفصل السابع بشأن وضع إجراءات وقائيَّة. فمع أنَّ حضور الله هو وسيلة التحصين العظمى ضد خطايا من قبيل العادة السريَّة، لكن علينا أيضًا أن نضع إجراءات وقائيَّة تحمينا من أماكن أو مواقف يمكن أن نُجرَّب فيها.

١٠. يمكن تعزيز جميع هذه الخطوات من خلال طلب تدخُّل صديقٍ أو مرشدٍ روحيّ.

بعض النصائح العمليَّة

بما أنَّ العادة السريَّة مشكلةٌ شهوانيَّة إلى حدٍّ كبير، يلزم أن ننتبه جيّدًا إلى المحفِّزات الشهوانيّة. فإنَّ حواس النظر والسمع واللمس هي الحواس الأكثر استقبالاً للإثارة الجنسيَّة. وإذا كنا قد استُعبدنا في الماضي لممارسات جنسيَّة، تتطلّب إعادة تدريب الجسد للسلوك في البِرّ جهدًا وانضباطًا، وبالتالي تخضع الحواس مرّة أخرى لسيطرة روح الله القدّوس.

في ما يلي بعض النصائح العمليَّة:

١. ليكن الاستحمام سريعًا ومعتدل الحرارة؛ لا طويلاً، وساخنًا.

٢. تناول الطعام بشكلٍ معتدل، وتجنَّب الأطعمة ذات السعرات الحرارية العالية، ولا سيما إذا كانت أنشطتك الطبيعيّة لا تحرق الكثير من السعرات. فإنَّ السيطرة على عادات تناول الطعام تدريبٌ مفيد لاستعادة التحكُّم في الرغبات الجنسيَّة.

٣. قبل الإخلاد إلى النوم، اقرأ شيئًا يُثريك روحيًّا.

٤. فيما تنتظر أن يأتيك النعاس، صلِّ وتأمَّل في ما عمله لله لأجلك في ذلك اليوم.

٥. عندما تستيقظ في الصباح، غادر الفراش على الفور، بدلاً من الاسترخاء لبعض الوقت وأنت نصف نائم.

٦. ضع شعارات أو ملصقات مفيدة في أماكن استراتيجيَّة (مثل الحمام، أو غرفة النوم، أو السيارة، أو مكتب العمل، وإلخ).

٧. حين يثير شخصٌ معيّن أفكارًا جنسيَّة في داخلك، ابدأ في الحال بالصلاة لأجل خيره الروحيّ.

٨. أنشئ صلة بين التجربة الجنسيَّة واحتياجٍ معيَّن؛ على سبيل المثال، صلِّ لأجل الاحتياجات الماديَّة لإرساليَّة ما، أو لأجل احتياج مرسَل

معيَّن، أو لأجل الاحتياجات الروحيَّة لشخصٍ تعرفه. فإنَّ هذا أفضل من الصلاة لأجل الانتصار على التجربة الجنسيَّة وجعلها محور الاهتمام، إذ تُبعِد الصلاة لأجل الآخرين أفكارَك عن التجربة، وتوجِّهها إلى أمورٍ أخرى. ثبِّت إذًا هذه الصلة – ما إن تُجرَّب، وصلِّ لأجل هذا الاحتياج المحدَّد. يمكنك تغيير نوع الاحتياج بعد أسبوع أو أسبوعين، لكن أبقِ الصلة ثابتة.

٩. أبقِ شخصًا آخر على اطّلاع بنواياك الأخلاقيَّة وبالتقدُّم الذي تُحرزه. التقِ معه بصفة منتظمة كي تقدّم له تقريرًا، وتصلِّيا معًا.

١٠. أخبرني أحدهم ذات مرة بأنَّه احتاج إلى اللجوء إلى إجراءات أكثر صرامة ليتجنَّب ممارسة العادة السريَّة. فقد ألزم نفسه أمام راعي كنيسته بأنَّه في حال أخفق، سيتبرَّع للكنيسة بمبلغ ألف دولار. فقد قال: "كنتُ بحاجة إلى شيءٍ يمس نقطة ضعفي." وحين أخبرني بهذا، كان يعيش بالفعل في نصرة لبعض الوقت! كان هذا الرجل يطبِّق وصية يسوع بشأن التجربة الجنسيَّة: "إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى ٱمْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ. فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ ٱلْيُمْنَى تُعْثِرُكَ فَاقْلَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ، لِأَنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلَا يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ" (متى ٥: ٢٨ و٢٩).

طبعًا، لا تستطيع هذه النصائح في ذاتها أن تكسر العادة السريَّة، لكنَّ الغرض منها هو مساعدة الأشخاص الذين يسيرون في شركةٍ يومية مع الآب ومع ابنه، يسوع المسيح. كما قال بولس: "بَلِ ٱلْبَسُوا ٱلرَّبَّ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحَ، وَلَا تَصْنَعُوا تَدْبِيرًا لِلْجَسَدِ لِأَجْلِ ٱلشَّهَوَاتِ" (رومية ١٣: ١٤).

الملحق (ب)

المِثليَّة

"لِهَذَا تَرَكَهُمُ اللهُ لِرَغَبَاتِهِمُ المُخزِيَةَ.
فَاسْتَبْدَلَتْ نِسَاؤهُمُ العَلَاقَاتِ الطَّبِيعِيَّةَ
بِعَلَاقَاتٍ مُخَالِفَةٍ للطَّبِيعَةِ.
وَكَذَلِكَ تَرَكَ الرِّجَالُ العَلَاقَاتِ الطَّبِيعِيَّةَ مَعَ النِّسَاءِ،
وَالتَهَبُوا شَهوَةً بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ. فَصَارَ الذُّكُورُ
يُمَارِسُونَ أُمُورًا فَاحِشَةً مَعَ الذُّكُورِ،
وَحَمَلُوا فِي أَنْفُسِهِم العِقَابَ
الَّذِي استَحَقُّوهُ عَلَى انحِرَافِهِمْ."

(رومية ١: ٢٦ و٢٧)

في مجتمعنا هذا، تُعَد المِثليَّة موضوع الساعة. وفي القديم، كانت المثليَّة أمرًا خاطئًا ومخالفًا للطبيعة حتّى بالنسبة إلى غير المؤمنين. لكن في الجو

الإيديولوجي الحالي، يُصنَّف أيُّ رأيٍ آخر غير القبول بأنّه نابع إمّا من بغضة وإمّا من خوف. ويوصَف المؤمنون الذين يقولون إنَّ السلوك المثليّ خاطئٌ بأنَّهم يعانون "رهاب المثليَّة"، أو يُحرّضون على الكراهيَّة.

ولذلك، يجب أن نتناوَل هذا الموضوع بحكمةٍ وأمانة. ويجب ألّا ننظر إليه بخوف أو بغضة لأسباب عدّة. السبب الأوّل هو أنَّ دعوة الإنجيل تُقدَّم إلى الجميع، بمن فيهم المثليّون. ينبغي أن نعرِف إذًا كيف يريد لنا يسوع أن نتعامل مع هؤلاء الأشخاص حين يستجيبون لرسالة الإنجيل. السبب الثاني هو أنَّ مشكلة المثليَّة ليست بعيدة عنا، بل إنَّ بعض الأشخاص الذين ترعرعوا في بيوت مسيحيَّة، وارتادوا مدارس وكنائس مسيحيَّة، ينجذبون على الرغم من جميع هذه الأمور إلى أشخاصٍ من الجنس نفسه. ويحتاج هؤلاء إلى تفهُّمنا ومساعدتنا.

وينبغي أن نتجنَّب إصدار الأحكام سواء بناءً على جهل أو بناءً على معلومات خاطئة. كما ينبغي أن نتحلَّى بالشجاعة حتى نواجه هذه المشكلة بأمانة، ومحبة، وبحسب تعليم الكتاب المقدَّس.

أودّ أن أبدأ أولاً ببعض الملاحظات من الكتاب المقدَّس (وبالأخص من النص الذي اقتبسناه في بداية هذا الملحق). ثم سنتناول معًا بعض الحقائق عن المثليَّة الجنسيَّة، ونختم أخيرًا ببعض المبادئ المُساعِدَة لمواجهة المثليَّة.

بعض الملاحظات من الكتاب المقدَّس

١. المثليَّةُ تتزايد في ظروف اجتماعيَّة معيَّنة

يرسم لنا الأصحاح الأول من رسالة رومية التدهور السريع لمجتمعٍ انصرف عن الله. فإنَّ رفض الله يؤدّي، بشكلٍ يكاد يكون حتميًا، إلى تعاظُم الإنسان. وحين يصير الإنسان عظيمًا في عينَي نفسه، "يكتشف" أمورًا تُزيد من ضلالته.

فملاحقة المرء للمعرفة في سياق رفض الله تُفقِده صوابه مثل السُّكر – فيدَّعي أنَّه حكيمٌ، بينما يترنّح في حماقة وجهل.

وفي هذه البيئة، تتكاثر الخطيَّة، ولا سيَّما الخطيَّة الجنسيَّة. ويصير الإنسان أشبه بحيوانٍ – بل إذا تحرّر من القيود الأخلاقيَّة، يصير في الحقيقة أسوأ من الحيوانات. وإذ يعيش في مجتمع خاطئ يرفض الله ويتبع المذهب الإنسانيّ، يُطلِق العنان لرغباته الجنسيَّة، فتَخرُج كافة أنواع الخطايا الجنسيَّة بجرأة إلى العلن. والسلوك المثليّ ليس سوى خطيّة واحدة من بين خطايا كثيرة.

ولذلك، حين كَثُرت الخطيَّة في سدوم، انتشرت المثليَّة الجنسيَّة. وحدث الأمر ذاته في إسرائيل بعد مرور بضعة قرون (انظر قضاة ١٩).

الوجه الآخر من هذا الحق هو أنَّ المثليَّة الجنسيَّة أقلّ شيوعًا في الجماعات التي تُكرِم الله وتمجِّده، وتتمسَّك بمعايير أخلاقيَّة سامية، وتهتم بالعلاقات العائليَّة المتينة.

٢. المثليَّةُ انحرافٌ عن الوضع الطبيعيّ

يصف بولس السلوك المثليّ بأنَّه "مخالفٌ للطبيعة"، ويجعل البشر يرتكبون أفعالاً "غير لائقة" أو "فاحشة". فحتى عام ١٩٧٣، كانت جمعيَّة علم النفس الأميركية (American Psychiatric Association) تُصنِّف المثليَّة بأنَّها اضطرابٌ، أمّا اليوم فنادرًا ما يعتبرها الأطباء النفسيّون وعلماء النفس كذلك. وبناءً على هذا، يؤمن كثيرون اليوم بأنَّ المثليين "وُلدوا هكذا" أو لديهم ميول مثليّ.

يعلِّمنا الكتاب المقدَّس أنَّ تدبير الله هو أن ينجذب الذكر والأنثى بعضهما إلى بعض، وأنَّ الانجذاب الجنسيّ للجنس نفسه هو تحريف وتشويه لخطته. فإن كانت "ميول" أحدهم موجّهة إلى أشخاصٍ مِن الجنس نفسه، فإنَّنا نعتبر هذا توجُّهًا خاطئًا، واضطرابًا. من ثمَّ، فإنَّ السلوك المثليّ مخالفٌ للطبيعة.

وبهذا الرأي نحن لا ننكر أنَّ بعض الأشخاص ينجذبون بالفعل إلى أشخاصٍ من الجنس نفسه، أو أنَّ البعض قد يُظهِرون ميولاً إلى الجنس نفسه. ونؤمن مع هذا أنَّ هؤلاء الأشخاص قد تعرَّضوا "للانحراف" في أثناء نشأتهم. إنّما لسنا نؤمن بأنَّ المثليَّة الجنسيَّة ميلٌ يولَد به المرء، بل أنّه توجُّه خاطئ يُظهِره المرء في أثناء مراحل التكوين. ومع أنَّ العوامل المساهمة في هذا "الانحراف" قد تكون معقَّدة (ولا بدّ أن نتجنَّب افتراض أنَّ تشوهًا واحدًا يناسب الجميع)، لكنَّ القضية الأهم هي أنَّها مشكلة تكوين، وليست مشكلة وراثيَّة.

فإنَّ المفهوم التكويني للمثليَّة يُعطِي رجاءً. فإذا كان ممكنًا أن ينشأ أحدُهم بطريقة خاطئة، يصير ممكنًا أيضًا أن يُعاد تكوين هذا الشخص أو إصلاحه. يعني هذا أنَّ هناك إمكانيّة لإعادة توجيه الرغبات الجنسيَّة التي صارت مثليَّة إلى الجنس الآخر، كما يشهد آلافٌ من الناس الذين تغيَّروا. كتب جو دالاس، وهو مثليٌّ سابق، هذه الكلمات: "يميل الناسُ إلى النظر إلى المثليَّة بشكلٍ إيجابي حين يظنُّون أنَّها خِلقيّة. لا عجب أنَّ القادة المثليين (ليس جميهم، بل غالبيّتهم) يُصرُّون على نظريّة المثليَّة بالولادة؛ فهذا يعزِّز قضيّتهم".[١] شدّد الدكتور جوزيف نيكولوزي على التالي: "لدينا جميعًا مَيلٌ للجنس الآخر، والبعض يعاني مشكلةً مثليّة، لكن هذا لا يعني أنَّه يوجد نوعان مختلفان من البشر."[٢] وكتب ستانتون جونز، رئيس قسم علم النفس في جامعة ويتون، هذه الكلمات: "كلُّ من يقول إنَّه لا يوجد أمل (في التغيير) هو إمّا جاهل وإمّا كاذب. فقد أظهرت جميع

1 Dallas, Joe, *Is Homosexuality Inborn? What Current Science Really Says,* (Seattle, WA: Exodus International North America,1993), p. 2.

2 Carlson, Jodi (compiler), *The Truth Comes Out: The Roots and Causes of Male Homosexuality,* (Colorado Springs, 2001, a publication of Focus on the Family) p. 9.

الدراسات العلمانيّة عن التغيير بعض نسب النجاح، وأولئك الذين يشهدون عن اختبارات شفاء حقيقيّة من الله هم كثيرون."[٣]

٣. المثليَّةُ الجنسيَّة مخزيةٌ أكثر من الخطايا الجنسيَّة الأخرى

ذكرنا في الفصل الثاني، أنَّ الخطايا الجنسيَّة تحمل في طيّاتها خزيًا خاصًّا. على سبيل المثال، يُعَدّ خزي الخيانة الزوجيَّة أشدُّ من خزي السرقة (كما نقرأ في أمثال ٦: ٣٠- ٣٣). ولذلك، في مجتمعٍ تزداد فيه الخطايا، ويتناقص فيه الخزي بشأن الخطايا الجنسيَّة، تَظهَر خطايا المِثليَّة بصورة متكرّرة وأكثر جرأة.

إذًا، ما يرحّب به الكثيرون اليوم باعتباره "تقدُّمًا" هو فعليًّا تراجُعٌ. وتُظهِر لنا القصة الواردة في قضاة ١٩- ٢١ بوضوح خزي الخطايا المثليَّة، وما يحدُث حين يتَّخذ مجتمعٌ ما هذا النهج. كانت الأمّة القديمة بأكملها تنزلق في الفوضى الجنسيَّة؛ وبتلك "الحرية" الجديدة، طالب بعض رجال سبط بنيامين بجرأة أن يمارسوا الجنس (المثلي) مع لاوي توقَّف في جبعة لقضاء الليلة.

وعلى الرغم من أنَّ الإساءة الجنسيَّة تجاه سريّة هذا اللاوي أدَّت إلى وفاتها، لكن يبدو أنَّ ما أثار غضب الأسباط الأخرى أكثر من هذه الإساءة هي رغبات هؤلاء الرجال المُخزية. فقد أصيبت الأمة بصدمة؛ وبدا هذا مطابقًا تقريبًا لخطايا أهل سدوم في حق ضيفَي لوط! ولذا، كانت رسالتهم الموحَّدة لسبط بنيامين التالية: "مَا هَذَا ٱلشَّرُّ ٱلَّذِي صَارَ فِيكُمْ؟ فَٱلْآنَ سَلِّمُوا ٱلْقَوْمَ بَنِي بَلِيَّعَالَ ٱلَّذِينَ فِي جِبْعَةَ لِكَيْ نَقْتُلَهُمْ وَنَنْزِعَ ٱلشَّرَّ مِنْ إِسْرَائِيلَ" (قضاة ٢٠: ١٢ و١٣).

عندما نقول إنَّ الخطايا الجنسيَّة مخزية أكثر من السرقة أو الكذب، وإنَّ بعض الخطايا الجنسيَّة (مثل المثليَّة والاعتداء الجنسيّ على الأطفال) مخزية أكثر من خطايا جنسيَّة أخرى، فلسنا نقصد بهذا أنَّ هذه الخطايا أثيمة بدرجةٍ

٣ كما اقتبسها كارلسون (ص. ٩)

أكبر. إنّما نُقِرّ ببساطة بوجود تدرُّج في مستوى الخطايا الجنسيَّة، وفي الخزي الناتج عنها.

٤. إذ تُعَد المثليَّة انحرافًا في الميول الجنسيَّة، تسهل إساءة معاملة المثليين

يعكس هذا مشكلة بشريّة عامة. يقول الكتاب المقدَّس إنَّنا خطاة جميعًا، من دون استثناء. ومع ذلك، نقسّم الخطايا إلى فئات، وننظُر بتعالٍ إلى مَن تُعدّ خطاياهم "أسوأ" من خطايانا. هذه العقليّة تجعلنا متغطرسين، ومتسرِّعين في إصدار الأحكام، وقساة، ومنتقدين، ومزدرين، ومؤذين على نحوٍ مخزٍ (تأمَّل في قصة المرأة الزانية والمشتكين عليها الواردة في يوحنا ٨).

في قصَّة المثليين في جبعة، نرى ردود الأفعال القاسية التي أبداها بنو إسرائيل تجاههم. ومع أنَّ خطيَّة هؤلاء الرجال كانت عظيمة، وكانت حقًا تستدعي العقوبة، إلا أنَّ المآسي التي تلت ذلك تُثبِت أنَّ الله لم يكن راضيًا عن توجُّه الأسباط الأحد عشر الأخرى. ففي حموٍّ سخط بني إسرائيل، لم يكتفوا بالتخطيط لتقديم المتعدِّين إلى العدالة، بل أقسموا أيضًا ألّا يزوّجوا بناتهم لرجل بنيامين. ما أسهل إصدار أحكام قاسية حين تكون أمامنا خطايا تبدو أسوأ من خطايانا!

وحين سأل الشعب الله هل يخرجون لمحاربة سبط بنيامين، أجابهم الله بنعم. لكنَّه لم يعطهم نصرة، بل سمح أن يقتل بنو بنيامين منهم اثني وعشرين ألف رجل. وفي اليوم التالي، أجابهم الله أيضًا بنعم، فخسروا أيضًا ثمانية عشر ألف رجل. ثم في اليوم الثالث، أعطى الله الانتصار لبني إسرائيل، وقُتل كلّ سبط بنيامين ما عدا ستمئة رجل.

لماذا هذه الخسائر الفادحة؟ نستنتج من هذا أنَّه مع أنَّ بني إسرائيل كانوا محقِّين في إدانتهم لما فعله رجال جبعة، إلّا أنَّهم استحقوا أيضًا الدينونة نفسها التي كانوا متلهفين على إلحاقها بهم. فإنَّ الخطيَّة خاطئة، مهما كانت. وقبل أن

نواجه خطيَّة شخصٍ آخر، لا بدَّ أن نكون مستعدِّين لنَحكُم على حياتنا الشخصيَّة بالمقاييس نفسها. ففي خضم سخطنا من خطايا آخرين، قد نصدر بهذا الحكمَ نفسه على أنفسنا، لأنَّه كما ندين الآخرين لا بدَّ أن نُدان. أو كما قال يعقوب: "لِأَنَّ ٱلْحُكْمَ هُوَ بِلَا رَحْمَةٍ لِمَنْ لَمْ يَعْمَلْ رَحْمَةً" (يعقوب ٢: ١٣).

وهكذا، حين نتكلّم عن خطيَّة السلوك المثليّ، لا بدَّ أن نحذر من أن نقع نحن أنفسنا في بعض الخطايا المحتمَلة. علينا ألا نطبِّق معايير مزدوجة. فالخطايا الجنسيَّة مع الجنس الآخر ليست أقلّ إثمًا من خطايا المثليَّة الجنسيَّة. علاوة على ذلك، حين نشير إلى خطيَّةٍ ما، يجب ألّا نقسو على الأشخاص المتورِّطين فيها، أو نتسرَّع في إصدار الأحكام عليهم. فأمام الله، نحن جميعًا بحاجةٍ إلى الرحمة والغفران. وحين ننظر إلى خطايا الآخرين، يجب ألّا نفعل هذا باستعلاءٍ. فإنَّنا جميعًا لدينا الميل ذاته إلى فعل الشر.

٥. حين تُضفَى شرعيَّةٌ على الخطايا الجنسيَّة، يُطالِب بها البشر في النهاية وكأنَّها حقٌّ

صمَّم الله ممارسة الجنس كي تكون وسيلة تعبير عن المحبة بين زوج وزوجة في علاقة زواج تدوم مدى الحياة. لكن حين تحصل الرغبات الجنسيَّة على الحرِّية لخرق قوانين الله، تصير وسيلة تعبير عن الأنانيَّة. وفي مجتمع يحمي الخطايا الجنسيَّة، سواء مع الجنس نفسه أو الجنس الآخر، سيلجأ مرتكبوها إلى العنف كي يطالبوا بامتيازاتهم الجنسيَّة.

ولهذا طالب رجال جبعة بممارسة الجنس مع اللاوي. وعندما لم يتمكنوا من وضع أيديهم عليه، اغتصبوا سريّته حتى ماتت. فالميل إلى اللجوء إلى العنف لأجل ممارسة الجنس، والمطالبة بممارسته أمرٌ شائع للغاية في المجتمع الغربي، ولا سيّما بين المثليين. فكثيرًا ما تتحوَّل مسيرات المثليين بسهولة إلى مسيرات عنيفة، ولا سيّما إذا تجرّأ أحدٌ على طرح رأي مخالف.

كنت شاهد عيان على هذا قبل بضع سنوات في مدينة نيويورك. فقد ذهبتُ مع مجموعةٍ من المؤمنين إلى منتزَه واشنطن لتوزيع منشورات مسيحيَّة، والتحدُّث مع الناس عن يسوع. لم نكن نعلم أنَّه تمَّ تنظيم مسيرة للمثليين في ذلك اليوم نفسه وفي المنتزه نفسه. وإذ كنّا نجهل موضوع المسيرة أو مطالب الحشود، تركنا تلك المنطقة، وانتقلنا إلى الجهة الأخرى من المنتزَه، وبدأنا بممارسة عملنا. وفي خلال وقت قصير، بدأ بعضُ الرجال المشاركين في هذه المسيرة بالالتفاف حول مجموعتنا، حاملين لافتات اعتراضيّة مكتوب عليها: "الله مِثليٌّ"، وغيرها من العبارات. وحين وصلت الشرطة، نصحونا بمغادرة المنتزه، قائلين: "لن نتمكن من أن نضمن سلامتكم."

بعض الحقائق عن المثليَّة الجنسيَّة

بما أنَّ هذا الموضوع مثيرٌ للجدل بشكلٍ كبير، وبما أنَّ كلا الطرفين (أو الأطراف الكثيرة) يتمسَّك بمعتقداته بشدّة، فإنَّنا نواجه صعوبة هنا في التمييز بين الحقيقة والخيال، وبين الحق الموضوعي والتحيُّزات الشخصيَّة.

لسنوات طويلة، كانت الفكرة الشائعة (بناءً على دراسة مُعيبة أجراها "خبراء") أنَّ عشرة في المئة من عدد السكان مثليُّون. وعلى الرغم من البراهين التي تناقض ذلك، ظلَّ كثيرون يستشهدون بهذه الإحصائيّة لوقت طويل حتى بعد أن تبيّن أنّها غير دقيقة. وتوصَّلت الأبحاث التي أُجريت في أوائل التسعينيّات من القرن العشرين إلى استنتاج بأنَّ ثلاثة إلى أربعة في المئة فقط من الرجال، وفقط واحدًا إلى اثنين في المئة من النساء مثليُّون.[٤] وبدمج هذه الأرقام معًا، نجد أنَّ اثنين في المئة فقط من عدد السكان مثليُّون.

4 Myers, David, *Psychology* (Worth Publishers, New York, 2001), p. 455.

لكنَّ هذا المقال النفسي ذاته قلَّل من أهميّة البيئة كعاملٍ يساهم في نشأة الميول الجنسيّة المثليَّة. يقول كاتبه: "إنَّ خلاصة نصف قرن من النظريات والبحث هي كالتالي: إن كانت هناك عوامل بيئيّة تؤثِّر في الميول الجنسيَّة، فإنَّنا نجهلها."[٥] ولكن في الصفحة نفسها يقول الكاتب إنَّ تسعة من أصل عشرة أولاد نشؤوا في عائلة من زوج سحاقيات، كبروا ومالوا إلى الجنس الآخر (هو يعتبر هذا بالتأكيد شيئًا إيجابيًا). لكن بهذا المعدَّل، صار طفل واحد من بين هؤلاء الأطفال العشرة مثليًا، وهذا معدل يزيد عن المعدل الطبيعي القومي، الذي هو واحد إلى اثنين في المئة، بنسبة ٥٠٠ إلى ١٠٠٠ في المئة. ومع ذلك، أكمل الكاتب حديثه في سذاجة قائلاً: "تفترض الدراسات إذًا أنَّ النشأة في عائلة من سحاقيات أو مثليين لا تؤثر بشكلٍ ملحوظ على الميل الجنسيّ لدى الأولاد."[٦] فإن كانت نسبة واحد من عشرة بالمقارنة بنسبة واحد أو اثنين من مئة ليست زيادة ملحوظة، فقد نتساءل هنا ما هي الزيادة التي يجب أن نشهدها حتّى يعتبرها علماء النفس عاملاً بيئيًّا ملحوظًا!

لنتأمّل الآن في بعض الحقائق:

١. إنَّ حوالى اثنين في المئة فقط من عدد السكان البالغين مثليّون.
٢. السلوك المثليّ لا يعني دائمًا ميلاً مثليًّا.
٣. يصف الكتاب المقدَّس السلوك المثليّ بأنَّه خطيَّة.
٤. يصف الكتاب المقدَّس المثليَّة الجنسيَّة بأنَّها مشكلة تنموية تزداد في بعض الظروف الثقافيّة.
٥. إنَّ التورط المتعمَّد في الممارسات المثليَّة هو الذي يشكّل خطيَّة، وليس التوجه الخاطئ نفسه.

---

5 Myers, p. 457.

6 Myers, p. 457.

٦. إنَّ تغييرَ الميول المثليَّة الخاطئة ممكنٌ.
٧. إنَّ تغييرَ الميول عمليّةٌ تتطلّب وقتًا.

يَذكُر ويليام كونسيغليو في كتابه بعنوان "Homosexual No More" (لا مزيد من المثليَّة الجنسيَّة) حقيقةً إضافيَّة عن المثليَّة الجنسيَّة (في قائمة من عشر حقائق) يجدُر بنا أن نتناولها هنا. فهو يقول: "لا توجد صلة تُذكَر بين المثليَّة الجنسيَّة وممارسة الجنس".[٧] فإنَّ الأمر يتعلَّق أكثر بأشواق لم تُسدّ في علاقات سابقة. ثم يقتبس من د. إليزابيث موبرلي التي قالت إنَّ "الحاجة إلى تعويض نقائص سابقة في العلاقة بين الوالد وابنه، هي التي تدفع المرء إلى المَيل إلى المثليَّة الجنسيّة. هذه الحاجة الملحَّة إلى الحصول على الحب من الجنس نفسه نابعة من احتياجٍ قديم لم يُسدّ وهو الاحتياج إلى محبّة الوالد الذي هو من الجنس نفسه، أو من عدم القدرة على استقبال هذه المحبّة، سواء قُدِّمت أم لا."[٨] نلاحظ إذًا أنَّ السبب لا يعود دائمًا إلى غياب المحبّة من جانب الوالد، بل ربما أيضًا، لأسباب مختلفة، يعجز الابن عن (أو يواجه صعوبة في) استقبال تلك المحبّة.

بعض المساعدة لمن يصارعون مع رغبات مثليّة

قبل أن أُقدِّم المساعدة، أود أن أُدلي ببعض الملاحظات. تختلف كلُّ حالةٍ عن الأخرى؛ ومع أنَّنا نستطيع تناول المبادئ التي يمكن تطبيقها بوجهٍ عام، لكن كلّ شخص يعاني مشكلات فرديّة تستدعي إدراكًا حكيمًا وحذرًا. علاوةً على ذلك، الميول المثليّة هي أمرٌ شخصيٌّ بدرجةٍ كبيرة، وتستدعي مواجهتُه شجاعةً. كما أنَّ تمكين الآخرين من مواجهته يستدعي محبةً وتفهُّمًا. أحيانًا يشعر

7 Consiglio, William, *Homosexual No More.* (Victor Books, Wheaton, Illinois, 1991), p. 37.

8 Consiglio, p. 38

المؤمنون الذين يصارعون مع انجذابٍ إلى الجنس نفسه بالخزي الشديد بسبب هذا الانجذاب، حتى إنَّهم قد يصارعون معه بمفردهم لسنوات قبل أن يتمكنوا من استئمان شخصٍ آخر على سرِّهم. كما يواجه الأشخاص الذين يرجعون إلى المسيح بعد سنوات من الممارسات المثليَّة صراعات مماثلة. وقد تعرَّض بعض الذين حاولوا مواجهة هذه المشكلات لأذى أكبر بسبب سلوكيات، ونصائح، وجهود غير موفَّقة من مؤمنين آخرين.

إنَّنا نؤمن بإمكانيَّة تغيُّر المثليّين وكذلك يمكننا الإقرار بأنَّ السلوك المثليّ خطيَّة، والتعامل مع الخطاة برأفة. ونؤمن أيضًا بأنَّ هناك مَن يصارعون مع رغبات مثليّة، من دون أن يستسلموا لها، وهم مؤمنون ملتزمون.

لنتَّجه الآن إلى بعض الإرشادات:

١. ينبغي لمَن لديه رغبات مثليَّة أن يحسبها وسيلة تعبير خاطئة عن هويّته الجنسيَّة

هذه مسألة وجهة نظر بشأن هذه الرغبات، وليست مسألة تجريم لها أو دعوة إلى احتقار الذات والحطِّ من قدرها. يعني هذا ببساطة أنّه ينبغي لنا أن نتَّفق مع الله على أنَّ المثليَّة شيءٌ "مخالف للطبيعة" (رومية ١: ٢٦). ومع أنَّ الرغبات المثليَّة قد تبدو وكأنَّها "طبيعتُنا"، لكن لا بدّ أن نراها على أنَّها "ما أصبحنا عليه"، وليس ما "خُلقنا عليه". بمعنى آخر، ينشأ التوجه المثليّ نتيجة تكوين خاطئ، وليس نتيجة جينات وراثيّة.

هذه هي وجهة النظر نفسها التي لا بدّ أن يتبناها أي شخص يصارع مع أية رغبات جنسيَّة أخرى مخالفة لقصد الله. فإذا شعر رجلٌ ما بانجذاب جنسيّ نحو أطفال، لا بدّ أن يحسب هذا وسيلةَ تعبيرٍ خاطئة عن ميوله الجنسيَّة، وليس شيئًا مشروعًا أو طبيعيًّا، فقط لأنَّه يشعر به. وهكذا أيضًا، إن كان رجلٌ ما لديه ولعٌ جنسيّ تجاه نوعٍ معيَّن من ملابس النساء، أو إن كان يشعر بانجذاب جنسيّ

شديد إلى سيِّدة معيَّنة غير زوجته، فلا بدّ أن يحسب أنَّ تلك الرغبات تدفعه إلى التعبير بطريقةٍ خاطئة عن ميوله الجنسيَّة، وأنَّها ليست رغبات مشروعة.

٢. ينبغي لمَن لديه رغبات مثليَّة أن يكون مستعدًا لمواجهة المشكلات التي ساهمت في ظهور تلك الرغبات

هذا هو، على الأرجح، أكثر الخطوات إيلامًا وصعوبة في عمليَّة التغيير. فالنظر إلى الماضي، يهدف إلى مواجهة المشكلات كما هي، وليس إلى إلقاء اللوم على الآخرين، حتى إن كانوا قد أخطأوا بالفعل.

إنَّ العوامل الثلاثة الأشهر التي تساهم في ظهور رغبات تجاه الجنس نفسه هي: (١) المفاهيم عن النفس، (٢) العلاقة بالوالدَين، (٣) العلاقات بالأقران. وبوجهٍ عام، هذا هو أيضًا ترتيب العوامل الثلاثة من حيث الأهميَّة، على الرغم من اختلافه من شخصٍ إلى الآخر.

ودائمًا يرتبط الانجذاب إلى الجنس نفسه بأفكارٍ غير صحيحة أو مشوَّهة عن النفس. ويصف كثيرون هذا بأنَّه مشكلة "صغر نفس". ومع أنَّ هذا ليس رأيًا خاطئًا تمامًا، لكنَّه قد يكون أيضًا مضلِّلاً، إذ يُروِّج لفكرة أنَّه يجب أن نُقدِّر أنفسنا، ويجب أن يساهم الآخرون (ولا سيّما الوالدان، والمعلِّمون، والواعظون) في تعزيز نظرتنا الجيِّدة عن أنفسنا، وإلّا أخفقوا في أداء أدوارهم. ولطالما تمّ ربط مشكلات لا تُحصَى بهذه النظريّة.

لكنَّ الفهم الأفضل لهذا هو أنَّ خزيًا ضارًا وموهنًا يصيب الأطفال أحيانًا. وهناك نوعٌ جيّدٌ من الخزي يهاجمنا حين نرتكب فعلاً غبيًا أو خطيَّةً. لا يلازمنا هذا الخزي الجيِّد بشكلٍ دائم، لكنَّه يقف على أهبة الاستعداد كي يخزينا ويُخجلنا حين نرتكب خطأً فادحًا أو نفعل شيئًا نعلم أنّه كان ينبغي ألّا نفعله. هذا الخزي الصحي يُبقينا يقظين طوال الوقت حتى نتجنَّب فعل الخطأ، كما يحفِّزنا على تصحيح أخطائنا، وتقديم الاعتذار المناسب، ومحاولة تعويض الضرر

قدر المستطاع. وحين يقودنا هذا الخزي الصحي، سنتمكن من استعادة موقفنا الجيِّد في ضمائرنا، وفي أذهان الآخرين.

لكن من ناحية أخرى، يتعلّق الخزي الضار بهويتنا، وليس بشيءٍ ارتكبناه. وهو يلازمنا بشكلٍ دائم، وليس فقط حين نخطئ. وبدلاً من أن يقف على أهبة الاستعداد كي يتدخَّل في الوقت المناسب، محفزًا إيّانا على تصحيح الوضع، يركُلنا بصفة مستمرة، مثبِّطًا السلوك والتفاعل الصحيّين، فنعيش في رهبةٍ مستمرة من أن نُكتَشَف، وفي خزي مستمر، بل وأحيانًا في خوفٍ شديد من الرفض.

ولدى بعض الأطفال، لا تقف المسألة عند حدّ الخزي الشخصيّ، بل قد تشمل أيضًا خزيًا من العائلة، أو من ظروف معيَّنة، أو من أحد الوالدَين أو كليهما.

طبعًا، إنَّ الأطفال الذين يكبرون والشعور بالخزي يلازمهم، لا يصبح جميعهم مثليين. لكن جانبًا رئيسيًا من الهوية الشخصيَّة هو الهوية الجنسيَّة – فالصبي يصنِّف نفسه ضمن الرجال، والفتاة تصنِّف نفسها ضمن النساء. ولكن حين يقترن الخزي الضار من النفس بنموٍّ غير سليم في الهوية الجنسيَّة، حينئذٍ يصبح الطفل في خطر إظهار انجذاب نحو الجنس نفسه.

وعلى الرغم من أنَّ الآباء والأمهات لهم أهمّ تأثير في نقل معلومات عن الهوية الجنسيَّة لأولادهم، لكن تساهم الكثير من العوامل الأخرى أيضًا في ذلك. فإنَّ الأعراف الاجتماعيّة (التي تجعل مِن المرء "رجلًا حقيقيًا" أو "امرأة حقيقيّة" في نظر الناس)، والأشخاص المؤثرين في العائلة الواسعة وفي الكنيسة (مثل العمات، والأعمام، والجدود، والواعظين، والمعلِّمين)، والأنشطة المشتركة بين الجنسين (من هم الأطفال الذين يلعب معهم الأولاد، ونوع الأنشطة التي يشتركون فيها)، بل وحتى ألعاب الأطفال، يمكن أن تساهم في تطوّر نوع الجنس والهوية الجنسيَّة.

في ما يلي بعض الأمثلة عن العوامل السلبيَّة التي تساهم في تطوير الهوية الجنسيَّة:

١) وجود فراغ في علاقة الطفل بالوالد الذي من الجنس نفسه؛ أي الفشل في تأسيس علاقة متينة وجادّة بين الأب وابنه، أو بين الأم وابنتها؛ أو وجود إحراج أو رغبات غير مُشبَعة في وسائل التعبير الجسديَّة عن المشاعر.

٢) خزي شديد بشأن نوع الجنس أو الميل الجنسيّ (بسبب إساءة جنسيَّة أو استغلال جنسي).

٣) مشاعر سلبيّة قوية مرتبطة بالوالد من الجنس الآخر (مثلاً صبي تصدُّه والدتُه المسيطرة).

٤) شعور بالحرج الشديد من الوالد الذي من الجنس نفسه (مثلاً حين يتعرَّض صبي للمضايقات أو الرفض بسبب أبيه).

٥) علاقة غير صحيّة مع الأقران أو الأصدقاء في أثناء نمو نوع الجنس – على سبيل المثال، التعرّض للسخرية والمضايقة بشأن نوع الجنس.

٦) غياب التشجيع المتَّصل بنوع الجنس أو الأسوأ من هذا، انتقاد متَّصل بنوع الجنس (أحد أمثلة التشجيع المتصل بنوع الجنس: "أنت قوي، تمامًا مثل أبيك". وأحد أمثلة الانتقاد المتَّصل بنوع الجنس: "أنت جبان، تمامًا مثل أبيك").

٧) وجود معايير غير واقعيّة (أو غير صحيحة) للسلوك، وُضعت إمّا من قبل نموذج أبويّ سيّئ، وإمّا نبعت من داخل الطفل نفسه. د. جوزيف نيكولوزي، رئيس الجمعيّة الوطنيّة للبحث ولعلاج المثليَّة، يسمِّي هذا باسم "ذات زائفة"، تلك الذات التي تنشأ لدى الطفل حين يكون سلوك قدوته مصطَنَعًا. ثم كتب: "تشكِّل هذه الذات الزائفة جزءًا من ذلك الصبي الصغير الصالح. ويتميّز هؤلاء الصبيان قبل أن يصبحوا

مثليّين بالأدب الشديد، وتحمُّل المسؤوليّة، والنظافة الشخصيَّة، والأناقة، ورقَّة الشعور تجاه الآخرين، ولا سيّما تجاه احتياجات أمهاتهم؛ وهم على وعي جيّد بما يتوقعه الآخرون منهم، ويميلون إلى التنازُل عن احتياجاتهم ورغباتهم الشخصيَّة، في مقابل إسعاد الاخرين. ولهذا السبب حين يصيرون رجالاً، يسيئون السلوك فيصيرون صبيانًا سيِّئي السلوك، والسلوك المثليّ هو أحد أنواع سوء السلوك."[9]

لا تنشئ هذه العوامل في حدِّ ذاتها انجذابًا إلى الجنس نفسه تلقائيًا؛ لكن حين تقترن بمشكلات في تطوُّر الشخصيَّة، أو حين ترتبط في ذهن الطفل بالهوية الجنسيَّة، يمكن أن تُساهم في ظهور انجذاب إلى الجنس نفسه.

فتتبُّع تكوُّن مفاهيم المرء عن نفسه، وتكوُّن هويّته الجنسيَّة ليس دائمًا بالأمر السهل. من الصعب التحلِّي بالموضوعيّة؛ ولهذا إنَّ وجودَ مرشدٍ ناضجٍ ومُحبٍّ كي يوجِّه الشخص خلال هذه العمليَّة أمرٌ أساسيّ.

٣. ينبغي لمَن يرغب في ترك المثليَّة أن يتخلَّى عن ردود أفعاله الخاطئة تجاه نشأته وأن يتبع طرق الله

يَشهَد المتعافون من المثليَّة الجنسيَّة باستمرار بأنَّهم استطاعوا التعرُّف على مشكلات في حياتهم من قبيل الغضب، والتمرُّد، والمرارة، والبغضة، والخزي، والألم الشديد، والأشواق غير المُشبَعة. وكانوا يدركون دائمًا كيف كانت ردود أفعالهم تجاه والديهم، أو أقرانهم، أو تجاه سوء المعاملة، أو الرفض، خاطئة. فقد بنوا أسوارًا، وقسَّوا قلوبهم، واتَّخذوا قرارات داخليَّة، وطلبوا التقدير بطرقٍ خاطئة. وعندما اكتشفوا هذه المشكلات الضمنيَّة أدركوا أنَّ انجذابهم المثليّ لم يكن أمرًا جنسيًا، إذ كانوا يبحثون عن أمورٍ من قبيل الشعور بالأهميّة، والقبول، والحب، بطرقٍ خاطئة.

9 Nicolosi, Joseph, *Reparative Therapy of Male Homosexuality,* pp. 237-264, as quoted by Carlson, p. 21.

يستدعي هذا توبةً، أي المجيء إلى الله بحزنٍ وأسفٍ على الخيارات السيّئة السابقة، وعلى سلوك منعطفات خاطئة في الحياة؛ ثم الرجوع إلى طرق الله. ويتطلَّب التعافي من المثليَّة الجنسيّة أمورًا من قبيل الغفران للآخرين، واكتساب مفهومٍ صحيحٍ للهوية (متأصلٍ في الانتماء إلى الله)، والتمييز بين الخزي الصحي من ارتكاب الخطيَّة، والخزي الضار من النفس، وتعلُّم كيفيَّة تقديم المحبة للآخرين، وكيفيَّة الوثوق بهم بشكلٍ صحيّ وسليم.

ينبغي ألّا نندهش من فكرة أنَّ التعافي من المثليَّة هو عمليَّة، بما أنَّ التحوُّل إلى المثليَّة هو أيضًا عمليَّة (وليس مجرد قرار). يجب ألّا ننصح أحدًا فقط بأن "يختار أن يكون مختلفًا"، وكأنَّ هذا في حدِّ ذاته كافٍ. لا أحد يتغيَّر من دون اتّخاذ قراراتٍ صحيحة، لكنَّ اتخاذ قرارٍ فقط ليس كافيًا.

تتضمَّن هذه العمليَّة على الأقل الخطوات التالية:

١) تبنِّي نظرة صحيحة عن المثليَّة الجنسيَّة: إنّها خطيَّةٌ، وهي ناتجة عن نشأة غير سليمة؛ وبالتالي يمكن تغييرها.

٢) تحديد العوامل الخاصة التي ساهمت في تكوُّن ميول المرء الجنسيَّة الخاطئة.

٣) إعادة صياغة وعي المرء بهويّته كابنٍ لله، وبهويّته الجنسيَّة بحسب قصد الله لنوع جنسه.

٤) تعلُّم إبداء ردود أفعال صالحة تجاه الأشخاص أو الظروف التي ساهمت في هذا التكوُّن الخاطئ.

يحدُث التغيير في الإطار الملائم. يشهد مايك هايلي، الذي مارس السلوك المثليّ منذ سنّ المراهقة إلى أن صار بالغًا، عن تأثير صديقٍ له لم يفقد الأمل فيه قط. ويروي أنَّ رحلته بدأت بالتزام ذلك الصديق الأمين من نحوه، الذي قاده إلى علاقةٍ شخصيَّة مع يسوع، فاستطاع أن يختبر تعافيًا تامًا داخل إطار

كنيسة مُحِبَّة وصحيَّة. واليوم، كرَّس مايك حياته لخدمة المثليين الذين يسعون إلى الإصلاح.[١٠]

بما أنَّ التعافي من المثليَّة هو رحلة روحيّة، فلا بدّ إذًا أن يشمل الكنيسة. ويا لسذاجة المؤمنين الذين يظنّون أنَّه إذا نال أحدُهم "الخلاص" لن يحتاج بعد إلى مساعدة في حلِّ هذه المشكلات. هناك أمورٌ عدّة مهمّة في كنيسةٍ ترغب في أن تُتلمذ أناسًا كي تقودهم من المثليَّة إلى التعافي.

١) يجب أن يكون المسيح حقًّا محور الكنيسة. إنَّ مطالبة أحدهم باتباع معايير خارجيَّة للمظهر والسلوك لن يكفي لسداد احتياجات قلبه. علينا أن نقود هؤلاء إلى علاقة حقيقيّة وجادة بيسوع.

٢) يجب أن نحبَّ الآخرين ونُظهِر تلك المحبة في صورة علاقات مُراعية وملتزمة تجاههم داخل الكنيسة. لا تجري التلمذة بشكلٍ جيّدٍ في مجموعة مصابة بالبرِّ الذاتي، أو في مجموعة انتقادية، أو سطحيّة، أو متكبِّرة، أو ممتلئة بالنميمة. من ناحية أخرى، تَكمُن القدرة على تقديم المحبّة للخطاة في لُبِّ التقوى، فإنَّه "هَكَذَا أَحَبَّ ٱللهُ ٱلْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ٱبْنَهُ ٱلْوَحِيدَ" (يوحنا ٣: ١٦). وقال يسوع: "بِهَذَا يَعْرِفُ ٱلْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلَامِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ" (يوحنا ١٣: ٣٥). لكن إن كانت تصرّفاتنا تدلّ على عدم القداسة، أو البُغضة، أو تبلُّد الشعور في ما بيننا أو تجاه الخطاة، فلن نتمكن البتة من أن نكون فعَّالين في خدمة المثليين.

٣) يجب أن نمارس حياة القداسة الحقيقيّة، مظهرين نقاوةً اجتماعيّة، وصدقًا، وإنصافًا في الصفقات التجارية، ومحبّةً للقريب، واهتمامًا بالفقراء، وإخلاصًا في الزواج، وإلخ. لا تعني محبّتُنا للخطاة أن نساومَ

---

١٠ جاءت قصة مايك هذه في كتاب كارلسون:

Carlson, pp. 27-30.

في أمر الخطيَّة. فإنَّ الكنيسة التي ترغب في خدمة المثليين لا بدَّ أن تقفَ ضدّ الخطيَّة – ليس خطيَّة المثليَّة الجنسيّة فحسب، بل جميع الخطايا.

٤) يجب أن نُكوِّن علاقات حقيقيَّة وجادّة. لا بدّ أن يكون الجوّ آمنًا، يسمح للمثليين بالبوح بحقيقة ما في داخلهم بصدقٍ ويُتيح لجميع الأعضاء أن يتعاملوا بصدقٍ بعضهم مع بعض. فيُصبح الصدق هو نمط الحياة السائد بينهم. والكنيسة التي تتحدَّث دائمًا عن المستوى الذي ينبغي على الأعضاء أن يحققوه، بينما نادرًا ما تسمح لهم بالتكلّم عن المستوى الذي يقفون فيه الآن، هي ببساطة ليست موضعًا آمنًا يمكن للتلمذة المسيحيَّة أن تجري فيه بطرقٍ مُجديَة.

ملخّص

إنَّ المثليَّة الجنسيّة انحرافٌ عن الميول الجنسيَّة الصحيّة. ولأنَّها مشكلة نشأة، إذًا هناك أملٌ في تغييرها. ويُعَدّ التعافي منها عمليَّة مستمرة، نظير نشأتها أيضًا. وهذا التعافي عمليَّة روحيَّة، تتطلَّب معونة من الله لفحص القلب، والرجوع إلى قصد الله الأصلي؛ وتستلزم أيضًا صدقًا. وقد تكون هذه العمليَّة مؤلمة وممتدَّة، وقد تستدعي تدخُّلًا من أصدقاء مُحبِّين ومكترثين. لكنَّ التعافي من المثليَّة ممكنٌ حقًا، وهو جديرٌ بالجهد، كما يشهد آلاف من المثليين المتعافين.

مصادر مفيدة:

Carlson, Jodi, (compiler), *The Truth Comes Out: The Roots and Causes of Male Homosexuality,* (Colorado Springs, 2001, a publication of Focus on the Family).

Carlson, Jodi, *The Heart of the Matter: The Roots and Causes of Female Homosexuality, (Colorado Springs, 1999, a publication of Focus on the Family).*

Consiglio, William, *Homosexual No More. (Victor Books, 1991).*

Haley, Mike, *Straight Answers: Exposing the Myths and Facts About Homosexuality*, (Colorado Springs, 2001, a publication of Focus on the Family).

الملحق (ج)

استعادة النساء طهارتهنَّ

"وَأُعَوِّضُ لَكُمْ عَنِ السِّنِينَ الَّتِي أَكَلَهَا الْجَرَادُ،
الْغَوْغَاءُ وَالطَّيَّارُ وَالْقَمَصُ،
جَيْشِي الْعَظِيمُ الَّذِي أَرْسَلْتُهُ عَلَيْكُمْ.
فَتَأْكُلُونَ أَكْلاً وَتَشْبَعُونَ وَتُسَبِّحُونَ اسْمَ الرَّبِّ إِلهِكُمُ
الَّذِي صَنَعَ مَعَكُمْ عَجَبًا وَلاَ يَخْزَى شَعْبِي إِلَى الأَبَدِ."

يوئيل ٢: ٢٥ و٢٦

بعد أن تعرَّضت ثامار للاغتصاب من قِبل أخيها، مزَّقت الثياب التي عليها، وجعلت رمادًا على رأسها و"كَانَتْ تَذْهَبُ صَارِخَةً". ثم انتهت هذه القصة المأساويّة بتعليقٍ مختصَر يصعُب محوُه من الذاكرة: "فَأَقَامَتْ ثَامَارُ مُسْتَوْحِشَةً فِي بَيْتِ أَبْشَالُومَ أَخِيهَا" (٢صموئيل ١٣: ٢٠). الوَحشة – يا لها من كلمة بشعة ومؤسفة تصف ذلك الخزي والحزن الرهيبَين الناجمَين عن الخطيَّة الجنسيَّة!

ومع أنَّ هذا هو اختبار الكثيرات، لكن ينبغي ألا يكون كذلك. في هذا الملحق، سنستعرِض معًا كيف يمكن للنساء اللواتي اقتُنِصن في خطيَّة جنسيَّة أن يَستعِدن طهارتهنّ.

حين نَسقُط في خطايا جنسيَّة، ذكورًا كنّا أو إناثًا، ينبغي أن نتوب (الفصل الرابع)، ونعيد بناء هويّتنا الأخلاقيَّة (الفصل الخامس). لكن بالنسبة إلى النساء، تستدعي بعض المشكلات الخاصة بعض الإرشادات الإضافيّة:

١. تَعكِس الخطيَّة الجنسيَّة لدى النساء حاجة مستميتة إلى العلاقات.
٢. تدمِّر الخطيَّة الجنسيَّة إحساس المرأة بأنوثتها.

يجب أن تُدرك المرأة التي ترغب في استعادة طهارتها هذين البُعدين، وتتجاوب معهما بحكمة كي تتعافى تمامًا. من جهة البُعد الأول، إن لم تدرك المرأة أنَّ توقها إلى العلاقات هو مصدر المشكلة، قد تحاول، من ناحية، قمع جانب حيويّ منها كامرأة، أو تنفتح في علاقاتها المستقبليّة مع الرجال من دون حكمة، من ناحية أخرى. أمّا من جهة البعد الثاني، فإن لم تستعِد المرأة وعيًا سليمًا بأنوثتها، ربما تسمح لنظرتها "المشوَّهة" عن نفسها بأن تلوِّث دوافعها في كلِّ ما تفعله، وتُضعِف من قدرتها على اتِّخاذ قرارات حكيمة.

لنفحص إذًا هذين البُعدَين بأكثر تفصيل.

التوق إلى العلاقات

حين تُسلِّم امرأةٌ جسدَها لرجلٍ في علاقة غير شرعيّة، لا تكون مدفوعة عادة برغبة جنسيَّة بقدر ما تكون مدفوعة بالرغبة في التمتع بعلاقة. فهي تودّ أن يكون لديها رفيقٌ، رجلٌ يقدِّرها، ويحميها، ويعولها. هذا التوق متأصِّلٌ داخل المرأة.

حين تنشأ الفتاة في عزلة عاطفيّة، ولا سيّما إذا كانت العلاقة منقطعة بينها وبين الذكور المهمّين في العائلة، يتحوَّل توقها إلى رجلٍ يعرفها ويحبّها إلى شغفٍ. وفي معظم الأحيان، ربما لا تكون صريحة مع نفسها بشأن هذا التوق، وفي مرات عديدة ربما لا تعي الكيفيّة التي يحرِّكها بها. لكن إن لم تحظَ هذه الفتاة برجال أقوياء، متداخلين في حياتها على نحوٍ يكفي كي يعرفوها، ويحترموها، ويمدُّوها بالقيادة، لن تَشعُر حينئذٍ بالأمان، ومن ثَمَّ ستُدفَع إلى ملء هذا الفراغ بطرق خاطئة.

هذا هو التوق الخفيّ العميق الذي يجعل المرأة تتجاهل معاييرها الأخلاقيّة، مسلِّمةً جسدها لرجل. فهي تبحث عن إشباع هذا التوق في داخلها. وهذا التوق قويٌّ للغاية لدرجة أنَّ المرأة قد تتجاهل الألم، والخزي، والتوبيخ، والنصيحة حتى تحقّقه.

طبعًا هذه المرأة مخدوعة؛ وهذا الخداع يجعلها تتوقّع أمورًا من الرجل، الذي لا يدري أي شيء عنها. فهو يتلذّذ بالمتعة التي تقدِّمها له، وعادة ما يكون مدفوعًا برغبة جنسيَّة من دون أيَّة نيّة حقيقيّة لبناء علاقة عميقة معها (أو ربما هو يجهل ما يعنيه هذا). فبالنسبة إليه، العلاقة العميقة هي فقط ما يمارسانه معًا. وهنا حتمًا سيحدُث صدامٌ بين توقعاتها وجهله؛ وهذا الصدام سيحطِّمها.

كي تستعيد المرأةُ طهارتها، ينبغي لها أن تبني علاقات صحيّة

في الحقيقة يستحيل أن تتركَ المرأةُ الخطيَّةَ الجنسيَّة إلّا حين تتعامل أولاً مع توقها إلى الانتماء. هذا الأمر لا يكون ممكنًا دائمًا. ففي بعض الأحيان، لا يكون الأب على استعداد للتدخُّل في حياة ابنته على نحوٍ يمدُّها بالشعور بالأمان الذي تحتاج إليه بشدّة. وفي بعض الأحيان، تتكوّن عادات سيِّئة من التواصُل

بينهما، فيكتشفان أنَّ عمليَّة بناء علاقة جادة وقويّة تسير ببطء شديد ومؤلم، فيستسلمان في خيبة أمل.

ينبغي إذًا للمرأة العازمة على استعادة طهارتها أن تَفهَم جيِّدًا هذا التوق الذي بداخلها، وأن تُلزِم نفسها ببناء علاقات سليمة، تشمل علاقتها بالله وبشعبه، وإحدى وسائل تحقيق هذا هو العزم على الأمور التالية:

١. سأبدأ مسيرة شركة مع الله تدوم مدى الحياة. سأبحث عن وسائل أُنمّي بها علاقتي بالله، مثل قراءة كتب توجّهني إليه، وتخصيص وقت أساسيّ للتأمُّل والعبادة، والصلاة، وكتابة أفكار وخواطر، أي تدوين أفكاري عن الله وتسجيل التقدُّم الذي أُحرزه.
٢. سأسعى إلى تأسيس علاقات ذات قيمة مع نساء تقيَّات. سأُنمِّي علاقات بنساء ناضجات روحيًّا، لأتعلّم منهنَّ، وأُلاحظ كيف يتعاملنَ مع مشاعرهنَّ، وأجسادهنَّ، واحتياجاتهنّ غير المُشبَعة.
٣. سأضع توقي إلى رجلٍ بين يدَي الله. سأرفض محاولة بناء علاقة مع رجلٍ بنفسي، ولن أدخل في علاقة إلّا إذا اقتنعت بأنَّها من تدبير الله إذا أكَّد لي هذا من خلال مباركة والديّ و/ أو راعي كنيستي لها.
٤. سوف أُنمّي علاقات صحيَّة مع رموز السلطة من الذكور. سأُحاول بقدر الإمكان أن أبني علاقةً بأبي الأرضيّ. يعني هذا أن أغفر له، وأمحو المرارة التي في قلبي تجاهه، وأبحث عن وسائل أشجِّعه بها، وأطلب رأيه في بعض القرارات وأتكلَّم معه عن مشكلات في حياتي بقدر استعداده لهذا. كما سأبني علاقة براعي كنيستي وزوجته، أو بزوجين آخرين متقدِّمين في العمر ليكونا مشيرَين روحيَّين لي في رحلتي.

بالنسبة إلى امرأةٍ عازمةٍ على استعادة طهارتها، هناك اختلاف شاسع وأساسيّ بين تكوين علاقة برجلٍ في السّر، وتكوين علاقة برجلٍ، تُعدّ عطيّة من

الله، وتحصل على مباركة المرشدين الروحيّين. تحتاج المرأة التي كان خواؤها الداخلي يُحركّها في ما سبق إضافةً إلى رغباتها غير المُشبَعة، إلى أن تنتقل من هذا المكان غير المحصَّن، أي من تأسيس علاقات بذكورٍ من ذاتها، إلى موضعٍ أكثر أمانًا، حيث تؤسس تلك العلاقات عن طريق نصائح حكيمة من مشيرين روحيّين.

وإذ تؤسّس المرأة هذه العلاقات المتينة، تصير في وضعٍ يسمح لها باستعادة طهارتها الأخلاقيَّة، وإعادة بناء هويّتها الأخلاقيَّة. فربما تظلّ تعاني في قلبها احتياجاتٍ غير مُشبَعة، إلّا أنَّها الآن تستطيع أن تقرِّر كيف تسدّ هذه الاحتياجات بحكمة. وقد أصبحت أكثر قدرة على رؤية التجارب على حقيقتها – أنَّها مخططات من إبليس للاحتيال عليها. وهي الآن تقف على أساسٍ أفضل يتيح لها تكوين صداقات، سواء مع نساء أو رجال. كما صارت تملك القوة والشجاعة حتى تثق في إرشاد الرَّب لها من جهة حياتها وعلاقاتها.

بعض التدريبات لإصلاح العلاقات

١. صِفي علاقتَك بأبيكِ.
٢. لو استطعتِ تغيير شيءٍ واحد في هذه العلاقة، ماذا سيكون؟
٣. بحسب رأيكِ، كيف ساهمتِ في المشكلات الموجودة في علاقتك به؟
٤. في ما يلي لائحة تحتوي على طرقٍ عمليَّة يمكن أن تتّبعها الابنة لبناء علاقتها بأبيها. اقرئي هذه القائمة جيّدًا، وضعي علامة على الطرق التي تتبعينها، وعلى تلك التي لا تتبعينها (ملحوظة: إذا كنتِ تحاولين استعادة طهارتك بعد أن تعرّضتِ للاستغلال الجنسيّ من قِبل أبيكِ، فسوف تحتاجين إلى نوعٍ آخر من الإرشاد بشأن استعادة الحدود وليس بشأن إعادة بناء العلاقة. فإنَّك تتعاملين هنا مع اختراق لحدودك وليس مع خواءٍ في العلاقة، وبالتالي ستختلف منهجيّة العلاج).

أ. صلِّي لأجله يوميًّا. وفي بداية كلّ أسبوع، أخبريه بأنّك ستُصلِّين لأجله، واسأليه إن كانت هناك مواضيع معيّنة يريد لكِ أن تُصلّي لأجلها.

ب. اطرحي عليه بعض الأسئلة حول عمله واهتماماته. فإنَّ عمل الرجل وثيق الصلة بهويّته؛ وإنَّ اهتمامكِ بما يعمله يدلّ على اهتمامكِ بشخصه.

ج. امتدحيه على الأشياء التي يُبلي فيها جيّدًا. يستجيب الرجال للإعجاب، ويتّجهون صوب الأشخاص الذين يبدون إعجابهم بهم، وصوب الأماكن التي يحظون فيها بالإعجاب؛ بينما يبتعدون عن الأشخاص الذين ينتقدونهم، وعن الأماكن التي يُنتقَدون فيها.

د. اطلبي نصيحته أو رأيه. فالمواضيع كثيرة: سيارتك، ومنزلك (أو غرفتك)، أو أيَّ شيء تمتلكينه لا يعمل بشكلٍ جيّد؛ وأمورك الماليّة، ووظيفتك، وصداقاتك، ومظهرك، وهواياتك، وأفكارك أو معتقداتك، وصراعاتك، وخططك، وأهدافك، ومخاوفك. لا تسمحي لفكرة "أعرف بالفعل ما سيقوله" أن تمنعك من السؤال. إن كان أبوك في ما مضى سلبيًا وغير متداخلٍ في حياتك، لا تشعري بالإحباط إذا استقبلتِ منه القليل من المشاركة – فالهدف من هذا هو أن تعامليه كرجل، أكثر ممّا هو الحصول على شيء منه. وإن كان أبوك في ما مضى مسيطرًا، وتخشين أن يجرَّكِ هذا الانفتاح إلى شجارٍ معه، اتخذي قرارًا مسبقًا بأن تكتفي بطرحِ أسئلةٍ. خذي آراءَه على محمل الجد - اكتبيها، وصلّي لأجلها، وابحثي عن وسائل لتنفيذها.

هـ. اعتني باحتياجاته واهتماماته. إحدى وسائل الوصول إلى قلب الرجل هي إرضاؤه بطريقةٍ ملموسة. مرة أخرى، الأمثلة كثيرة. بإمكانك أن تعدِّي له طعامه المفضَّل، أو أن تخبزي له كعكاته المفضَّلة. نظِّفي سيارته، أو شاحنته، أو غرفته الخاصة، أو متجره، أو مكتبه، وإلخ (طبعًا من دون التخلُّص من شيء أو إتلاف شيء). نظِّمي له جدول مواعيده.

فهذه وسائل بسيطة تعبِّرين بها عن أهميّته بالنسبة إليك. فمع جميع هذه الاقتراحات، ضعي في اعتبارك جيّدًا أنَّ الهدف هو أن تبدئي ببناء علاقة مع أبيكِ، لا أن تغيِّريه. وعليك أيضًا ألّا تصرِّي بشدّة على الحصول منه على ما تريدين - فإن تعمَّقت علاقتكما، يكون هذا رائعًا، لكن إن لم يحدث هذا، فلا بدّ أن تتقبلي الأمر، وتظلّي على استعداد لأن تُكرميه بقدر الإمكان.

٥. قيِّمي القائمة السابقة من الوسائل التي يمكنكِ أن تكرمي بها أباك. أيٌّ منها تجدينها أكثر صعوبة؟ وهل يمكنكِ أن تفسِّري بوضوح سبب صعوبتها؟

٦. اقرئي القسم الذي يتحدَّث عن الخواء في الملحق (أ). إن كانت الأنشطة الواردة في ختام هذا القسم تنطبق عليكِ، قومي بإكمالها.

٧. اكتبي القرارات الأربعة التي اتّخذتِها بشأن العلاقات.

٨. ضعي قائمة بالسيِّدات المؤثِّرات في حياتكِ (أو اللواتي يمكن أن يؤثّرنَ فيكِ)، واللواتي يمكنهنَّ إرشادك.

٩. ضعي قائمة بصديقاتكِ اللواتي لا يساعدنك جيِّدًا في سعيك نحو حياة الطهارة.

١٠. اذكري اسم راعي كنيستكِ وزوجته أو الزوجَين المتقدِّمَين في العمر اللذين يمكنهما أن يساعداك ويتلمذاك حتّى تنفّذي قرارك باستعادة طهارتك.

١١. ناقشي هذه القرارات، واحدًا بعد الآخر، مع صديقة، أو مرشدة، أو راعي كنيسة تقيّ. وعندما تصبحين مستعدّة، ضعي كلَّ قرارٍ في صلاتكِ إلى الله، واذكري أيّة نصائح أو أفكار قد تساعدك على الالتزام بتلك القرارات.

١٢. رتِّبي لقاءات دوريّة مع صديقتك أو مرشدتك الروحيّة لمناقشة التقدُّم الذي تحرزينه.

كي تستعيد المرأةُ طهارتَها، لا بد أن تسترجعَ شعورَها بأنوثتها

أولئك الذين ينغمسون في الخطيَّة الجنسيَّة، رجالًا كانوا أم نساء، يقعون فريسةً لمخططاتِ مُدمِّر الأرواح. فإبليس دائمًا يأخذ من المرء أكثر ممّا يُعطيه، لدرجة أنَّ الخسائر تقضي كليًّا على الإثارة التي يختبرها المرء في المتعة الجنسيَّة.

ومن أكبر الخسائر بالنسبة إلى المرأة هي فقدان إحساسها بأنوثتها. عيَّن الله أن تكون المرأة جميلة؛ وهذه حقيقة جوهرية متأصّلة في كيانها، تمتد من منحنيات جسدها، إلى أناقة وقفتها ومشيتها، وحتى خِفَّة روحها. وترغب المرأة في أن تكون جميلة – فإنَّ هذه هي ورقتها الرابحة في العلاقات. فهي تريد أن تكون جذّابة، وأحد أكبر مخاوفها هو أن تصبح عادية، وقبيحة، وغير جذّابة.

فإنَّ رغبة الرجال فيها هو تأكيدٌ على أنوثتها. وهذه الرغبة تملؤها بالسرور والثقة. كما ذكرنا سابقًا، ترتبط ممارسة الجنس لدى النساء بالعلاقات. فإن كانت ممارسة الجنس (أو السماح بممارسته) هي السبيل إلى تكوين علاقة، فإنَّها حينئذٍ تتوقَّع تحقيق وعدٍ بشبعٍ عميقٍ لروحها. وترفع قوة العلاقة الجنسيَّة من سقف توقّعاتها.

لكن حين يخفت الشغف، ويقتحم الواقعُ المشهدَ مُظهِرًا أنَّ العلاقة العميقة لم تكن جزءًا من الصفقة، يكون إحباط المرأة مدمِّرًا. فينتهي بها الحال خالية الوفاض وخالية القلب؛ وإلى جانب عدم حصولها على ما أرادته حقًا، صارت ورقتها الرابحة ورقة محروقة وذابلة.

فقد صارت سلعة مستعمَلة، وافتُرِس جمالها وأُهدِر. ولا توجد كلمات تكفي لوصف شعورها العميق بخسارة أنوثتها. هذا هو الشعور ذاته الذي دفع ثامار إلى النحيب والانعزال، مع أنَّ جمالَها سُلِبَ رغمًا عنها. أمّا المرأة التي تسلِّم جمالها عن طواعية، كي يُستعمَل ثم يُنبَذ، فهذه يكون شعورها بالألم والخسارة أعمق بكثير.

فالشعور العميق الذي يلازم هذه المرأة هو أنَّها صارت بلا قيمة، ولن يرغب فيها أيُّ رجل حقيقيّ بعد اليوم.

يستطيع هذا الشعور الغريزي العميق، إن لم تمسّه النعمة، أن يغزو قلب المرأة ملوِّثًا بالخزي كافة خياراتها.

فشكرًا للرَّب على النعمة.

تعطي نعمةُ الله رجاءً. "وَلكِنْ حَيْثُ كَثُرَتِ الْخَطِيَّةُ ازْدَادَتِ النِّعْمَةُ جِدًّا" (رومية ٥: ٢٠). نعم يستحيل محو الماضي وكأنَّه لم يكن. فبعد ممارسة الجنس، لن يستعيد الرجل أو المرأة عذريتهما ثانية. لكن حين تُطهَّر الخطايا بدم يسوع، يمكن استعادة الطهارة، والإحساس بالأنوثة من جديد. هذا هو الرجاء الذي أتى به يسوع، وهو الرجاء الذي اختبرته مريم المجدلية، والمرأة الخاطئة التي غسلت قدمَيه بدموعها (لوقا ٧: ٣٧)، والمرأة التي أُمسِكت وهي تزني (يوحنا ٨: ١-١١).

للطهارة جمالٌ – وهو جمال قلبٍ لم يُلوَّث أو يتَّسخ قبلًا قط. لكن أيضًا لاجتياز التطهير جمالٌ – وهو جمال قلبٍ افتدته النعمة.

في التطويبات، طوَّب يسوع "أنقياء القلب" (متّى ٥: ٨). الكلمة التي استخدمها يسوع "أنقياء"، لا تُشير إلى نقاوة أناس لم يُلوَّثوا قبلًا قط، بل أناسٍ تنقُّوا، أي أنقياء "تطهَّروا". طوبى لمن تنقُّوا في قلوبهم! **هؤلاء هم الذين** يُعَايِنُونَ ٱللهَ.

هذه هي البركة التي تحتاج امرأةٌ تورَّطت في خطيَّة جنسيَّة إلى اختبارها. فهي تستطيع أن تكتسب جمال الفداء، وجمال جسد وروح استصلَحتهما النعمة، وأُعيد تكريسهما لخدمة الخالق.

إنَّ جمالَ المرأة مِلكِيّةٌ لا تُقدَّر بثمن. وليس جمال الوجه، والشعر، والعينَين، والهيئة سوى سمات منظورة لجمال أعمق بكثير بل وأشدّ تأثيرًا. فإنَّ جمال المرأة الأعظم هو جمال روحها - وداخل هذه الصورة "الروحيّة"، يصعُب وصف هذا الجمال أو قياسه. فهو يتضمَّن قوّة مشاعرها – من فرحٍ أو حزن، وهي مشاعر واسعة النطاق وعميقة، تمتدّ من ضحكتها التي تؤثّر فيمَن حولها إلى دموعها التي تنهمر من شدّة الألم. ويتضمّن أيضًا حيويّة ورشاقة تصرّفاتها–أي ردود أفعالها تجاه الأشخاص والمواقف، وعمق مشاعرها وعظمتها، وتقديرها لكلِّ ما هو جيِّد ومحبَّب.

ففي حضور امرأةٍ جميلةٍ بحقّ، قد يشعر رجلٌ بأنَّه أخرق وساذج. المرأة الحقيقيّة راقيةٌ.

لكن تلك المرأة التي سلَّمت قلبها وجسدها لرجلٍ بطريقة غير شرعيّة لا تعود ترى بعد نفسها جميلة بحقّ. ربما تدرك أنَّها جذابة، لكنَّها تشعر في نفسها أنَّ ثمنها بخس. وإذا استمرَّت في ارتكاب الخطيَّة الجنسيَّة، ستحتقر في النهاية شعرها، ووجهها، وهيئتها إن كانت تلك الأمور السطحيّة هي التي تجذب الرجل (أو الرجال) الذي "يحبها"، وليس شخصها. وحين تخرج من تلك العلاقة، تصير أكثر عرضة ليس فقط لأن ترى أنَّ ثمنها بخس، بل أيضًا لأن تسلِّم نفسها بثمنٍ رخيص مرّة أخرى في علاقات مستقبليّة.

لنتأمل معًا الآن في النعمة:

إنَّ المرأة التي افتُديت من الخطيَّة قد "اشتُريَت" بدم يسوع الذي لا يقدَّر بثمن، وبهذه الصفقة، أصبحت ابنة لله. وبغض النظر عن سجل أعمالها الأرضي،

وعدم استحقاقها، وعدم نضوجها، هي الآن ابنةٌ لله بالنعمة. وهي واقفة في الصف منتظرة أن تشترك في مجده، وأن تُدخَل ببهجة غامرة إلى محضره الأبديّ، وأن تعيش في البهاء الملوكي والفخم لأسمى وأنبل شخصيَّة في الزمان وفي الأبدية - ملك الملوك ورب الأرباب.

وإنَّ الرَّب يَقبَلها قبولاً تامًّا، في سرورٍ واحتفالٍ عظيم. ولا يتردّد البتة في أن يصيِّرها ابنةً له، بل يفعل ذلك بسرورٍ صادقٍ. فهي له لأنَّه صار لها. فهنا نُقِرّ تمامًا بأنَّها **غير مستحقَّة**، لكنَّنا أيضًا نُعلِن **حقيقةً**. فهي ليست احتماليّة غامضة بل حقيقة أكيدة، أعلنها الكتاب المقدَّس. هي الآن ابنته!

إذا كنتِ امرأة، وقد سلَّمتِ جسدَك لرجل في علاقة جنسيَّة غير شرعيَّة؛ وإذا فعلتِ ذلك مرة أو مرتين أو عدد لا حصرَ له من المرات، ما زال بإمكان جسدكِ أن يُستصلَح بالنعمة. كتب بولس رسالة مؤثرة إلى كنيسة كورنثوس – الذين كانوا مجموعة مكوَّنة من فاسقين، وزناة، وعبدة أوثان، ومضاجعي ذكور، ولصوص، وسكّيرين سابقين (انظر ١كورنثوس ٦: ٩- ١١).[١] وإذ أقرَّ بأنَّ الذي يزني يُخطئ إلى "جَسَدِهِ"، حثّهم قائلاً "اُهْرُبُوا مِنَ ٱلزِّنَا." ثم استطرد قائلًا: "أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَسَدَكُمْ هُوَ هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ الْقُدُسِ الَّذِي فِيكُمُ، الَّذِي لَكُمْ مِنَ اللهِ، وَأَنَّكُمْ لَسْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ؟ لأَنَّكُمْ قَدِ اشْتُرِيتُمْ بِثَمَنٍ. فَمَجِّدُوا اللهَ فِي أَجْسَادِكُمْ وَفِي أَرْوَاحِكُمُ الَّتِي هِيَ للهِ" (١كورنثوس ٦ :١٩ و٢٠).

إذا افتُديتِ بدم يسوع، إذًا أصبحتِ تنتمين إلى الله، ورُفعتِ إلى مقام الملوك. وحقيقة عدم استحقاقكِ تمنعك من الإصابة بالكبرياء، لكنَّها أيضًا تنشئ في داخلك امتنانًا شديدًا، وتحثك على أن تعتني عناية قصوى، الآن، بجسدك،

١ كانت الأخلاق في كورنثوس شديدة الانحطاط في أيّام بولس لدرجة أنَّه إذا أراد أحدهم الطعن في أخلاق شخصٍ آخر، كان يقول له: "أنت تسلك كواحدٍ من أهل كورنثوس".

الذي صار لله. ولا بدَّ لجمال جسدك، وتأثيره، وجاذبيّته، واستخداماته الآن أن تتوافق مع ذلك الشخص الساكن فيك.

أنتِ لست نفاية، ولم تعودي بعد دنسة. فإنَّ مجد الله قد حلَّ على حياتك، ومقاصد الله العليا ستقود استخدامك لجسدك إلى الأبد. ينبغي ألا تُعاملي جسدك وكأنّه سلعة مستعمَلة وبلا قيمة - لأنَّ الله الثالوث قد اشتراه، وهو الآن يمتلكه. لا يستحي يسوع من أن يَسكُن في داخلك، فعليك إذًا ألا تستحي من مسكنه هذا، بل أن تعتني به بأقصى جهدٍ لديك، ولا تتحدَّثي عنه بازدراء. فعليك ألا تفكِّري في مسكن يسوع بعدم احترام، بل بالأحرى أن تبدئي في تزيينه طبقًا لتوجيهاته.

في ما يلي الإرشادات التي يقدِّمها الله لبناته:

١. جسد المرأة هو الجزء المنظور من هويتها.
٢. ينبغي أن تحافظ على جسدها، وعلى احتشام مظهرها بذوقٍ جيّد.
٣. يجب ألّا يُبنى تقييمها لنفسها على جاذبيّة جسدها.
٤. يجب ألّا تُزيِّن جسدها كي تلفت الانتباه له بالحلي، والملابس الثمينة، وإلخ.
٥. يجب أن تصبّ تركيزها على جمال روحها – أي أن تجعل نفسها جذَّابة بالتحلّي بصفات من قبيل اللطف، والإخلاص، والهدوء، والمرح، والنقاوة، والاستقامة.
٦. يجب أن تدّخر الجزء الجنسيّ في جسدها حصريًا لزوجها.

إنَّ المرأة التي تورطت في خطيَّة جنسيَّة تصبح أكثر وعيًا بنفسها وبقوة جاذبيّة جسدها. وتكمُن الخطورة في أن يصيرَ مظهرُها الجسدي شغلَها الشاغل. علاوة على ذلك، حين تُصدَم بإدراك خطيّتها (كمؤمنة)، قد تُغوَى بشكلٍ أكبر بأن

تتوق إلى الجمال الجسديّ إذ تشعر أنَّ جسدها قد صار مستهلَكًا بشدّة. لا يحتقر الله الجمال الجسديّ؛ فهو خلق النساء كي يتمتّعن بالجمال، لكنَّه لا يريد أن تنهمك بناتُه في الاهتمام بمظهرهنّ؛ وبصفة خاصة، لا يريد أن يستخدمنَ الزينة "الخارجيّة"، بل أن يكنَّ جميلات في جوهرهنَّ.

إنَّ المرأة التي نجت من النجاسة الأخلاقيَّة، واسترجعت الطهارة الأخلاقيَّة، تحمل جمال الفداء في حياتها. فهي امرأةُ النعمة، وابنةُ الملك. وهي ليست صاخبة أو متعجرفة أو وقحة في وجهها ومظهرها. كما أنَّها لا تجذب بصمتٍ انتباه الرجال، ولا تتسرَّع في التجاوُب مع اهتمامهم. بل هي ممتنة، ومتَّضعة، وممتلئة بالإيمان، ومكرَّسة، **ومنقَّاة**. لهذه المرأة جمالٌ استثنائي. لكنَّها تتعلّم التعقُّل والحذر السليم. والملك الساكن فيها يعزِّز قيمتها، ويستعيد كرامتها، وهي لن تُسلِّم نفسها لأي رجل إلّا بتوجيهٍ من هذا الملك.

تدريبات بشأن استعادة الأنوثة

١. اذكري، بأقصى وضوحٍ ممكن، كيف أثَّرت الخطيَّة على نظرتك لنفسك.
٢. إلى أي حدٍّ لا تزال هذه النظرة ملازمة لك أو متحكِّمة فيك؟ وقد نطرح السؤال بطريقة أخرى: كيف غيَّرت نعمةُ الله نظرتَك لنفسك؟
٣. بناءً على الحقّ الكتابيّ (وليس بالضرورة على مشاعرك)، اكتبي بالتفصيل كيف يراك الله.
٤. صفي بكلماتكِ الخاصّة ما الذي سيجعل من "بيتك" مسكنًا جميلاً يعيش فيه يسوع.
٥. اذكري وصِفي أية هواجس قد انتابتكِ من جهة مظهرك (الشعر، الوجه، الهيئة، الملابس، الأحذية، التمارين الرياضيّة). ما هي التوجيهات التي يمكن أن يقدِّمها لك الملك؟

٦. اذكري صفاتٍ معيّنة تتوقين إلى التحلّي بها بِوَصفكِ امرأة صُمِّمت كي تكون "مسكنًا" للرَّب يسوع، واذكري السبب. ناقشي مع مرشدتك الروحيّة كيف يمكن تنمية هذه الصفات في حياتك.

٧. ما الذي يستلزمه الأمر كي تشعري بأنوثتك بحقّ؟ (حاولي الإجابة عن هذا السؤال حتى تتمكني من تحديد الجوانب الأخرى التي يجب بذل جهدٍ فيها كي تستعيدي إحساسك بأنوثتك).

٨. اكتبي هنا تعهُّدَك بأن تزيّني روحَك، وتحفظي جسدك، وفقًا لتوجيهات الملك.